الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين تأليف
الامام العالم العلامة المحقق المدقق حجة
الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي قدس الله روحه
ونور ضريحه
آمين

م

وهو المشتمل على عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردي نفعنا الله به

صحيفة	
٢	كتاب شرح عجائب القلب وهو الاول من من ربع المهلكات
٣	بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وسائر الالفاظ المرادفة لهذه الاسامي
٥	بيان بجنود القلب
٦	بيان أصناف القلب مع بجنوده الباطنة
٨	بيان خاصية قلب الانسان
١٠	بيان بجامع أوصاف القلب وأمثلته
١٣	بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة
١٦	بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية
١٨	بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق المعرفة في اكتشاف الحق وطريق النظار
٢٠	بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٢٤	بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد
٢٧	بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٣٢	بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب
٤١	بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب ومعناها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به
٤٣	بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٤٥	بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات
٤٨	كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق

صحيفة	
	ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات
٤٩	بيان فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق
٥١	بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق
٥٤	بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة
٥٦	بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة
٥٩	بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق
٦١	بيان علامات امراض القلوب وعلاماتها عودها الى الصحة
٦٣	بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه
٦٤	بيان شواهد التفصيل من أرباب البصائر وشواهد الشرع
٦٨	بيان علامات حسن الخلق
٧١	بيان الطريق في رياضة الصبيان في أوائل نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم
٧٢	بيان شروط الارادة ومقتضيات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة
٧٨	كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات
٧٩	بيان فضيلة الجوع وذم الشبع
٨٢	بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
٨٧	بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
٩٤	بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه
٩٧	بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك كل الشهوات وقلل الطعام

صفحة	
٩٨	القول في شهوة الفرج
٩٩	بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله
١٠٣	بيان فضيلة من يغلبه شهوة الفرج واليمين
١٠٦	كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين
١٠٧	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٩	الآفة الاولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يعنيه
١١١	الآفة الثانية فضول الكلام
١١٢	الآفة الثالثة الخوض في الباطل
١١٣	الآفة الرابعة المراء والجدال
١١٥	الآفة الخامسة الخصومة
١١٦	الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق الخ
١١٧	الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان
١١٨	الآفة الثامنة اللعن
١٢١	الآفة التاسعة الغناء والشعر
١٢٣	الآفة العاشرة المزاح
١٢٤	الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
١٢٥	الآفة الثانية عشرة افشاء السر
١٢٥	الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٢٦	الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٢٨	بيان ما رخص فيه من الكذب
١٣١	بيان ما يحذر من الكذب بالمعاريض
١٣٢	الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها الطويل
١٣٤	بيان معنى الغيبة وحدودها
١٣٥	بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

صفحة	
١٣٦	بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
١٣٨	بيان السلامة الذي يمنع اللسان عن الغيبة
١٤٠	بيان تحريم الغيبة بالقلب
١٤١	بيان الاعذار المرخصة في الغيبة
١٤٣	بيان كفارة الغيبة
١٤٤	الآفة السادسة عشرة النميمة
١٤٤	بيان حد النميمة وما يجب على نمام
١٤٧	الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين الخ
١٤٨	الآفة الثامنة عشرة المدح
١٤٩	بيان ما على الممدوح
١٥٠	الآفة التاسعة عشرة في الفضلة عن دقائق الخطأ في فنون الكلام
١٥٠	الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى الخ
١٥١	كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
١٥٢	بيان ذم الغضب
١٥٤	بيان حقيقة الغضب
١٥٧	بيان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا
١٥٩	بيان الاسباب المهيجة للغضب
١٦٠	بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٦٢	فضيلة كظم الغيظ
١٦٣	بيان فضيلة الحلم
١٦٧	القول في معنى الحقد وتأمله وفضيلة العفو والرفق
١٦٨	فضيلة العفو والاحسان
١٧٠	فضيلة الرفق
١٧٢	القول في ذم الحسد وفي حقيقته

صحيفة	
	وأسبابه ومداواته وغاية الواجب في ازالته
١٧٣	بيان ذم الحسد
١٧٤	بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٧٦	بيان أسباب الحسد والمنافسة
١٧٩	بيان السبب في كثرة الحسد بين الاشكال والاقران والاشباه وبين الرحم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه
١٨١	بيان الدواء الذي يشفي مرض الحسد عن القلب
١٨٤	بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب
١٨٥	كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين
١٨٦	بيان ذم الدنيا
١٩٥	بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها
١٩٨	بيان صفة الدنيا بالامثلة
٢٠٢	بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٠٨	بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورودهم
٢١٥	كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين
٢١٦	بيان ذم المال وكراهة حبه
٢١٨	بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
٢١٩	بيان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٢١	بيان ذم الحرص والطمع وصبح القناعة واليأس مما في أيدي الناس
٢٢٤	بيان علاج الحرص والطمع والدواء

صحيفة	
	الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٢٦	بيان فضيلة الصحاء
٢٢٨	حكايات الاصحاء
٢٣٤	بيان ذم البخل
٢٣٦	حكايات البخلاء
٢٣٧	بيان الايثار وفضله
٢٣٩	بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٤١	بيان علاج البخل
٢٤٤	بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله
٢٤٥	بيان ذم الغنى وصبح الفقر
٢٥٤	كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ويشتمل على شطرين
٢٥٥	(الشطر الاول) في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة الخ
٢٥٥	بيان ذم الشهرة واتشار الصيت
٢٥٦	بيان فضيلة الخمول
٢٥٧	بيان ذم حب الجاه
٢٥٨	بيان معنى الجاه وحقيقته
٢٥٨	بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة
٢٦٢	بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له
٢٦٤	بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم
٢٦٦	بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها عنه
٢٦٧	بيان علاج حب الجاه
٢٦٩	بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم
٢٧٠	بيان علاج كراهة الذم

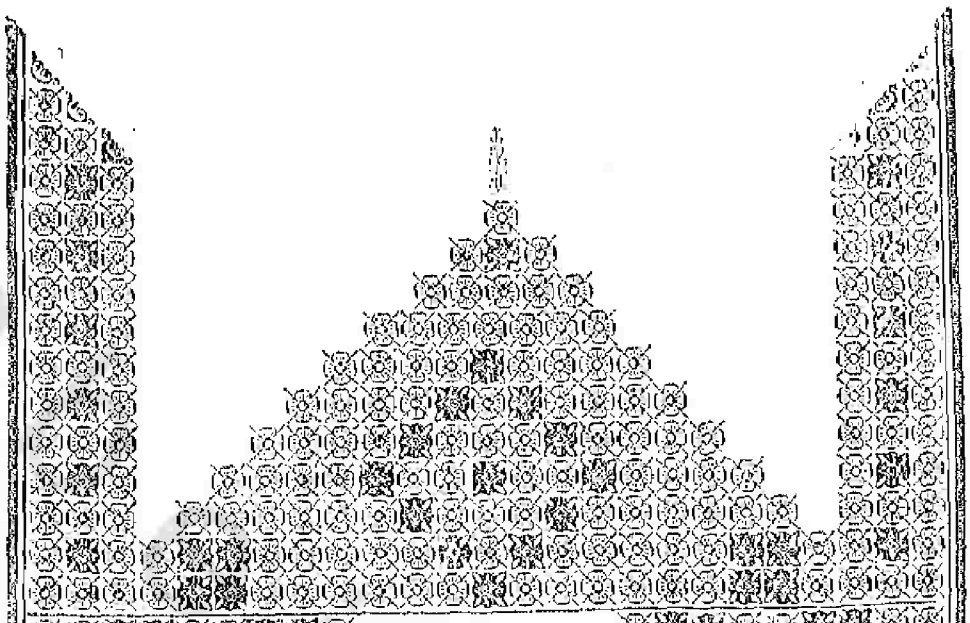
صحيفة	
٢٧١	بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم
٢٧٣	(الشطر الثاني) من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء الخ
٢٧٣	بيان ذم الرياء
٢٧٦	بيان حقيقة الرياء وما يرائى به
٢٨١	بيان درجات الرياء
٢٨٥	بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل
٢٨٧	بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط
٢٩٠	بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه
٢٩٧	بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات
٢٩٩	بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٠١	بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء وشغول الآفات
٣٠٩	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣١١	بيان ما ينبغي للمريد أن يلتزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣١٥	كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ويشتمل على شطرين
٣١٥	(الشطر الاول) من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣١٥	بيان ذم الكبر
٣١٧	بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وهز الثياب
٣١٨	بيان فضيلة التواضع
٣٢١	بيان حقيقة الكبر وآفته
٣٢٣	بيان التكبر على من هو دونه في الدين وأقسامه وثمرات الكبر فيه
٣٢٥	بيان داء التكبر
٣٣٠	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له
٣٣١	بيان اختلاف المتواضعين وتجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر
٣٣٥	بيان الطريق في معالجة المتكبر واكتساب التواضع له
٣٤٥	بيان غاية الرياضة في خلق التواضع
٣٤٦	(الشطر الثاني) من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب الخ
٣٤٦	بيان ذم العجب وآفاته
٣٤٧	بيان آفة العجب
٣٤٧	بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما
٣٤٨	بيان علاج العجب على الجملة
٣٥١	بيان أقسام داء العجب وتفصيل علاجه
٣٥٥	كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
٣٥٦	بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثاله
٣٦٤	بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف
٣٦٥	الصنف الاول أهل العلم
٣٧٨	الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل
٣٨١	الصنف الثالث المتصوفة
٣٨٥	الصنف الرابع أرباب الاموال

الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين تأليف
الامام العالم العلامة المحقق المدقق حجة
الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي قدس الله روحه
ونور ضريحه
آمين

م

وبهامشه عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردي نفعنا الله به

obeikandl.com



الربع الثالث من الاحياء

(كتاب شرح عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق أنواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دوائر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا (أما بعد) فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله ونفيره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المكاشف بما عند الله وليه وانما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما السارى الى الاعضاء من القواعش آثاره وباظلامه واستناره تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه من مشاهدته

(الباب الحادي والثلاثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ادبني ربي فاحسن تأديبي والادب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا ادبيا وسميت المأدبة مادبة لاجتماعهما على اشياء ولا يتكامل الادب في العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال

وهو اقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين ويخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى الى أعلى عليين ويرتقى الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقته أوصافه اصل الدين وأساس طريق السالكين واذ فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح فى الشطر الثانى ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن نقدم عليه كتابين كتابا فى شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكتابا فى كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم ندفع بعد ذلك فى تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة فى جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الافهام

(بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامى)

اعلم أن هذه الاسماء الاربعة تستعمل فى هذه الابواب ويقل فى منقول العلماء من يحيط بمعانى هذه الاسامى واختلافها معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسامى واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح فى معنى هذه الاسامى ما يتعلق بغرضنا (اللفظ الاول) لفظ القلب وهو يطلق لامعنيين * أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين * والمعنى الثانى هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان ويشرح ذلك عما قريب فاما معنيين * أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة * والثانى أن حقيقته يستدعى افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها (اللفظ الثانى) الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا بمعنيين * أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور

بعضهم الخلق لاسبيل الى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح ان تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احسنوا اخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهيأ ما لقبول الصلاح والفساد وجعل اهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية فيه كوجود النار فى الزناد ووجود النخل فى النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ويمكنه من اصلاحه

من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة
مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن
مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا
به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به
غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى يساق الى
جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا * المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة
المدركة من الانسان وهو الذي شرعنا في أحد معاني القلب وهو الذي أراد الله تعالى بقوله
قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والافهام عن درك حقيقته
(اللفظ الثالث) النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان * أحدهما أنه
يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال
هو الغالب على أهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من
الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام أعدى
عدوك نفسك التي بين جنبيك * المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان
بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها
فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة
قال الله تعالى في مقامها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى
الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم
سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها
تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وان تركت
الاعتراض وأذعنت وأطاعت مقتضى الشهوات ورداعي الشيطان سميت النفس الامارة
بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وأوامرأة العزيز وما أبرئ نفسي ان
النفس لامارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول
فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان أي
ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات (اللفظ الرابع) العقل وهو أيضا مشترك
لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان * أحدهما انه قد
يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب * والثاني أنه
قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم أن كل عالم فله
في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد
يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك أعني المدرك وهو المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور أن يكون اول مخلوق بل
لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له تعالى
أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة
وهي الناب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه اربعة معان

بالتربية الى ان يصير النوى
فحلا والزناد بالعلاج حتى
يخرج منه نارا وكما جعل في
نفس الانسان صلاحية الخير
وجعل فيها صلاحية الشر
حتى الاصلاح والافساد
فقال سبحانه وتعالى ونفس
وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها فقد ربح من زكاها
للشقين جميعا ثم قال عز وجل
وقد خاب من
دساها فاذا تركت النفس
تدبرت بالعقل واستقامت
على الها الظاهرة والباطنة
وتهذبت الاخلاق وتكونت
الآداب فالادب استخراج
ما في الهيئة والخلق الى
الفعل وهذا يكون لمن
ركبت السجية الصالحة
فيه والسجية فعل الخلق

يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان
والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين
وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر
ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس
يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه
الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقهه من الانسان
ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم
القلب علاقة خاصة فانهم اوان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به
بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلها وملكها وعالمها ومليكها ولذلك شبهه
سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي
ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به انه مملكته والمجرى الاول
لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا
التشبيه أيضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

* (بيان جنود القلب) *

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم
جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود
القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جندي بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو
في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين
فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها
خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمستولي عليها وقد خلقت مجبولة على طاعته
لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالافتتاح انفتحت واذا أمر الرجل بالحركة
تحركت واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة
لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء
وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والانسان تطيع القلب في الافتتاح
والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى
هذا الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله
سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد
وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن
البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها أدنى المنزلتين فاضطر
الى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يوصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهده

لا قدرة للبشر على تكوينها
كتكوين النار في الرماد اذ هو
فعل الله المحض او استخراجه
بكسب الآدمي فهكذا
الآداب ينبوعها السجايا
الصالحة والمنح الالهية الباطنة
الله تعالى بواطن الصوفية
بتكميل السجايا فيها
توصلوا بحسن المجاهدة
والرياضة الى استخراج ما في
النفوس مركوز بخلق الله
الى الفعل فصاروا مؤدبين
مهذبين والآداب تقع في
حق بعض الاشخاص من
غير زيادة مجاهدة ورياضة
لقوة ما أودع الله تعالى في
غرائزهم كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أدبني
ربي فأحسن تأديبي وفي
بعض الناس يحتاج الى

البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بأن يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما افتقر اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور قابلة وادراج من البدن كالاسطقسات وغيرها مما يحتاج الى الغذاء مما لم يعرف الغذاء لم تنبعث شهوة الغذاء والقمة فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها طويل ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع بمجمله جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف مستفاد باعث ومستفاد اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هي بالاصابع وقوة البصر انما هي بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة وانما نتكلم في الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تر وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بحسه يدرك الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة بعد سبب يحفظها وهو الجندي الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فحسبك ذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كونها أيضا باطنة فهو مدرك وهي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول وعقد مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكن المجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من أفهامهم

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي

طول المدارسة لتقصان قوى أصولها على استخراج ما في الطبيعة الى الفعل قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال ابن عباس رضي الله عنهما فقهوهم وأدبوهم وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال يوسف بن الحسين بالادب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يتم الزهد وبالزهد يترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال رحمة الله تعالى

وتمرّ دمشق على كتفه ويستبعد ذلك فيهلك وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جندان جند من العلم والحكمة والتفكر كما يأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه سخر الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يخطفان بجذب الشيطان فان نزل الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك بقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يتقرر العقل به ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة أمثلة *(المثال الاول)* أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس الاطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته وملكته فان البدن بملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعمال والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له حسكالعبد السوء يجلب الطعام والمرة الى المدينة والغضب له حسكصاحب الشرطة والعبد الجالب للمرة كذباب مكار نذاع مخيب يثقل بصورة الناصح ويتحبب نحسه الشر الهائل والسم القاتل ودينه وعادته مناقضة عسة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته مهما ان لا يخلو من مناقضته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رأيه وأدبه صاحب شرطته وباسه لوزيره وجعله مرتقرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا الا سائسا ومأمورا مدبرا الا أمير امدبر الاستقام أمر بلده واستظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بجنبة الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقابل صرعة الغضب وغلوائه بخلافة الشهوة واسترخاءها وتارة بتسمع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وقال عز وجل فمن نهى النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذا الجند وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى *(المثال الثاني)* اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني المدرك من الانسان كالملك مدبرا لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اضلال رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كقيم فيه مرابط فان هو رابط عدوه وعزمه وقهره على ما يحب سعد أثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر *(المثال

قيل لما ورد أبو حنيفة العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حنيفة وقوفا على رأسه يأتمرون لامره لا يتخطى أحدهم فقال يا أبا حنيفة أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان الادب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تستطيعها آداب الشريعة وآداب الشريعة محيطة الظاهر والله تعالى لا يقبل تعطيل الجوارح من التحلي بجميع الآداب قال عبد الله ابن مبارك ادب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال

الثالث) * مثل العقل مثال فارس مستبد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس
نافذا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أسرق وكان
الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه يلبث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا
فهو مثلي بأن يسطيه فضلا عن أن ينال مطالبه وانما غرق الفارس مثل بجهل الانسان وقلة
حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة فنصوصا شهوة البطن والفرج وعقر
الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه فسأل الله حسن التوفيق بلطفه

(بيان خاصية قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوان الشهوة
والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته
بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فالذي يختص به قلب الانسان ولا جله عظم
شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة أما العلم فهو العلم بالامور
الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشارك فيها
الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بأن الشخص
الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم
أنه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما أدركه الحس
واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الارادة فانه اذا
أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى
تعاطي أسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد
الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال
فيها والشهوة تميل الى اللذائذ الملائمة في سن المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس
ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك
للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان
مختص بعلم وارادة يتقلب عنها سائر الحيوان بل يتقلب عنها الصبي في أول الفطرة وانما يحدث
ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق
الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان (احداهما) أن يشتمل قلبه على سائر
العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون
العلوم النظرية فيه غير حاصلة لانها امارات ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله
بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة
دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يباشرها بعد (الثانية) أن يحصل له العلوم المكتسبة
بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ
يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن
في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات
وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصيل بعض القلوب بالالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة

وليس هذا

دخلت مكة فكنت أرى فيها أنعم
بفناء الكعبة وربما كنت
استلق وأمد رجلي فجاءتني
عائشة الحبشية فقالت لي
يا أبا عبيد يقال انك من أهل
العلم أقبل مني كلمة لا تجالسه
الا بأدب والا فيحسن اسمك
من ديوان الضرب قال أبو
عبيد وكانت من العارفات
وقال ابن عطاء النفس
مجبولة على سوء الادب
والعبد مأمور بملازمة الادب
والنفس تجري بطباعها في
ميدان الغفلة والعبد يردها
بجهده الى حسن المطالبة فان
أمرض عن الجهد فقد أطلق
عنان النفس وغفل عن
الرعاية وهما أعانها فهو
شريكها وقال البنيد

ولبعضهم بتعلم وا كتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراتب هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف البلغين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتح الله على أوليائه وانبيائه من عزايا لطائفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير ممنوعون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سبأتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم أشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى أن انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله والبه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه بل وجوده وحضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لأجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبته بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم ويحشر بأن يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام

من أمن نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان سوء الادب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا أبو الفتح الهروي انا أبو النصر الستريائي انا أبو محمد الجراحي انا أبو العباس المحبوبي انا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع (وروى) أيضا انه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نحلة

بقوله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما خمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا كسكلب أو سبعا كأسد أو مقودا كجمل أو متكبرا كفرأو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب * وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو أعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صنف من الاصناف فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واقامة سلطانه الذي هو بصدده ويقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو استعملها الكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لاحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك * وفي المثال الذي ضربناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عينا هو واذنا فقم ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب

(بيان جوامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث تسلط عليه الغضب بتعاطي أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم

أفضل من أدب حسن
(وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) أبو علي الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة وبأدبه في طاعته الى الله تعالى (قال) أبو القاسم القشيري رحمه الله كان الاستاذ أبو علي لا يستند الى شئ فكان يوما في مجمع فاردت ان أضع وسادة خلف ظهره لاني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال

ومن حيث ساطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة صفات فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وبحسب كل انسان فيه شرب من هذه الاصول الاربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل بشهه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل لروح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذا الغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أحكثرهم همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والتجبب منه أنه يفكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اصافي النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى وينتظر الاشارة وأمرهما هيج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه ولتمته صدقا بالفكر في سبيل الوصول الى طاعته وهو بذلك مساع في مسرة شيطانه فانه الذي هيج الخنزير وغيظ الكلب وبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وقيامه وقعوده وينتظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعات قليلة من النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل الملك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء

لا اريد الاستناد فقالت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء أبدا (وقال) الجلا بي البصري التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا ايمان ولا توحيد (وقال) بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فانا أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب باطنا ولا أساء الادب باطنا الا عوقب ظاهرا قال بعضهم هو غلام الزقاق

وقد سخر منه لمة هؤلاء الثلاثة فلا يزال ينتشر الى قلبه من طاعتهم هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا وريانا مهلكا للقلب وهي الأم لطاعة تخنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتك والخيانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والعداء والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنى وامثالها ولو عكس الامر وقهر البيع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله والاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنشر اليه من ضبط تخنزير الشهوة وردعه الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدى والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في محكم مرآة قد انكشفت هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان لله من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستنير فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يترا كم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير همه وهمها عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله سبحانه تجلو الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل

نظرت الى غلام أمرد فنظر الي الدقاق وانا أنظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة ان أنسيت القرآن (وقال) سري صليت وردي ليلة من الليالي وبدت لي رجلي في المحراب فوديت باسري كنا مجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبدا وقال الجنيد فبقي ستين سنة ما مد رجله الا ولا نهارا (قال عبد الله) أين المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض

على المعاصي اسودّ قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانه لا افتخار عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب ممتزج فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر أن جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب المكاشفة والمكاشفة باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

(بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة)

اعلم ان محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع البواطن وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما أن المتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحصل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف وموصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد ثم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل صفتها وحقيقتها المطابقة لصورتها فمثاله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة بجهة أمور * أحدها نقصان صورتها بكدورة الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل * والثاني خبثه وصدأه وكدورته وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة * والرابع حجاب حائل بين المرآة والصورة * والنفاس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة ووجهها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة * أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه * والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب

هو قلب بحر من المعرفة (ويسئل السري) عن مسئلة فجعل يتكلم فيها فذهب على رجل عقربه فجعلت تضربه بابرتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال استحي من الله ان أتكلم في حال ثم أخالفه فيما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) أنس ابن مالك الادب في العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل له ما معناه قال ان تعامل الله

وجلاله فيتمنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فارقه عقل لا يعود اليه أبدا أى حصل فى قلبه كدورة لا يزول أثرها الا فى نهاية أن يتبعه بحسنة تمحوها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا سبيل له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير تدنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصقله ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم * الثالث أن يكون معرضا لا عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه بجلية الحق لانه ليس يطلبه الحق وليس هذا يعنى أنه شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بجهة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الملكوتية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى * الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المجرد التفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق وبمنعه من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم يجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية نبتت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق * الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها وربتها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا من علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم نقول أن من أراد أن يستنتج ولم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص من الفحيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها

فصل اح

سر ارعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت آخذ بما شئت اذا نطقت جاءت بكل ملحة وان سكتت جاءت بكل مليح (وقال البربرى) منذ عشرين سنة ما مددت رجلى فى الخلوة فان حسن الادب مع الله أحسن واعلى (وقال) أبو على ترك الادب سوء يجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد الى الباب ومن أساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب

(الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لاهل القرب)

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه

فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة الصاقبة القفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والافكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وقال الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى احتجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله يارسول الله أين الله فى الارض أو فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الواديع وفى الخبر أنه قيل يارسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى بسعة عرض بعضها السموات والارض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهى الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بينها على قدر قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد أفلح من زكاها وخاب من دساها وحصول أنوار الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فمنهم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلاث مراتب (المرتبة الاولى) ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان

عليه السلام بجميع الآداب ظاهرا وباطنا واخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه غاية ما يمكن من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه الى الله وتولى وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت الى ما أعرض عنه ولا لفته الالتفات على الفانيين فى اعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم فهذا الخطاب للعموم

العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار على ثلاث درجات * (الاولى) أن يخبرك من بر به انه صدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقد تواطأ اليهود والنصارى أيضا على طائفة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم الا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه منها لانهم ألفى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألفى اليهم كلمة الحق * (الرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل وانما أيضا ممكن أن يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا * (الرتبة الثالثة) أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة الحقيقية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فيطوى في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان انخطائهم وهم أيضا متفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي حسن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يشتبه منه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق وانما يتمثل من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية وأما مقادير المعلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

(بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية)

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحصل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية وأخروية * أما العقلية فنعني بها اما تتفق بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين وان الشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مضطرا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل

ومازاغ البصر اشارة من حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معصوم ما شاطب به العموم فكان مازاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فرق من الله سبحانه منه وهيبة وابطلا لاوطوى نفسه بنثراره في صلوى انبساطه وافتقاره لكي لا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى

له أعني أنه لا يدري لسبب قريب والا فليس يخفى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه الى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تنتشر في العين وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر في العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر والموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى معنى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمى هذا ادراكا بعين فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي * أما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صحة القلب وسلامته من الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والاغذية بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل

والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تشرف السمع وهي نالت قسطا من المنح استغنت وطفقت والطغيان ينطوي من فرط البسط والافراط في البسط يبعث باب المزيد وطغيان النفس الضيق وعماها عن المواهب فوحي عليه السلام صح لها في الحضرة أسعد طرفي ما زاغ البصر وما التفت لي ما فاته وما طغى متاعنا بحسن أدبه ولكن امتلأ من المنح السمع واستوفت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما خلت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها

فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذا مع فاقة الدوا فكذلك أمراض القلوب لايمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لايداوي قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذا وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة بل موذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيخرج عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحيره فينسل من الدين انسلال الشعر من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه حمل اليه تقاضا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لئلا تردّ الى مواضعها فقالوا له تلك الاواني في مواضعها وانما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لاتحيل عثرتك على عمالك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعني أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا أرضيت احداهما أسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لاتفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله أي البلد في أمور الدنيا وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين بحمله أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يزيدك بجحودهم عن قبولها اذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لايكاد يتيسر الا لمن رحمه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية

فتحاولوا الحق من فرط البسط وقال أرني أنظر اليك فمنع ولم يطلق في قضاء المزيد وظهر الفرق بين الطبيب والحكيم عليهما السلام وهذه دقة لارباب القرب والاسرار السنية فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض متدفي بسببه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط في البسط ولوحصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط يايقاف النازل من المخ على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب يأذكرناه من حال النبي عليه السلام

من

في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وسميلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو صقيل بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتنجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب بضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها وانجلاب بين المرآتين تارة يزال بالبد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك تدهبه رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتارة ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيطلع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور ولم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة والبه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة وقمع الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب بحجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية

تهذيب النفس في مطاوي الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب يحظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض فمام منه وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذي ذكرناه قول أبي العباس بن عطاء في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال لم يره وطغيان يميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه

وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شئ وعدمه ثم يجاهد نفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شئ سوى الله تعالى فلا يزال يجاهد نفسه في الخلوة فما لا يأتيه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يجف أثره من اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعل صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته ووصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فرد واحد وسنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على البدو فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فغيابه أبعد منه اذ أدنى وساوس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختل العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبث بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في اشكال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الفرض وزعموا أن ذلك بضاعة من لم تزك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصارفتها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا أيضا ربما انتهزنا الرياضة والمواظبة اليوم ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

(بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس)

يفهم ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبره موافق لما ذكرناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار النيسابوري أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر بن عبد الله بن علي السراج أنا أبو الطيب المكي عن أبي محمد

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن درك الامثال المحسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين * أحدهما أنه لو فرضنا حوضا مملوءا وراقي الارض استحال أن يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تستمد هذه الانهار بالمواظبة والمداومة وغض البصر ويستمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب منه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في المفازة وجد صورة السماء والارض في نفسه كأنه يشاهدها وهو ينظر اليها ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه مطابق من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده بالجسمانية ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللائق من الحكمة الالهية اذ جعل حد قلبك على صفر جوهرها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساعها كما فهمتها ثم يسري من وجودها في الحس ووجودها في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك الا ما هو واصل الى قلبك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما باين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم أعمى عن درك القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق بما جهلته بأنفسها وبعجائبها

(ولنرجع) الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس

الجزري قال التسرع الى استدراك علم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الاضطرار نجاة والياس بالهرب من علم الفنون وصلة واستفتاح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تمكن وخوف فوت ما انطوى من فسحة القوم في حسن الاقبال مساءة والاصغاء الى تلاقي ما يتفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقي جراءة والانبساط في بعض الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفي قوله تعالى ما زاغ البصر وما

من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجير الماء من عرق الارض وبهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع في الانهار منع ذلك من التفجر في الارض وكما أن من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا القلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المشتركة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاذا انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل من عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله قال المتلهجون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم وبداخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تتأتى من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يتأتى من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين * المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نقش العلوم وايتلامها الى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستترأى الملك على أن يسلم اليهم صفة ليتنقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الفريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين انهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما علينا رفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصقالته حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وايله أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله القراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وبيلا وقربة الى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد الا بالعلم

والمعرفة

طغى وجنه أخر الطغيان عما سبق ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حدته ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والظاهر مع التسليم فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الاحوال وصاقابه ركقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره فتحت أنوار نظره على قارئ قدمه وحاله

والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم وقد روى في الخبر أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ أخرى فاذا أضاء قدم قدميه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد في ميدانه والذي أعطى نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السراج كله لرجح فايمان آحاد العوام نور مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وأن هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من ألف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فهذه الشواهد توضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم وهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم

وهذا المعنى انعكس حكمه ومعناه ونوره على ظاهره وكان البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخالف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق يقابله مشيا كلما لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورأى في كل سماء بعض الانبياء اشارة الى تعريفهم وتخالفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرني أنظر اليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخالفا للقديم عن النظر

الغبن على من يختص بمثله من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على جملة طريق أهل التصوف فيما اكتسابه المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات * أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل مجاهدة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما علم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا أن يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر بنور الله ومن وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى والى هذا يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين وملهمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب

وهذا هو الاشكال الذي أشار اليه الموصوفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما قدمه وناظره في جبال الحمياء والتواضع ناظرا الى قدمه قادما على ناظره ولو خرج من جبال الحمياء والتواضع وتطاول بالنظر متطاولا حتى التصم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء لم يرك صلى الله عليه وسلم مستجلس جمالك في مقارة أدب مالك حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه أقسام القرب انصبابا وانتشحت عنه سحائب الطلب حجابا حجابا حتى استتم

فاذا نفى ما سوى الله صار جاهلا اتما السلم الذى يأخذ علمه من فيه أى وقت شاء بلا سؤال
ولا درس وهذا هو العلم الربانى والمراد الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم
من الله ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدنى الذى يفتح
فيه سر القلب من غير سبب ما لوفى من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من
الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر * وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا
خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضى
الله عنه لعائشة رضى الله عنها عند موته انما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا
فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضى الله عنه فى اثناء خطبته يا سارية
الجبل الجبل اذا نكشف لمكان العدو فقد أشرف عليه فخذوه فعلم قصده ذلك ثم بلوغ صوته اليه
من جملة الكرامات المعلومة ومن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله
عنه وكنت قد لقيت امرأة فى طريق فنظرت اليها نظرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضى
الله عنه لعلك مسست يدك على أحد كم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين
النظر فقلت بلى أولا أعزر بنا فقلت اوحى بعد النبى فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة
صادقة وعن أبى سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا جالسا معرقتان فقلت
فى نفسى هذا واشباهه يتكل على الناس فنادانى وقال والله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه
فاستغفرت الله فى سرى فنادانى وقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
وعن زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبى الفضل الهاشمى وهو عليل وكان ذا
عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت فى نفسى من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح
بى يا أبا العباس رد هذه الدمية فان الله تعالى ألهمك فاطنة وقال أحمد النقيب دخلت على
الشبلى فقال مقتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت بالسامرى بخاطرى انك بخيل فقلت
ما أنا بخيل فعاد فى خاطرى وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم على بشىء الا دفعته الى أول
فقير يلقانى قال فما استتم انا طرحتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا
فقال اجعلها فى مصالحك قال وقت فاخذتها وخرجت واذا بفقير مكتوف بين يدى مزين
يحلق رأسه فقلت له بكم تحلقه الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال
أوليس قد قلت انك بخيل قال فناولتها المزين فقال قد حلقت له فاجلس هذا التقدير بين أيدينا
أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها الى دجلة وقلت ما أعز لله أحدا الا أذله الله عز وجل وقال
حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على أبى الطيب التيمانى واعتقدت فى نفسى ان أسلم عليه ولا آكل
فى داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد
فرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الطيب التيمانى هذا من أشهر من رأيناه بالكرامات وقال ابراهيم
الرقى قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى
لعله استحى منى فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدنى سبع فعدت الى أبى الطيب وقلت قصدنى
سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لاصدقائى فتقهقرت فلما رجعت
قال لى اشتغلتم بتقويم الظاهر فحكم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد

على صراط ما فاق البصر وما
طوى فكر كالبرق انما طاف الى
مخدع الوصل والاثاثه
وهذا نهاية فى الادب وغاية
فى الادب (قال) أبو محمد بن
رويم حين سئل عن أدب
المسافر لا يجاوز همه قدمه
فحيث وقف قلبه يكون
مقره (أخبرنا) شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
اجازة قال أنا عمر بن أحمد
قال أنا أبو بكر بن خلف انا
عبد الرحمن السلمى ثنا
القاسم أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا أبو عبد
الله محمد بن على الترمذى
حدثنا محمد بن رزام الايلى
حدثنا أحمد بن عطاء الهجيمى
حدثنا أحمد بن أسيد عن عطاء
ابن أبى رباح عن ابن عباس

* وما حكى من تنوع المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والموالمنه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات يخرج عن الحصر والمكاشفة لا تشفع لاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل انكر التفصيل * والدليل القاطع الذى لا يقدر أحد على جحده أمران * أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يتارك النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ نائم لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * والثانى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب واموره فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يعترف بان القلب له بابان باب الى شاهد وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الهام والنفث فى الروع والوحى فاذا أقر بهما جميعا يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سببا اليه فهذا ما ينبغى على حقيقته ما ذكرناه من تجويز تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب فى انكشاف الامر فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك ايضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب المكاشفة فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى فلم أفعل فقال ما منعك من التوجه وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب بالغيب بجواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندى فى المسئلة جواب متقدم فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبى وسألته فدلنى على ما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان فى امتى محدثين وان عمر منهم وفى الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه القعود بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فاى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يخيل اليهم أمور صادقة وقال بعض العلماء

قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا رب أرنى أنظر اليك قال قال يا موسى انه لا يرانى حى الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تشرق انما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم * ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقبول مع الحق ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى أمر بالدعاء وانبا الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط فى طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما فى القرب وأذن له فى

يد الله على أفواه اطبائكم لا يطعمون الاعمامهم الله لهم من الملق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الناس بعضهم على بعض سره

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم ان القلب كما ذكرنا مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تنصب عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال امان الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالحواس شيأ حصل منه أثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب أثر وان كف عن الاحساس فالخيال الحاصل في النفس تبقى وينتقل الخيال من شئ الى شئ وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال اخر والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر اعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار وعني بها درا كا كان علما او ظنا على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوى بالبال لان التقدم الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم أعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فهما استنارت جدران البيت بنور النار وأظلم بسقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى أسام مختلفة والملك عبارة عن مخلوق خلقه الله تعالى شأنه اقامة لسنة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وخلق ذلك والشيطان عبارة عن مخلوق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف بسببه الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة من وجه الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد

الانبساط وقال الطيبي في قوله اجبتك فانا بسطا انبسط وقال ربه انى لما أنزلت الى من خير فقير لانه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في جناب الحشمة عن سؤال الحقيرات وهذا مثال في الشاهد فان الملك العظيم يسأل العظماء ويحتشم في طلب الحقيرات فلما رفع بساط جناب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصري أدب العارف فوق كل أدب لان معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى

قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن اخاهما اصبعان يجولان في القلب هم من الله تعالى ووسم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فالله يتعالى عن أن يكون له اصبع هي كجثة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل انما تريد في التقليب والتردد كما انك تتعاطى الافعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستخدار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان على السواء وليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة تظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات وليسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبعث الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير وبهما يغلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وبعد الشيطان بجنوده الافوس وبهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى أن ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون استيلاؤه اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فاستلانت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة وبعد أن استولت اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن قمعها بعد ذلك الا بانتزاع القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أنوار الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يزبره اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني أن القلب اذا تعالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى

الهه

من الرمته النسيم مع
اسمائك وصفات الرمته
الادب ومن كشفت له عن
حقيقة ذات الرمته المطلب
فاختر أيهما شئت الادب
أو المطلب وقوله القائل
ما يشبه الى أن الاسماء
والصفات تستقل بوجود
تحتاج الى الادب ابقاء لرسوم
البشرية وحظوظ النفس
ومع لمعان نور عظمة الذات
تتلاشى الآثار بالانوار
ويكون محض المطلب
التحقق بالفناء وفي ذلك
المطلب غاية الادب (وقال)
أبو علي الدقاق وفي قوله
تعالى وأيوب اذ نادى ربه
اني مسني الضر وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
ارحمني لانه حفظ ادب

الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لعبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله ما لي الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا
أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر
أن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يجري وسوسة الشيطان من القلب
الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا سطر في القلب ذكر شيء انصرم منه ما كان فيه من قبل
ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون جملا الا الشيطان وذكر
الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يهايج الشيء الا بعده وضده فجميع
وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري من الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطرق عليهم في أوقات الغفلات على سبيل الخلسة
قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر
الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالقلب بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان
كالقطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار وتعاقبهما قال الله تعالى استحوذ عليهم
الشيطان فانساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع
خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن
وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه وقال بأبي
وجهه من لا يفلح وكما أن الشهوات مختبئة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه
ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يحسر الشهوة ويجري الشيطان
الشهوات ولا سبيل الى اكتناف الشهوات القلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس
لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم
وتترك دين آبائك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك
فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تعب النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح
نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا
على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوسوسة في هذه الخواطر التي
تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه ويغرم ذلك فيعسر فمن الجهاد فهذه الخواطر معاونة
فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فلسببه يفتقر الى اسم يعرف به فاسم سبب الشيطان
ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بحسب اتباعه وعدم اتباعه وذلك قال عليه السلام
ما من أحد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام
والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبهذه الخطوط من يتطرق في ذات الشيطان انه جسم
لطيف أو ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير

الخطاب وقال عيسى عليه
السلام ان كنت قلته
فقد علمته ولم يقل لم أقل
وعناية الادب اظهر من
أن تذكر وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية أهل
الدين في طهارة القلوب
ومراعاة السر والوفاء
بالعهود وحفظ الوقت
وقلة الالتفات الى الخواطر
والسواكن ضروا لموارد
والصوائق واستواء السر
والعلانية وحسن الادب
في مواقف الطالب ومقامات
القرب وأوقات المشاهدة
والادب ادبان أدب قول
وأدب فعل فمن تقرب الى
الله بالادب فعله فحجبه
القلوب (قال ابن المبارك)

يحتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو يحتاج
الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك من الجهل
فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد حصلت ودل ذلك على أنه عن سبب لاشعالة وعلم أن الداعي
الى الشر المذموم في المستقبل عدو قد عرف العدو لاشعالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد
عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم
أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع
العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن
نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فأما معرفة ذاته وصفاته
وحقيقته فموقوف بالله سبحانه وحقيقة الملائكة فذلك مما حدان العارفين المتفاطنين في علوم
المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم الى ما يعلم
قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه
الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من ملك أو من ملك الشيطان فان من مكايد الشيطان أن
يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك عاض وأكثر العباد به هلكوا فان الشيطان
لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ
أما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما الشفقة على
عباد الله تدعوك الى أن تعلمهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق
وله حجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة
الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يتردد ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل الى أن يشتغل
بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واقامة الظاهر ويقول
لئن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يتردد ذلك في نفسه
وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم
والنظر الى الخلق بعين الاستحقار فيستدرج المسكين بالتصحيح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن
قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيه لكن بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم وان الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي أن ابليس لعنه الله قتل عيسى ابن مريم صلى الله عليه
وسلم فقال لو قال لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لان له أيضا تحت الخير تلبيسات
وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء
والاغنياء وأصناف الخلق من يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي
المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور وفي آخر هذا الربع واعلم ان
أهل الزمان صنفوا فيه كتابا على الخصوص تسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه
في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها وكل
ذلك اذعان لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه

يحن الى قليل من الادب
أحوج منا الى كثير من العلم
وقال أيضا الادب للمادب
بمنزلة التوبة للمستقيم
وقال الثوري من لم يتأدب
الوقت فوقته مقت وقال
ذو النون اذا خرج المريد
من عمله استهال الادب قال
يرجع من حيث جاء وقال ابن
المبارك أيضا قد أكثر الناس
في الادب وأنا أقول معرفة
النفس وهذه اشارة منه
الى ان النفس هي منبع
الجهل الآت وترك الادب من
خاصية الجهل فاذا عرف
النفس صادف نور الامر فان

من ملة الملك أو ملة الشيطان وأن عين النظر فيه بعين البصيرة لا يهدى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا أى رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون أى ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه متابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هى أعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات واغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدائع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمل الخلق واشتغلوا بعلوم تستجرّ اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجى من كثرة الوسواس الا سد أبواب اشغالها وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم تسد بابه الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقال مداخل الوسواس من الباطن وبقى مع ذلك مداخل باطنه فى التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا يتمادى ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجرى فى بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن منه نوم لسبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يتقى شيطانه كما يتقى أحدكم بعيره فى سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا أسمن منك بالخمور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبنى بذكر الله تعالى فاهل التقوى لا يتمكن عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتمكن فى طرقها الخامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه فى غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يقع فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدى الى غوامض طرقه والافطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد

على ما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه وانما النور لا تظهر النفس بجهالة الا ويتسع بها بصريح العلم ومعنى يتأدب ومن أقام بادابه اطهرته فهو بقربها أقوم وعليها أقدر

(الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها)

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل فى التفسير يحبون أن يتطهروا من الاحداث والجنابات

الى الخاصات بالماء قال الكتابي هو غسل الاعضاء بالماء وقال علماء كانوا يستحبون الاستنجاء بالماء ولا يداومون بالغسل على الحجارة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ما ذا تفعلون في طهوركم فقالوا نتبع الاحجار الماء لان الله تعالى قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء فذكر ان ذلك كان قبل نزول الآية في أهل قباء

الذين لقنهم واتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر منها الواضح الذي لا يخفى الا أن ينطوي الانسان على ما هو كذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى بنات يخنقنها واتى في ثياب أهل الدين أتوا هما عند الراهب فاوقروا به الى ان يقتلها فلم يزالوا به حتى قتلها فلما كانت عند ما بلغها أتاه الشيطان فزين له ما قارفه ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فرموه الى الناس وقال الآن تفتضح يا تيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ما تت فتقتلها وتدفنها فاتى الشيطان أهلها فاوسوس اليهم واتى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه أهلها فسألوه عنها فقال ما تت فاخذوا يلتاومونه فاتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وانا الذي ألقيت في قلوب أهلها فاطعني تخبر أخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدة فسجد له سجدة فقال له الشيطان اني بري منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك فانظر الآن الى حيله واخطر اره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك اطاعته له في قبول البداية له ما جاءه وهو أمر حين ورد بما ظن صاحبه انه خير وحسنة فحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد منه مناصا فنعوذ بالله من تضييع أو ائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

(بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على مراقبة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية القلب عن وساوس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بعد معرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات المهلكات وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان وهي أربعة أبواب الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا غضب عند العقل طعم عند الشيطان وهو ما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة وقد روي أن موسى عليه السلام لقي ابليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأنا مخلوق من مخلوق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي الى ربك أن يتوب علي فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذا الامانة فقال موسى يا رب عبدك ابليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى الى موسى يا موسى قد قضيت حاجته على أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت ان تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني في عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قبلك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم اذكرني اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخت في انفه فاريه ما يصنع واذكرني حين تلقى

الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ربه وولده وأهله حتى يولي وايالك أن تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشاروا بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف مرض على الدناءة وامتناعه من السجود لآدم مبناه الحسد وهو أعظم مداخل الشيطان وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال أشد ما عند الغضب وعند الهوى فقد سمع أن ابليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال اللذة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي بحثت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حب الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر حينئذ فيجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وهاهنا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم مني وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أسعدك باثنين فأوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبني هما اللتان لا تخافاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فاما الحسد فانه لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص * ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه ما ليس من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه الملابس قال هذه الشهوات التي اصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلت عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من الطعام ابدا فقال له ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ويقال في كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثاني ان يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس ان يجيء فيه الامراض * ومن ابوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستصغره فيها طول عمره واذا اوتمه في ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه * ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس لانه اذا غلب الطمع على القلب لم

قيل لسليمان قد علمكم نسكم كل شيء حتى الخراءة فقال سليمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو ان نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا باقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم حدثنا شيخنا فخر الدين أبو النجيب اسماعيل قال أنا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا ابن محمد قال حدثنا ابن

يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير التسؤال رغبة والنظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملك اذا غضبت * ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور وقال صلى الله عليه وسلم التثبت من الشيطان والتأني من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يرتع الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روي أنه لما ولد لعيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الارض فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن انتوا بني آدم من قبل العجلة واتلفه * ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من صعه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشرة وانت تحتاج كل شهر منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعي شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه * قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرون بثباتهم ويقولون ما صبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يثوبون الى صلاتهم فيحيى ذلك فقال لهم ابليس رويدا يسلم عيسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا للشمع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك بباله ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف

المبارك عن ابن جريج عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد لولدكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (الفرض) في الاستنجاء بشيء آن ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا لحرمة أخرى ولا رمة وهي عظم

بين يدك الخادم المثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فتى ينشط لعبادة الله تعالى ؛ ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة ابن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فان يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق بجمع المال والاسواق هي معاش الشياطين وقال أبو أمامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعام لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء ؛ ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والنساك جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فاذا دخل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق وهكذا ان وافقا طبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له اذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأني لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بالاموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولاء عزيز الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدو الله ابليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تجنيه الصحابة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر أنه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

المسنة وتر يحب الوتر فاغسلوا ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد استنجاء الحجر سنة وقد قيل في الآية يحبون أن يتطهروا انهم المستنجون من ذلك قالوا كانوا يتبعون الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء اذا كان أرضا طاهرة وترابا طاهرا (وكيفية) الاستنجاء ان يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويديم

فاطمة رضي الله عنها وحتى يضعه منه اعلى فاني لا أغني عنك من الله شيأ وهذا مثال أوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فيا ليت شعري في العمل والسيرة التي هي مذهبي وصلكي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لاقوام قل من الله صنوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة ابناء الا بالتعصب فجرى ذلك في صدورهم ولم يفهموهم على مكايد الشيطان فيه بل قالوا ان الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم * وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فتعصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق اللعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها * ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاشتغال بالواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * ومن أبوابه سهل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يلبث أن يحدث لهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل اليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصيرها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور ويحسب أنه واقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فاشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه * والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فانما حظ العوام الورع ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير انشان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب بلجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما أوردنا ما أوردناه للمثال * ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه او ينظر الى اصاغره وينظر اليه بعين

الحجر في مرمى لا يثقل الخياسة من موضع الى موضع يفعل ذلك الى أن ينتهي الى موضع المخرج ويأخذ الثاني ويضعه على الاول ويفعل كذلك ويمسح الى المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول المسربة وان استعمل بجمر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء اذا انقطع البول فيمتذكره من أصله ثلاثا الى الحشفة بالرفق لئلا يندفق البول ثم ينثره ثلاثا ويحتاط في الاستبراء بالاستنشاء وهو ان يتنخم ثلاثا لان العروق

الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد فاتته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد واني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ٭ ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه واغلب أي غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذا بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاءها جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما السلاح في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سنبين أن شاء الله تعالى ثم اذا انقلعت من القلب أصول هذه الصفات سكنت الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان سنة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فخصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب سائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك شيء أو لم تمد يدك بشيء زجرته بان تقول له اخسأ فيبعد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لقم وهو جائع فانه لا يصبر على اللقم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يزجره عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت سنة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان وذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة في الحث على الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر فرد هين سمين كالس وشيطان

ممتنعة من اطلاق الى الذكر وبالفتح يخرج ويقذف ما في مجرى البول فان مشى خطوات وزاد في التخفيف فلا بأس ولكن يراعي هذا العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر الى أن لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الذكر بالضرع فقال لا يزال تظهر منه الرطوبة ما دام عنده فيراعي الحد في ذلك ويراعي الوتر في ذلك أيضا والمسحات تكون على الاربعين الطاهرة أو بحجر

المؤمن منزول أشعث أغبر عارفقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك منزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى الله فأكل بأثمانه واذا شرب سمى الله فأكل عطشانا واذا لبس سمى الله فأكل عريانا واذا ادهن سمى الله فأكل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه * وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فاكبته منا كما آيسته من رحمتك وقنطته منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال أنا ابليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها من أرادها فاصنع ما شئت * وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده مشعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه * وقال الحسن بلغنا أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فو الذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لعابه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير الذي سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فهي ما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان شعلا ولكنك ممن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والعدة مشغولة بغليظ الاطعمة فيطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء ونظافة المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية من الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بمسه فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمزيك في أودية الدنيا وهمها لكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر وخباثتها وصلاحها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا يجرم لا ينظرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضر وان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم

طاهر وان احتاج الى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار وتكون المركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستعملا باليمين واذا اراد استعمال الماء انتقل الى موضع آخر ويقضي حاجته عالم ينتشر البول على الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيها رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير

أن يفعله بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بخذلانه وكما أن الله تعالى قال ادعوني أستجب لكم وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك فقد شرط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة بعشر وما الذي أماتها قال عشان بعشر عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فوا طأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأوهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم وبتم عيونكم وراء ظهوركم وافترشتم جيوب الناس أمامكم فأين حظكم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختانة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع الشر ولا تسأل عن صفته كل المثل من حيث يوقى ولا تسأل عن المثل ولكن الذي ينفع بنور الاستبصار في شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فأما طريق الاستبصار فذكرناه في سلوك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمر مثبور والاعور ومبسوط وداسم وزلنبور فأما مثبور فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به وبين يديه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل الى اهله يريهم به العيب عند عشاه ويغضبه عليهم وما زلنبور فهو صاحب السوق فبينما لا تزال ترون متظلمين وشيطان الصلاة بعمى مختوب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر والصبر في كثرة الملائكة وأختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك لبصر صبيحة اهله لذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو يدلكم لرايتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يونس ابن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يا رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتخطرون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال

اما هذا فكان لا يستبرئ أولا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان في القبور يهود عن العيون وروى جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كان اذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانتى النبي عليه السلام حاجته فابعد في المذهب وروى أن النبي عليه السلام كان يتبرز حاجته كما يتبرز الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو ينشز من الارض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحلته في الصحراء أو بذيله اذا هنئ الثوب

اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوا وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال اني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم وهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه ثم نعود اليه فيعود فلا نتمكن يأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلنا مصرون لا نقدر منهم على شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يرا شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان (٣) هي حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه افضل الصلاة والسلام في صورته الاصلية وذلك انه سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بجوا فسدّ الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف أهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك المقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبيه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه لخرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم

من الرشاش ويستحب البول في أرض دمثة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يبول فاتى دمثا في أصل جدار فبال ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال في البنيان والاولى اجتنابه لخطاب بعض الفقهاء الى كراهة ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويتجنب مهبات الرياح استرازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد تاصبه لا أسبك تحسن المرأة فقال بلى وأبيك انها لماذق قال فصفها لي فقال أسعد البشر وأعد المدر وأستقبل

(٣) قوله لهما صورتان هي حقيقة الخ هكذا في الاصل الذي بايدينا واعمل في العبارة سقطا يعلم بالمداقة فليتامل اه

الشهادة لا يكون الا صورة مخيلة لان عالم الشهادة كله مخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الا حاكية للصفة وموافقة لها الا ان الصورة في عالم الملكوت ثابتة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني وحاكية لها بالصدق وكذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذا سر عجيب وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل وانما كذلك يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة حاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة حقيقة وينفرد بمشاهدته المكاشفون دون من سواه كالنائم

(بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمومها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به)

اعلم ان هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على بصيرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها كما كتبوها سيئة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسئلة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من سببها وظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كالوخطر له مثلا صورة امرأة وأثرها واعظهره في الطريق لو التفت اليها رآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو تركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي

الشيخ واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعني استقبل اصول المنبوت من الشيح وغيره واستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره ان يبول الرجل في المغتسل روى عبد الله بن مغفل ان النبي عليه السلام نهى ان يبول الرجل في مستحمه وقال ابن عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحم اذا جرى

فيه الملاو اذا كان في البنيان
يقدم رجله اليسرى لدخول
الخلاء ويقول في الدخول
بسم الله أعوذ بالله من الخبث
والخبائث حدثنا شيخنا
شيخ الاسلام ابو النجيب
السهروردي قال انا ابو
منصور القزاز قال أنا ابو بكر
الخطيب قال انا ابو عمرو
الهاشمي قال أنا ابو علي
اللؤلؤي قال انا ابو داود قال
ثنا عمرو وهو ابن مرزوق
البصري قال ثنا شعبة
عن قتادة عن النضر بن انس
عن زيد بن ارقم عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان
هذه الحشوش محتضرة فاذا
اتى احدكم الخلاء فليقل اعوذ
بالله من الخبث والخبائث

فيبقى ان ينظر اليها فان الطبع اذا لم تبعث الهمة والنية لم تندفع الصوارف فانه قد
يعتمد عياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال
محكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على
الالتفات وجزم النية فيه وبعد انصمامه بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون لمبدا
ضعيف ولكن اذا أضيف القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا
الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يتم بعدها لزم فيترك العمل وربما
يثقل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يسوقه عائق فيعتذر عليه العمل فههنا أربع
أحوال للقلب قبل العمل يابتداء لمحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم
فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة
لانهما لا يخلوان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن أمتي
ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تجيش في النفس ولا يتبعها عزم
على الفعل فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان
ابن مظعون حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال
مهلا ان من سنتي النكاح قال فنفسي تحدثني ان أجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب
الصيام قال نفسي تحدثني ان ارهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني
ان اترك اللحم قال مهلا فاني أحبه ولو اصبته لاكلته ولو شئت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر
التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا
تردد بين ان يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به
والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان
كان قد ترك خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه
وجها هذه نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع
بالجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة بقدر قوة مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى
والعمل لله تعالى اشد من جد في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فيكتب له حسنة لانه
رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفا
من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل
ما روي في الصحيح مفصلا في فقه الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة
عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها
فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال فان لم يعملها
أراد به تركها لله فأما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب
له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم أن من عزم ليلا
على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقصده
بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى

المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار مجرد الارادة من اهل النار مع انه قتل مقاوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة وتنقض العزم بالندم حسنة فان ذلك كتبت له حسنة فأما قوت المراد بها أنه وليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به تكليف مالا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كانما مالا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل مالا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا يتوان يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأنت اليه القلب وان افتوك وافتوك وقال انا نقول اذا حكم القلب الفاسق بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مذنبا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بنيته له فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يحل وطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها اجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلا ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا امتلأ مستوعبا بالذكر كان محجوبا من التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يقرع سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربهما انهما متصاحبة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة لتواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر

راد بالحديث الكنيف واصل الحش بساعة الخلاء الكنيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل ان تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة اي يحضرها الشياطين وفي ابليس للحاجة يعقد على الرجل اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط في الارض واسلأط وقت تورده ولا يكثر النظر الى عورته الا للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عوراتهم ما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه مغفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني ولا يستحب مستقبلا عليه

ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والتفكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون يجري الشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب الغزالي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه * والوسواس اصناف (الاول) ان يكون من جهة التلبيس بالطريق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان اترك التهم بالذنب فان الصبر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا يشعر احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجد ايمانه ويقينه يخنس الشيطان ويهرب اذ لا يستطيع ان يقول له النار ايسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالتحبب بعمله فيقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتفكر العبد حينئذ في معرفته وقلبه واعضاءه التي بها اعلى وعلى كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يتحبب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثاني) ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج وتحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما بقي مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة بوجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) ان تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا بحيث لا يكون الفهم مشتغلا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب ويعد هذا ان يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره الا أنه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستغرق فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بعقد اربع ركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله شيء حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه واذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن

في مثل

اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس دون عائشة رضي الله عنها عن أبيها ابي بكر رضي الله عنه انه قال استحوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأرخي ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربي

* (الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء واسراره) *

اذا أراد الوضوء يتسوك بالسواك (حدثنا) شيخنا ابو الطيب قال أنا ابو عبد الله الطاقي قال أنا الحافظ الفراء انا عبد الواحد بن أحمد الملحمي انا ابو منصور محمد بن محمد بن عبد الجبار ثنا محمد بن

في محل خصوص وبالجملة فما خلا الإنسان من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عسر اطرد يلا بعيد جدا وهو محال في الوسواس ولو يتخلص أحد من وساوس الشيطان بالجملة وتم بيع الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبي جهم وائتوني بانجبانيته وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا وتقدمها الآلوى والمفارقة فيها آدام يلتئم أو راهب تجرد ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ينفقه وكيف يجتمعه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهر وسرق يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أتعب نفسه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان باب ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبى أمره بالتحزن والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان أبى خلفه على أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيقبل فاذا جم اليه فيعجب بنفسه ويهلكه وعند ذلك تشتد اطاعته فانها آخر درجة ويعلم أنه لو بلغها وقف منه على البغية

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات)

اعلم ان القلب كما ذكرنا تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاسوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى خير منه فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا والله الاشارة بقوله تعالى وتقلب أفئدتهم وابصارهم ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان مما يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال عليه السلام مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقليبها من حيث لا تهتدي اليه المعرفة فلا يعرفها الا المقربون والراعون لاسرار الهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكاه بالرياضة وطهره عن خبائث الاخلاق تتقدس فيه خواطر الخير من خزائن الغيب وتدخل الملكوت فيتصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف

زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا محمد بن اسحق عن محمد ابن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لأخرت العشاء الى ثلث الليل واصرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروته عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص غسل الفم وروي السواك عند كل صلاة

دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار وأنوار تنكشف له بنور البصيرة وجوهه فيمكن بذلك لا بتمرين فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بالتقوى مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيرا صدا لها الا ان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى مخبآت أخرى سوى ما يتبصر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه والى الاشارة بقوله تعالى فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الزجاجة التي لا يخفى فيها الشر لشفافيتها الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوسوس خلف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب مصورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة (القلب الثاني) القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى وهو جمر فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعده عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلمته لانعكاس سنا العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتساعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان الموقفة والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسعى الشيطان وتحركت الطوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وربما قلبه هذا ساله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا أو غلام أعجبه وقلبه وطاش عقله وسقط مسالك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للثبات عند ظلمة رياسة او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يستقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أشد ذم أو ايذاء بل ربما لا يملك عليه تمام الوقاية المستمرة فينسى فيه المروأة والتقوى فكل ذلك لتساعد

وعند كل وضوء وقبل النفير الى الصلاة وغيره وأصل الازم من أزم وغيره وأصل الازم الامساك بالاسنان بعضها على بعض وقيل السكوت أزم لان الاسنان تنطبق فبذلك يتعسر الفم ويكره للصائم بعد الزوال وأمسك عن الشيء امتنع منه ويستحب لمن قبل الزوال وأمسك عن استعماله مع غسل الفم وعند القيام من النوم وعند دخول المنزل والسواك بالماء ويستحب عرضا وطولا فان اقتصر على أحدهما فالطول أفضل من العرض والاولى ان يكون للاعلى والاسفل ان يكون

دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ مصباح نوره فينطفئ نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب تهب فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلمحه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتجذبه النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حمله على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتقوتى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتجبر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أفتريد أن يرتدى فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يتقوا الا ما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقاد اليه فيحمل الملك حمله على الشيطان ويقول هل هلاك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة أفتنتفع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد أم تستقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستقل ألم النار أفتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تعتمل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين مجاذبا بين الجزبين الى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرنا غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معوضا من حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه ويجرى على موجب سابق القدر ما هو سبب سعيه عن الله تعالى وان كان الانجلاب على القلب الصفات الملكية لم يسع القلب الى اغواء الشيطان ولم تحبر نفسه اياه على المعاصى وتهويته أمر الا تثر قبل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقليب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الخلائق وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى اذا ظهرت صارت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء من خلق للجنة فيسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان فانها بأنواع الحكم يغرى الملعون بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم مذنبون فلا تخالفهم وان العمر طويل فاستدرك بعد ذلك ما يفوتك وهم يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيما لكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فوسع قابله القبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح

مستقبل القبلة ويقول
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ
بك رب ان يحضرون ويقول
عند غسل اليد اللهم انى
اسألك اليمن والبركة واعوذ
بك من الشؤم والهلكة
ويقول عند المضمضة اللهم
سهل على تحمله واعنى على
تلاوة كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند الاستنشاق
اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد وأوجدنى رائحة الجنة
وانت عنى راض ويقول

صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف أخلاق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة واعلم أنه سيتكرر ذلك منه ما يحتاج اليه لمعرفة أنواع علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا ينتفع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وانما ذكرناه كفاية لمن وفقه الله تعالى والله ولي التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبده مصطفى

* (كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وبرسمه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف لحقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهر وجوه الاسلام من ظلمة الكفر وديباجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بتلبيله ولا بكثيره (أما بعد) فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والخزي الفاضحة والرذائل الواقحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما أن الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الذميمة امراض القلوب واسقام النفوس الآتية مرض يفوت حياة الابد وآخر منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد وبهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين المعالجة للابدان وليس في مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفيها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وتزايدت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة علاجها وأسبابها ثم الى تشمير

في

في علاجها واصلاحها فاما جلبها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك باق في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال التفت قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم

وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وغشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك ويقول عند مسح الأذنين اللهم صل على محمد واجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وأعوذ بك أن تزل قدمي

وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد الخدري قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة
والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم
المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب
يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله
عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم اخلاقا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا
تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين
الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن الاخلاق
لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت وقال انس بينما نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس
الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن
الخلق وقال عليه السلام لأبي ذر يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال
قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت
ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم
حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك
درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال
عبد الرحمن بن عمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا
من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى وقال
أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف
المنازل وانه لضعيف في العبادة وروي أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه
وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن
عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر
رضي الله عنه مم تضحك أبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما
سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل على عمر
فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده
ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب
لا يغفر وسوء الظن خطيئة لا تنوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك
جهنم (الآثار) قال ابن القيم ان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الانسان خير قال الدين

قال

عن الصراط يوم تزل فيه
أقدام المنافقين واذا فرغ
من الوضوء يرفع رأسه الى
السماء ويقول أشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا أنت
عملت سوأ وظلمت نفسي
أستغفرك وأتوب اليك
فاغفر لي وتب علي انك
أنت التواب الرحيم اللهم
صل على محمد واجعلني
من التوابين واجعلني من
المتطهرين واجعلني صبورا
شكورا واجعلني أذكرك
كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا
وقرأ نقض الوضوء والنية عند
غسل الوجه وغسل الوجه

قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يابنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو رفيق تقى ولله ولى ومن الشيطان برى وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس ابن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترتفع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق * وعجب ابن المبارك رجل سيئ الخلق فى سفر فكان يحمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال البنيسد اربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله فى كتابه العزيز ان أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا الثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر جملته وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال ناصح الكرمانى هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا فيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو ارضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يهم الخلق فى الرزق وينق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال على رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بسط الحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون للهم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل

وحد الوجه من مبتدا تسطيح الوجه الى منتهى الذقن وعاطفاه من اللحية وما استرسل منها ومن الاذن الى الاذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وبالخفيف عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر اللحية الخفيف وهو القدر الذى يرى بشرته من الوجه ويوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب واللحية ان كانت عند ذلك ثم اللحية ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف

الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة والكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد مضروب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر ورؤية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور وبمعالجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوتا رسوخ وانما اشترطنا أن تصدر منه الافعال بسهولة من غير رؤية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد ورؤية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح * والثانى القدرة عليهما * والثالث المعرفة بهما * والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فربما تخلق السخاء ولا يبذل اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح بهما على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا اعتدلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها فى أن تصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت اشارة الحكمة أعنى اشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه

أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجب فى تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين الواجب الثالث غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافر حتى خرجت من رؤس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح الواجب الرابع مسح الراس ويكفى ما يطلق عليه اسم المسح والسليخاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى الموضع

يحتاج الى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مرروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا وخمودا وهو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرف زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا أمهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويحملهما على مقتضى الحكمة ويضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها ومن اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شئ دون شئ والفرق بين الحمق والجنون أن الاحمق متصوره صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض وأما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه الحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واحتقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول

الذي بدأ منه ويكفي بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا (والواجب الخامس) غسل القدمين ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما الى أنصاف الساقين ويبتدئ غسل المقدمين من المرفقين ويجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن المقدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وان كان في الرجل شقوق يجب ايصال الماء الى باطنها وان نزل في العين شئ أو نحوه يجب ازالة عين الشئ (الواجب السادس) الترتيب على النسق

الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا
يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انسلخ من هذه الاخلاق كلها
واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين
المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب اليه
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن
الى هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله
من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء
الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال
قوة الغضب على شرط العقل وسد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على
الكفار رحماء بينهم اشارة الى أن الشدة منها والرحمة منها فليس الكمال في الشدة كل
حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وفروعه

* (بيان قبول الاخلاق التغيير بطريق الرياضة) *

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس
وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث طينته فزعم أن
الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين * أحدهما أن الخلق هو
صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير
لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على
تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى * والثاني انهم قالوا حسن الخلق
يتبع سخاوة النفس والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج
والطبع فانه قلما ينقطع من الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع
التفات القلب الى ما فات عنه العاجلة وذلك محال وبوجوده فضول لو كانت الاخلاق لا تقبل
التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا
أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من
الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من
الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق * والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن
نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء
والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل
كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد
أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا تقبل الا أنها خلقت
خلقة يمكن ان تصير تفاحة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت
النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو
أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما

وقودهما

المذكور في كلام الله تعالى
(الواجب السابع) التتابع
في القول القديم عند
الشافعي رحمه الله تعالى
وحد التفريق الذي يقطع
التتابع نشف العضو مع
اعتدال الهواء (وسنن
الوضوء ثلاثة عشر) التسمية
في أول الطهارة وغسل
اليدين الى الكوعين
والمضمضة والاستنشاق
والمبالغة فيهما فيغرغر في
المضمضة حتى يرد الماء الى
الفم ويستنثر في
الاستنشاق الماء بالنفس
الى المنخرين ويرفق في ذلك
ان كان صائما وتخليل
اللحية الكثة وتخليل

وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى ثم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة واعتدادها في الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن اخلاق قد تكون كثيرة العمل بمقتضاها والطاعة لها باعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب * الاولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا للشهوات به واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن لم تتصيرفي عمله فأمره أصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع مارسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه هيئة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة قابل للرياضة ان تعرض لها بجد وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد في الاخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وترى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لقوة أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك المنهوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذي استدل به وهو قولهم ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية وقهرها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك وبهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق وقال تعالى

الاصابع المفرجة والبداءة باليمين واطالة الغسرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الاذنين والتثليث وفي القول بتبديد التتابع * ويجتنب أن يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء بشرط أن يصلي بالوضوء ما لم يسمع سنة والافكروه

(الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء)

آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام

أدبهم في الوضوء مختصر القلب في

والسكاطين الغبيا والعاقين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فوق الغضب والشهوة الى حد
الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يحكمون العقل هو الضابط لهما
والغالب عليهما ما أمكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث
لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل
أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو
الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان الشخص الخلق بخمود شرعا هو وسط بين طرفي التبذير
والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب
في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين وقال في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم
خير الامور اوساطها وهذا الخبر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض
هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والجمل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا
من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون
حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما
أن الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن
الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين
وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه نضال عن الوصفين فكذلك
السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك
سائر الاخلاق فكل طرف من الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن ثم يجب على الشيخ المرشد
للمريد أن يقمع عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو
رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استيفاء بخله وغضبه وظن أنه القدر المرخص فيه فاذا
قد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له
أن يقطع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكتفي هذا السر للمريد فانه موضع
غرور والحق أن يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن امساكه بحق

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة
الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة والشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين
أحدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد
كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقا معتدلين منقادين للعقل والشرع فيصير عالما بغير
تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء
صلوات الله عليهم أجمعين ولا بعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي
خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد وبمخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم * والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة

غسل الاعضاء سمعت بعض
الصالحين يقول اذا حضر
القلب في الوضوء يحضر في
الصلاة واذا دخل السهو
فيه دخلت الوسوسة في
الصلاة * ومن آدابه
استدامة الوضوء والوضوء
سلاح المؤمن وبالوضوء يطفأ
كانت في عباءة الوضوء الذي
هو أثر شرعي يغسل طرفي
الشيطان عليها * قال عدي
بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت الا وأنا على وضوء
وقال أنس بن مالك قدم
النبي عليه السلام المدينة
وأبو بكر ابن عثمان سنين
فقال لي بابني ان استطعت

والرياضة وأعني بتحصيل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يسلمه دون الذي يسلمه عن كراهة وملة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس مالم تتعود النفس جميع العبادات الحسنة ومالم تترك جميع الافعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة المواظبة على حسن الخلق استلذاذا للطاعة واستحقارا للمعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق أقوى وأرسخ وانما تعود العبادات تأثيرها في القلب وانما يكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات ونهاية هذه الاخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحه به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هي قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمتنعمين في أحزان دائمة ونرى اقاصر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وباطله فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقتنص طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بألم الفرح بمراعاة الطيور وحركاتها وطيرانها وتعليقها في جو السماء بل نرى الناس يفتخرون بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متجمع بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم اربا اربا على أن يقترح عليه اسقاط ما أو تعاطي غيره فيصبر على الانكار ولا يبالي

ان لا تزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطي الشهادة فشأن العاقل ان يكون أبدا مستعد الموت وفي الاستعداد لزوم الطهارة (وحكي) عن المصري انه قال مهما أتنبه من الليل لا يحلو لي النوم الا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء وما زال يعود الى النوم وانا على غير طهارة (وسمعت) من جدي الشيخ علي بن الهيتمي انه كان يتعاهد الليل بجملته فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكان أتنبه يقول لا أكون أسأت الادب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالعقوبات فربما يعتقده كالاوضاع وربما ليسة فقد صارت أسوأ الامم مافيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لاصالة أخس وأقبح من مال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر وبشم الوجه وبهذا العلة النساء فترى المخنث في فرح جماله وافتخاره بكماله في مخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الجماعين والكاسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الماولة والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على غط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في الخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فتكيف لاتستلذ الحق لوردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يشاهي الميل الى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فأما ميل الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله الى مقتضيات الشهوة قريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سيان لحياتها فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان أحب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لايدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من يجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لاتتحرك الا على وفقها الا بحالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخط مذهبا في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا أن يتعاطى بمجارسة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لايزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه أثر الى القلب ثم انفيض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنطبع منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير متخلقا بخلق النفس محمودا متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بمعصية يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الايمان عند الخاتمة

قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بارجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا أرجى عندي اني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لي ان أصلي * ومن أدبهم في الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا الفتح الهروي قال انا أبو نصر الترياقي أخبرنا أبو محمد الجراحي انا أبو العباس المحبوبي انا أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد

وكما أن تكرار الليلة لا يحس تأثيرها في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان لها الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا ولها أثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الاحوال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير بجبلته من تطاعرت في جبلته الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان ذا لا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات وتكل درجة في القرب والبعد بحسب ما قدمنا فيه صفته وحال الفريقين يسهل بمثقال ذرة خير ايره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

* (بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق) *

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال مرض وهي فيها كان الاعتدال في مزاج البدن هو صحته والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنحذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بحور الرذائل والاخلاق الرديئة منها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بحور العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالتعهد والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب حفظ القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة فضائلها وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي أن تسعى لجلب ذلك اليها وكما أن العلة المضرة لاعتدال

عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء قال أبو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد ان يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يالي ان يأخذ نصيبه بان يزاد وا فيما أمروا به ويتقصوا عنه (وحكي) عن ابن الكريني انه اصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى الجبل وكان برد شديد فخرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال أحتاجه

البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من مرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض البخل بالتعلم ومرض الجهل بالتحفي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشهوات وكما أنه لا يؤمن من الاعتلال بمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لدواء مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لصلة سيما الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ومقدار يختلف ذلك باختلاف الشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار العدل فكذلك ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من مرارة أو برودة فان كانت من مرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فاذا عرف ذلك التفت الى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بضدها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطلب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأماتت قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا بها لا يحسن ورود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بحمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه انظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفقد من لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فمأموره أن يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تتكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه ماثلا الى ذلك فربما ملقنا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم وبدنهم ويتنوعون ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما فهما عابد غير الله تعالى فقد تجنب عن الله ومن راءى في قربة شاركه فيها ولا وطهر امراءاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يحسن ترك الرعونة رأسا أو يترك صفة أخرى ولم يسمح بتركها دفعة فينبغي أن ينقله من اخلاق المذموم الى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء

ان لا ترحمن بدني حتى تجيف فكنت عليه شهرا لخبثها وغلظها ادب بذلك نفسه لما حرمت عن الاستمرار لامر الله (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس وامانة الشهوات وكسر القوة ومن افعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لا يحمل معه الا كوة من الماء وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى

اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغبه الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينتقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينتقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينتقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينتقل الى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يتطرد على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء وينهاه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا عالج في مبدإ الارادة أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وساط عليه من يحجبه عن فيه وعن كل ما يغضبه حتى يعود نفسه على الاحتمال معه كما حكي عن بعضهم انه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس وهو نهاية الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتي في بقية الكتاب وانما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسالك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ولا يكون ذلك الا بتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك فاسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة يعاقبه كما ذكرنا في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة فلعلها تسوف وتستحلي عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

(بيان علامات امراض القلوب وعلاماتها وعودها الى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لعمل خاص به واغراض فيه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض البدن أن يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستهانة بجميع الشهوات والاعتياض عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس

التيمم يحفظ الماء للوضوء أو يقنع بالقليل للشرب *وقيل اذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى * وحكي عن بعضهم انه أدب نفسه في الطهارة الى حد انه أقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فاراد أحدهم دخول الخلاء لانه كان يقضي حاجته اذا خلا الموضع في وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما أقام دخل الماء وغسل نفسه فمات غرقا

التي للآدمي ما يتميز بها من البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم الى قوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عندي شئ أحب اليه من الله فقلبه مريض كما أن من كل معدته صارت طافحة من أحب اليها من الخبز والماء أو ستطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا أقل من الامراض مما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فذلك يقتل صاحبه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض من منا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآة فهذه علامات أصول الامراض وأما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك البعد من الله عز وجل وانما علاجه بذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد على الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فاعلم أن الغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساك حاجة محتاج أو بذل حاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا مشوقة الى أسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها راجعة النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط

المستقيم

ويمات فيه كل ذلك بحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن أدهم به قيام فقام في ليلة واحدة ينفاوس بين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين * وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت الخلاء فرأى في الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي انا أبو الفتح انا أبو نصر انا أبو محمد انا أبو العباس انا أبو عيسى الترمذي حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا عبد الله بن وهب

المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه وبذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتيازه على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كانوا قد مروا على الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ يجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فلنتكلم على عيوب النفس واخلاقه وامدادها ولنشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الاول) أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فمعرفة استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده (الثاني) أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلازمه أحواله وأفعاله فاكرم من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليها فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستحيى فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدتك وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كنتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت همته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد يزل فيه الاصدقاء من يستر لهم المداهنة فيخبر بالصواب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا محالة في أصدقائك من يحسدك أو صاحب غرض يرى سالبس بسبب عيبا أو عن صداقة من يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع باقوام يغتابون عيوبي فكانت شهوة قدري الدين أن يتبرأ الصديق بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في زماننا الى أن أبغض أخلاق الناس من يتصدى ليعرفنا عيوبنا وبكاد هذا أن يكون مضمحلا من عنفوان الايمان فان الاخلاق السيئة صفات وعقارب الداغة الموبقة منا منه على أن تحت نوبتا عقرب التقلد بأمنه منة وفي حجابه

عن زيد بن حباب عن ابي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة فشف بها بعد الوضوء وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستشفى الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والاخلاق المذمومة لا الاستشفاء في طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع حكون النصارى لا يحترزون عن الخمر واجرى الامر على الظاهر

واشتغلنا بازالة العقوبة وابعادها وقتلها واماتة كآبتها على البدن ويدوم ألمها يوما فيوما دونه وبكآبة الاخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو الا فامن السعيدين ثم انا لا نفرغ عن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت ونشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصرنا بعيوبنا ويشغلنا بعداوتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساوي وأعدل الناس الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من اتقاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع يحمل على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيه باين اخلاق فليطالب نفسه وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيون غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فاذا تفقد نفسه وبطهرها عن كل ما ينفره من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب * قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله سهل من فقد شيخا عارفا فذاك كالطبيب المشفق الناصح في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه ويبصره من الهلاك الذي هو بصدده

* (بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في مصابحة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة امراضها هي اتباع الشهوات) *

اعلم أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التقليد والتقليد لن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وعد الله تعالى قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى وينهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا

واصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجمعون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الطرق في الاستنجاء في بعض الاوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم في الطهارة الباطنة وهكذا

عقورها عن تحبيبه وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قفلوا من البعوث قدمتم من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء من نفسه ولا
تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا قضى عليك يوم القيامة فليس يعضك بضعة الا أن يقف الله
تعالى ويستره وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشق علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو
العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الدنيا تتنعمين ولا في طلب الآخرة
مع العباد تجتهدين كلا بل بين البينة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدنيا
الجوع بأحوج الى الطعام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأساس
الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والنوم من المنام والمجتمع من الكلام
والعمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موتة الشهوات ومن قلة المنام صفو
الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات
وليس على المبتدئ أشد من الجوع عند ابتدائها والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة
الشهوات والآثام وهاجت منها ملاوة فضول الكلام يردت عليها سيوف قلة الطعام من
غمد التهجد وقلة المنام وضربها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن التعلم والانتقام
فتأمن من براثنها من بين سائر الانام وتصيرها من ملة شهواتها اقتحموا من غوائل آفاتها فتصير
عند ذلك نفسه نورية شفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسرع في مسالك الطاعات
كالفرس القارح في الميدان وكالملك المتمرن في الميدان وقال ابن أدهم أعداء الانسان ثلاثة دنياه
وشيطانه ونفسه فاستعرس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك
الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في جميع شهواتها محبوسا
في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال
بحشر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق
من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زهد على
الطيب فيه شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليهيء لها الذل ويروى ان امرأة العزيز قالت
ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه
وكان يركب في زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية
وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له انما الحرس والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذل الجزاء المتقين
وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا كما قال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أربعين سنة ما تقدمت الى وردي فلم أجد الحلاوة التي
كنت أجدها فاردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا برجل ملتف في عباءة
مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد
فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحول لي قلبك فقد فعل فما حاجتك قال فتى يصير ما النفس
دواءها قلت اذا ألفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمي فقد أجبتك بهذا سبع

شغل الصوفية وقد يكون
في بعض الاشخاص تشدد
في الطهارة ويكون مستند
ذلك وسوسة النفس فاياك
توبة يخرج ولا يبالي بما
في باطنه من الغل والحقد
والكبر والعجب والرياء
والنفاق ولعله ينكر على
الشخص لو داس الارض
حافيا مع وجود رخصة
الشرع ولا ينكر عليه ان
يتكلم بكلمة غيبة يخرب
بها دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأدب بصحبة
الصادقين من العلماء
الراسخين وكانوا يكرهون
كثرة الملابس الاستبرا لانه
ربما يسترخي العرق
ولا يمسك البول ويتولد منه
القطر القوط (من حكايات)

من اتقايت أن تسمعه الامن ايليه ما قد سمعته ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني اليأس اليأس في الدنيا العلي الأعرف في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله لما أمنعك الامن كرامتك علي فاذا اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بترك النفس عن الهوى وكف النفس عن الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة في أمرها أن لا تمنع النفس شيئا مما لا بد منه في التسبب الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء نفسه أنس به وألفه فاذا مات عنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتهنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فمتى لم يقتدر على حقيقة ذلك فليتقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات الاسبقة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه الا من حيث سمع بلسانه فتحرك به بالسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا يسلم من ورود النار الا انه يخرج منها صريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة اذ قد ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من جميع فؤاده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من هذا فانك أنت الملاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح المباح عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاشتريت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أراك حالا مع الله عز وجل فاوصني فقال اياك أن تحمل من هذه الزنابير فقال رأيتك حالا مع الله تعالى فاوصني فقال أن تحمل من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولذع الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أنعم خبزة في دبس فما أطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب الا بطريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات في الدين حتى تموت نفسه

المتوضئة في الوضوء والطهارات ان أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج الى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يستعمل الثنى عشرة سنة لان الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فعالجوا له الادوية الكثيرة فلم يبرأ وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوي يحتاج الى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

(الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلوات وكبيرها)

شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رعي البصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظمها من هذه وهو أن النفس تتوسع بالتنعم في الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها أشرا وبطرا حتى تصير غفلة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الآية وحاصل ذلك ذمها فنسأل الله السلامة فأولى الخلق بالحزن أرباب القلوب بجرائمهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا لهم بعدوها قاسية تنفرة بسبب التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجزعوها في حالة الحزن بعدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر النصح فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والبعد عن أسباب الفرح والبطر فتعلموها عن هلاكها وعودوها الصبر عن شهواتها حتى لها وسرائها وعلموا أن حلالها سحاب وسرائها عقاب ومنشأها عتاب وهو نوع عذاب فمن توقش الحساب في مرضات الله فقد عذب نفسه وأتعبها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات وربقها والانس بذكر الله عز وجل والاستعانة بطاعته وفعل ما يحبه فعل البازي اذا قصد تأديبه ونقله من التوحيد والاستيحاش الى الانقياد والتأديب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحمل به الطعام عن الطيران في جو الهواء ومن ما فكان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه فاذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف تركها ولا تأنس بذكر الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا بحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الصمت والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عرضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فذلك يشتد بكاؤه ومزعجه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأى بعينه ومارس عظم تعبه في الصبر عليه وغلبه بالجوع تناول الطعام فكذلك ينبغي أن يصبر لطبعه على ما يريد بعد ذلك الى الذي لم يرجع اليه فيجبر النفسي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع من السراح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في مرعاها تتفلت فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتاديبها بان تمنع من النظر والانس والترويح بنعيم الدنيا بل بكل ما يميل اليها بالموت اذ فضل له أسبب ما أحبيت فانك مفارقه فاذا علم ان من أحب شيئا يلزمه فراقه عن قريب لا محالة اشتغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك

(روى) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبرائيل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والمشية المعوجة اذا أراد راكبها تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد

يتم بالصبر ولا أيام قلائل ثان الصبر قليل بالاضافة الى سعادة الآخرة وما من عاقل الا ويؤثر باحتمال المشقة في سفر وتألم صناعة وغير ذلك شهورا لتنعم بقية سنة أو عمره أو كل الصبر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا يفوت من الصبر والمجاهدة فتح الصباح يحمد القوم السرى وفتح عليهم غايات الكرى كما قال علي رضي الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان مختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالتفوق في القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك فقبل ذلك ثوابك في الآخرة لم ينتصر بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو من فرح بالجاه الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس وليتفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والتفكر فيه وليتعمد لما يبدو في نفسه من شهوة وسوء أدب حتى يتتبع مادته بالمجاهدة فان الكل بوسوسة الشيطان ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والملازمة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للعبد آخر الا الموت

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا باشر نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي جملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فانوه بجملة من ذلك لتعلم آية حسن خلق قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات ثم جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وبحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة رأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه وجمع

اعوجاج لو يعود نفسه الاستقامة بالصوم وسمات الاستقامة بالصوم وسمات وجهه الله الكريم الذي لو كشف حجابه لأحرقت من أدركه بصيب بهما المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصلي بنار الصلاة وقال اصطلي بنار الصلاة وقال اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم لاتصاله القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضي الدين أحمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا أبو سعيد بن أبي العباس بن

بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول بتاً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حليماً فقيهاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا لعاباً ولا مغتاباً ولا نمولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال خاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من مكل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يتقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يرفع ويخشى الفساد والمنافق يتلع ويرجو الفساد والمؤمن يأمر وينهى السياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد والمؤمن يحسن خلقه حتى الصبر على الأذى واحتمال البلاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجبذه بردائه شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية فقال أنس رضي الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر باعطائه ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوماً الى بعض البراري فاستقبله رجل يعدو فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فقال له انما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه وربطها الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الخبر فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الرجل عن فرسه وقبل يديه ورجليه وبعد يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال أردت أن يسألني عبد من أنت قيل قال أنت عبد فقلت نعم لأني عبد الله فما ضربت رأسي سألت الله الجنة قيل كيف وقصة ذلك فقال علمت أن أجري على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر وروي أبو عثمان الحيري الدعوة وكان الداعي قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وعد فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعا ثانياً فقال له الأستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عاد ذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب عليه وقبله وقال يا أستاذ انما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذي رأيته مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي أجاب واذا زجر انزجر وروي عنه أيضاً انه اجتاز يوماً في سكة فطرحت عليه اجانة وما فنزل عن دابته فصب جبذة الشكر ثم

محمد الخليلي قال أنا أبو سعيد الفرغاني أنا أبو اسحق أحمد بن محمد أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن انا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا جعفر بن احمد ابن الحسن انا احمد بن نصير ثنا آدم بن أبي اياس عن الحلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي فاذا قال الرحمن

يجعل يتفقد الرماد من ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الآن يبعثهم فقال ان من اشفق الناس على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى وروى أن علي بن موسى الرضا عليه السلام كان لونه يميل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور بستاني يحسن على بابه داره وكان اذا أراد دخول الحمام فوضع ثيابه الى الماء فيدخل ذات يوم فاغلق الماء الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل وسرق ثيابه الى باب الحمام ففتحه ودخل فتزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الى الماء فقام علي بن موسى واغتسل جميع ما حمله كان يأمره به فرجع الماء فرأى ثياب البستاني وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الماء فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب انما الذنب لمن وضع ماء عند أمة سوداء وروى ان أبا عبد الله عليه السلام كان يجلس على دكانه وكان له جريف يجلس يستعمله في الخياطة فكان اذا خاط له شيئا عمل له دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فاذ الجريفي قد وضع الى تلميذه الابرة واستوجر ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال لبئس ما عملت هذا الجريفي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأنت في الدراهم هنه وألقيها في البئر لئلا يخرجها عملا وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف ومحسن الائتلاف وترك طلب المقدرات وتحسين ما يبدو من السقطات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفقد بعرف فضل ذوي الفضل وستر عيوب غيره وملاقاة الوجه للصغير والكبير وايطاف الكلام ان دونه وان فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه احتمال الاذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس من تعلمت الحلم فقال لم من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ أتته جارية له بشواء عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل لاياس القرشي حسبك ان اذا رأى الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فثاربوني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يعبأ به وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان فيك بقية فتمسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك وروي أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتي قال أمنت عقوبتك فقال الحمد لله فقد كملت فضائل امرأة مالك بن دينار وهي قالت له يا مالك ما هذه وجدت اسمي الذي أعرف به أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام اسود فقيل له لم تمسكه فقال لا تعلم اسلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل واطمأنت بواطنها فاغترت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهو لا عظمت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا فمن لم يصادف من نفسه هذه

الرحيم قال الله تعالى أنفق على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فالصلاة صلة بين الرب والعبد وبحسب ما كان صلة بينه وبين الله يحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية عليه العبودية وقد ورد أن الله تعالى اذا تجلى لشيء خشع له وعن تحقق بالصلاة في الصلاة تتابع له طوالع التجلي فيخشع والخاشع

العلامات

العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة
الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

في بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم وصباه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه
الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش وما مال به الى كل
ما يمال به فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل
معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه
والوالي له وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وحقهما كان الاب
يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن
الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية
فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فهو للذي هلك الابوان ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل
في صباه ما يضاده الا مر أقسام يحتاج في كل قسم منها الى أن يتلطف في تأديبه فاذا وقع عليه نشو الصبي ونجمت طينته من لطيف فجبل طبعه الى ما يناسب
الطبائع وبهيمة ما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك طهوره وأوائل
الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل
عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا وخجلا فالمبعض فصار يستحي من شيء دون شيء ويعده هذيانا من
الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وهو بناء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند
البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بجماعة وغيره وأول ما يغلب
عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن
يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر الى الطعام قبل غيره وأن
لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وأن لا يسرع في الاكل وأن يجتنب الملح وأن لا يوالي بين
اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يستهر بحيث يرى
الادم مقصورا يقبح عنده كثرة الاكل بأن يشبهه كل من يكثر الاكل بالبهائم وبأن يتم بين يديه
الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وأن يجنب اليه الايثار
بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وأن يجنب اليه من
الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال
يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي ان
يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب
الفاخرة وعن مخالطة كل من يستهان بالنظر فيه فان الصبي مهما ألف في ابتداء نشوه شيئا
في الاغلب يربى عليه الاخلاق كذا بالحسود اسرع وقناعته اطرحها فضول وشحه وكذا وسخا وانما
يحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب بتعلم القرآن وأحاديث الاخيار
وحكايات الابرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر
العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يتعودون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان

ويناسبها النشوء ينتفي
النسلاح وقال الله تعالى
وأقم الصلاة لذكري واذا
كانت الصلاة للذكر كيف
يشتغل فيها النسيان قال الله
تعالى ولا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون فمن قال ولا يصلي
ما يقول كيف يصلي وقد
نهاه الله عن ذلك فالسكران
بقول الشيء لا يحضر عقل
والعاقل يصلي لا يحضر
عقل فهو كالسكران وقيل
في قوله تعالى في تفسير قوله
تعالى اخلع نعليك انك
بالوادي المقدس طوى قيل
نعليك همك وأمر أن

ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما نظر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي
أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض
الأحوال عرفوا حد فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور
أن يقدم أحد على مثله ولا سيما اذا استره الصبي وأبدى فيه أنه فان اظهار ذلك عليه ربما
يغريه بمعاودته حتى لا يبالي بالمكاشفة فمن هذا الثاني ينبغي أن يعاتب سرا ويعظم
الأمر فيه ويقال له اياك أن تعود مثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا التشخص بين
الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح
ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب ساقط الهيبة الكلام معه فلا يوجب الا احتراما
والاحتشام فيسهل الانزجار عن القبائح وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا
يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التيقظ
بل يعود الخشونة في الفرش واللبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعل في سنه فانه لا يشتهيه
الا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا تعود ترك فعل التقبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة
والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي
يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يلبسه أو يركبه أو أبيه من
مطاعمه وملابسه أو لوسعه ودوابه بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف
في الكلام معهم ويمنع من أن يباشر من الصبيان شيء أبناء السفلة ان كان من أولاد المحتشمين بل
يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وأن الاستئثار وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء
فيعلم ان الطمع والاستئثار دناءة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتربص في انتظار القسمة
والطمع فيها ويجلب بذلك ينبغي الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذرهم أكثر
مما يحذر من السباع والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أشر من آفة
السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا
يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يتمغ ويتمطى على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعتمد
رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك
يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا وصادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك
في الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم الا جوابا بقدر السؤال وأن يحسن
الاستماع مهما تكلم غيره من هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس
بين يديه ويمنع من لغو الكلام وبذيئه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء
من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء
وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك
دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد
الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح به من تعب المكتب بحيث لا يتعب
في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص
عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه وموذبه

وكل

وعند قال الاقامة بغير الله سكر
في الصلاة وقيل صحكان
أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينعسون وأيديهم
الى السماء في الصلاة
ويقول ربنا ربنا وثم الا قليلا
نزلت الذين هم في صلاتهم
خاشعون يعلمون وجوههم
حيث يسجدون ومارؤى
بعد ذلك أحد منهم ينظر
الا الى الارض وروى أبو
هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان العبد اذا قام الى
الصلاة فانه بين يدي الرحمن
فاذا التفت قال له الرب
الى من تلتفت الى من هو

وكل من هو آكد منه مما من قريب وأجنبي وأن يقدم لهم من الجلالة والتعظيم وأن يتواضع
للعرب بين أيديهم وما يليق من التقديم فينبغي أن لا يشتغل في تلك الطهارة والصلاة ويؤمر
بالصوم في بعض أيام سنة وينبغي أيس أمر بالسباق والركب ويعلم كل ما يحتاج اليه من
عدد الشمع ويخوف من السرقة وأكل الطعام ومن الطيالسة والكتب والفرش ويحتمل
ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشره كذلك الى أن يبلغوا الباوغ أمكن أن يعرف أسرار
هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله
عز وجل وأن الدنيا كلها لا أصل لها الا بقاءها وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار مر لا دار مقر
وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود
من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان الفتى عاملا
كان هذا الكلام عند الباوغ واقعا موقعا ثابتا في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع
النقش بخلاف ذلك محق الصبا الصبي الصبر والنقش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتقاعد عن قبول الخير وعوقب الأطباء عن التراب اليابس فأوائل الامور هي التي ينبغي
أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين
قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه قال
سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر الى صلاة خالي محمد بن سوار
فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك
ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك
فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة
فقلته فوقع في قلبي حلاوته فيما كان بمدينة فقال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل
القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل أداوم على ذلك سنين فوجدت ذلك حلاوة في سري ثم قال لي
خالي يا اسماعيل من كان الله معه ونظر اليه ورآه مطلعا عليه أيعصيه فلما وقر هذا الكلام في قلبي
تحفظت من المعاصي فكنت أخاف أن تطلع نفسي فيعتوا بي الى المكتب فقلت اني لا أخشى أن يتفرق علي قلبي ونفسي ولكن شارطوا المعلم
أني أذهب اليه ساعة فاتعلم ثم أرجع فمضيت الى المكتب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست
سنين أو سبع سنين وحفظت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي
مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني الى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت
البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد منهم شيئا فرجعت الى عباد ان الى رجل يعرف بأبي حبيب
حمزة بن أبي عبد الله العبادان فسألته عنها فلما بلغ فاتحة عنده سمعته يتنفس بكلامه وأدبني
بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يستقيم لي به جسم من الشعير الدقيق
فيطحن ويجعل فاطر عند السحر على أوقية كل ليلة بجنابة بغير علم ولا أدم فمكثت بذلك سبع
سنين ثم عزمت على أن أواصل ثلاثة أيام ثم أفطر ليلة ثم فعلت ذلك خمسة أيام ثم خمسا
وعشرين ليلة فمكثت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الارض سنين ثم رجعت الى
تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى

(فصل في بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وندرج المريد في سلوك سبيل الرياضة)

فصل النبي صلى الله عليه وسلم ابن آدم انقطع الى فانا نجزيك عن ثلاث عن نفسك
اليوم وأصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا يمشي
بطيئة في الصلاة فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صليت
فصل صلاة مودع فانصلي
سائر الى الله تعالى بقلبه
يودع هواه ودنياه وكل شيء
سواه والصلاة في اللغة هي
الدعاء فكان المصلي يدعو
الله تعالى بجميع جوارحه
فصارت اعضاؤه وكلها السنة
يدعون بها ظاهرا وباطنا
ويشارك الظاهر والباطن
بالتضرع والتقلب في الهيئات

واعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة معرضا عن الدنيا مقبلا على الآخرة مشتاقا اليها طالبا لها بكل ما يصح منه بنعيم الدنيا واذا انما كان من كانت معرفته بالآخرة بجوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الجوزة وقد يشارك في معرفتها بالجوهرة من ليس مريدا لها حيث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى وهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر وليست أعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يشاهي قول من صدق بان الجوهرة مخزونة في الجوزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا القشر او رأى قشرتها فاخذ يصفها وهذا الصدق اذا ألف القلب الجوزة قد لا يترجح عنها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الوقوف على اذكار المذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه المنبهين على حقارة الدنيا وافتراضها وعظم أمر الآخرة وقد رأيت اسماء الخلق غافلين عن هذه حتى في شهواتهم وتهاونوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه تخلف عن سلوك الطريق بجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم سائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق وفساد العلماء بالهوى سببا لتلف طريق الله تعالى من السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لاستحالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعثت ارادته في سلوك الآخرة وقصدها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله مستقيم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن بدلها من عدو الاعداء القاطع الطريق عليه وعليه وقلائد لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السدود والحجاب الذي بينه وبين الخلق فان سوء ان انطلق من اطلق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الخلق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب التعظيم وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بحسن قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى اذا فصل ذلك انكشف له حقيقة الامر في مسمى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطالب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا واما التعصبة فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق التسليم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصح التوبة لم يجز المساعي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب

فان

تعلقات متفرع سائل يحتاج فاذا دعا بكليته اجابه مولاه لان وعده فقال ادعوني استجب لكم كان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الآية اذا دعوني استجب لكم امرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هي نفوذ دعاء الصادق العالم بما يدعو به ويقول بتيمنه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدي التمنى فاضية للحاجة وتخصر الله تعالى هذه الامة بانزال الفاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون اسرع الى الاجابة وهي تعليم

فان ترجمة عربية القرآن لا يمكن تقديمها أولا ثم الترقي منها الى اسرارها بل كذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخر ثم الترقي الى أسرارها واسرارها فاذا تقدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن طهر وتوضأ ورفع اشعث رصاريعا الى الصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدي به لاحتمال تلبيس الشيطان فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طريقه لا محالة فمن سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير فقد غاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي نبتت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأوقات لم تقرر فحتم على المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في نفسه اعتقاد شيء أو لا يذر ويعلم أن نفسه في يد شيخه لو أخطأ أكثر من نفسه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يعتصم به ويعتقد أنه من حيث يدفع نفسه قواطع الطريق وهو أربعة أمور النفس والصحبة والخلوع والسهر ويعتصم من حيث انقواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه وأما الخلوع فانه ينقص دم القلب ويمرضه وفي رياضته تقويه وتنيبه نعم النوادر في ذوباته رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسالك العدو فان مجاريه العروق ممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا لعلكم تبصرون ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الابدال أبدالا الا بدوام صيام النهار وقيام الليل باخلاص الباطن والسهر والصمت والاعتزال عن الناس فقائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فمضاف ذلك الى الصفاء الذي يحصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة الجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وعظائم الغنى وأما الصمت فانه يقتضي فتور الشهوة عن الدنيا واقبالها على الآخرة والسهر يفيد نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب بريقته الا اذا كان بقدر الضرورة فتكون سبب المكاشفة للأسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال انهم أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع وأي سبب يعين عبدا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء وأما الصمت فانه قد يظن انه العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مساءة من يقدم لطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب ويشوش القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل المجرد الذكر والفكر فيستثقل الصمت يلتم العقل ويجلب الورع ويسلم الدنيا وأما الخلوة فانها تجمع الشواغل وتضبط السير والسير فانها مصادمة القلب والقلب ملك مدعو من كل صوب فتصيب السباع كل وجه كدورة فمن أخلط بالناس وتعود الرياضة تشريع الحوض من تلك المياه من الطين الماء صاف من التغير أصل الحوض فيخرج منه الماء النقي الطاهر وكيف يصح أن يخرج الماء من الحوض والانهار متروحة اليه فيجتمع في كل حال أكثر مما ينقص فلا يبقى من ضبط

الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم قيل سميت مثاني لانها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على التردد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا الصادقون من امته يكشف لهم عجائب اسرارها ويقذف لهم كل مرة تدبر بحارها وقيل سميت مثاني لانها استثنيت من الرسل ولم

اسلوا س الاعن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليغط رأسه في جيبه او يتدثر بكساء واذا رفع رأسه تخيل هذا الذي سمع ذكره اما الله وشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة ينبغي ان تحضر عند التوابع وتقمع الخواطر فان القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعد ذلك بسلوك الطريق واعلم انك لا تقطع العقبات ولا تجتاز على طريق الله تعالى الا بصفات القلب التي سميناها الالتفات من الاشياء بعضها تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي ثلاث الصفات أعني أسرار الصلاة التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعني البذل والبلاء وحب الشيء والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها القاطعة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الامور الغريزية بشخص فذكر في أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مناقضة الشهوات وضد الله الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون وردة وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد انخلوه من ذكر غيره ولا يشغل به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للمصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تاتي فيها الى الجمعة الاخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا بصدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله فما أوليه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها تجري على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لان حقيقة القلب حاضرة معه حاضرة عليه قد فرغ من كل ما سواه لان القلب اذا اشتغل بشيء فارغا عن غيره أي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب وخواطره التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحوال أو أحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة غفل قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا ناقصا ان لم يجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولا شيء معنى كان الها وكان معبودا ربما يعقبه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر فيدعه ومهما كان كارها لذلك ومتشوفا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما علم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويشتغل به لسانه

سمع آيات وروايات امر ورمان
قالت وأنا أبو هريرة فرجعت فانا
اتخيل في الصلاة فزجرني
زجرا كدت ان انصرف
عن صلاتي ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا قام احدكم الى
الصلاة فليسكن اطرافه
لا تميل ميل اليهود فان
سكون الاطراف من تمام
الصلاة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من خشوع النفاق قيل
ما خشوع النفاق قال
خشوع البدن ونفاق القلب
فاما قبل اليهود قيل كان
موسى يعامل بني اسرائيل
على ظاهر الامور فلذلك ما في

عنه كما قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم وقال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإلى ما يشكل فيه فينبغي أن يبرئ ذلك على شيخه بل كل ما يجد في نفسه من الأمور التي من فترة أو نشاط أو التفات إلى معصية أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك الشيخ وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه وأمره بالفكر فيه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى ينكشف قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه بمفارقته إلى الاعتقاد القاطع بما يحمل قلبه من وعظ وتذكير وإلى قريب من فهمه فينبغي أن يلازم الشيخ ويتلطف به فإن هذه هي الطريق وهي واضح أنظارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه مشايل فاسد لم يتوصل إلى كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع الملائق الشاغل عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة النجاة فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الجوارح فإن انخرق في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن ذكيا فطنا متكلما من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة أو يشغله بجمعية المتجردين للفكر يشاهد بركتهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسوق الفرس ويتعهد سلاح يوم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم ويقاسمهم بركتهم وإن كان لا يباشر بنفسه ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والتوسع بما ينكشف له من الأمور الموعود من أوائل المكاشفات وهي النفث في شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك قاطعا عن طريقه وقد قيل ينبغي أن يلازم سالك طريق عمر ملازمة العطشان الذي لا تروى الصحراء ولو أفيضت عليه وهو مع ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق وإنما وقع قال يوسف بن الحسين ما من قلة يعوض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق يا أستاذ التوفيق فقال أن تكون في الدنيا كالغريب لا تذخر شيئا ولا تطلب مرتبة قلت فدلني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تشتغل إلى الخلق فإن النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فإن السكون اليهم هلكة قال قلت هذا علز قال يا حسنا أنظر إلى العافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبدا فإذا منعتك الرياضة أن يجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ولا يمكنك ذلك إلا بأن يستغني عن غيره ولا يحتاج إلى غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبك مع الله تعالى انكشف له سبحانه الملكوت الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتحب النفس فيه الجاه والرياء وراحة القلب فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد

باطنهم فكان يهتز الأسود ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يخلي التوراة بالذهب ووقع والله أعلم ان موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته وحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الامواج فكان قابل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب اذا هب عليه نسمات الفضل وربما كانت الروح تطلع الى الحضرة الالهية فتهجم بالاستملاء وتلتهب بها القلب وامتناع فيضطرب القالب فيتمايل فرأى اليهود ظاهره فقالوا من غير سماع لبواطنهم من

ذلك وله ذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افكارا على أهل الوسوسة هكذا نزعت عظمة التمن قلوبهم بنى اسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل ليصلى الصلاة دائم ولا يكتب له عشرها اذا كان قلبه ساهيا الا هما واعلم ان الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركت الصلاة فقد ثلم في الصلاة تحقيق السجودية واذا احق الربوبية وسائر العبادات

تلك الامور التي تتضمن ازالة هذه المعوقات وتتميم ذكرها وترتيبها بالكليات وشواهد القرآن والاخبار وتفسير حقيقة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فتقبل اليه الاشتياق أو تعدها لسماعه تلك القلوب الموقن الغافلين عن الله تعالى والمعاملات واسطة بين الله تعالى وبين الخلق كما ان عباده الله ومالك قد نصبه ولا لنفسه نفسه ولا تشعر كه الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون أحسن كلاما منه مرأى الناس أو أشد في اكتساب قلوب العوام فانه يتصرف في باطنه معه بالحسد لا محالة ان كان محركه كبد التهوين وان كان محركه هو الحق سبحانه وتعالى الى الصراط المستقيم فيعظم فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني برأيه ومن وافقني على اصلاح عباد الله كالذي هو يعينني عليه فلا أن يحمل مني الدفاع اذ هو يعضدنا وتدين عليه ذلك شرعا فما من أحد الا وهو يحب ان يثنى عليه بما يفرح به ولا يحسد من يمدحه والغافلون هم القاعدون والوعاظ هم المتهورون والصوفي لهم في كثرتهم اسوة حسنة وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك ويعد عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان في طريق الدين على من انفتحت له أوائل الطريق فان اتباع الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر فيهم في الطبع وان ذلك مما هو في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا مهلك رياضة المريد وتزيينه في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعني بالشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالملحق بشهوات البطن ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يمكن منها الا بالمال واليه وإذا طلب المال واليه احتاج فيه الى الكبر والعجب والرياء واذا ظهر ذلك لم تصغ نفسه بقوله البيان أساء قلت من الدين بما فيه الرياء وغلب عليه التزوير فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نتمم كمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل مذمتها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وسنكتب في مواقع الشروع ونذكر هذه المهلكات وتعلم بارزق الله الطيفة فهي ثمرة شاملة من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح صفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب أما تفصيلها فانا نأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بالعبادات وهو ثمرة حسن توفيقنا وان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسما وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

(كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه * المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه

القائم بالعدل فيما يليه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبيده في جميع مواردهم ومصادرهم المنعم عليهم بجليل موهباته ومقاسمهم جزيل عطاياه هو المعبود الذي يرشد من يهديه وهو الذي يشرح صدر من يقويه ويذكيه واذا احب عبدا امتحنه وهو الذي يوفق الطائع ويرتضيه وهو الذي يطهر عبده ويقيه ويجتبيه ويصطفيه ويحميه ويحوطه بالطعام والشراب عليه ويكفيه ويكتنفه من القاصية بالتوفيق ويشرح صدره بتصويبه بجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر بسياط النفس التي تعاديه فيدفع شرها عن يعبده ويتقيه فسبحانه أن يوسع عليه ما يتلذذ به من شهواته ويكثر عليه ما يتمتع به من لذاته ويؤكد دواعيه كل ذلك بحضه به ويتلبه فيتذكر كيف يؤثره على ما يريده منه ويقضيه وكيف يحفظه أوامره وينهاه عن نواهيه ويراقبه على طاعته ويتزهه عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الرضيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته وأقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه (أما بعد) فأعظم الملكات ثلاث آدم شهوة البطن فيما أخرج آدم عليه السلام ومن معه من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهاه عن الشجرة فغلبته شهوته واتاها حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق يجوع الشهوات وينبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشهوة الشبع ثم الشكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في اقتناء المال الذي هما وسيلتان الى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال واقتناؤه أنواع الربا والمكاسب الخبيثة والمخاصمات ثم يتولد بينهما آفة الرياء ونائل التفاخر والتكاثر والتكبر ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو قال العبد نفسه عليه الجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت بطاعة الله عز وجل وسلكت به السبيل البطر والطغيان ولم يتبع بذلك الى الانهماك في الشهوات وايثار العاجلة على المعقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد حسن شرح فواتحها وآفاتها وسبب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضائلها ليتبين بذلك ما يكتسبه شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يتضمنها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأنس ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفوائده ثم بيان فضيلة من غلبت شهوة البطن والفرج والعين

(بيان فضيلة الجوع وفتح الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كالاجر في الجهاد في سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل طعمه وضحك ورضي عيشه بقضاء ربه وقال النبي صلى الله عليه وسلم بسد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله

وسائل الصديقين سر الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج الى الفرائض لتكميل السنن ويحتاج الى الآداب لتكميل الفرائض ومن الادب ترك الدنيا والتجرد كما سيأتي ذكره معنى ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقبالها على الله فيها ويرد عليه الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقالت الملائكة

صلى الله عليه وسلم البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي
صلى الله عليه وسلم الشكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن أيضا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلكم عند الله المعدة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله
سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي يختار الذل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي
الملائكة بمن قل طعامه وشربه في الدنيا يقول الله تعالى تنظروا الى عبدي ابتليته بالطعام
والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها الا أبدلته بها أو درجات
في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع
يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث
أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة المطول بذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من
الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الا عشاء الاتقياء الذين
ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا وان مرضوا لم يعادوا يقال لهم ملائكة السماء نعم
الناس بالليل وهم وبطاعة الله عز وجل اغرش الناس الفرش الوثيرة واقتفوا البطاء والركب
ضعف الناس فضل النهار واخلاقهم وحفظوا صامتهم تبكي الارض اذا فقدتهم ويحفظ الجبار
على كل بلدة ليلا من فيها منهم أحد يسلم ينكالبون على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلو الطيب
ولبسوا الخرق شمثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت
عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا للقوم بقلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم سم المنافقين
عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول يقال ما لهؤلاء حين ذهبت عقول الناس لهم هم الشرف في الآخرة
يا أسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض
بهم فرحة واستبشار عنهم راض اتخذهم لنفسه اخوانا عسى أن تجوعهم وان استطعت أن يأتيك
الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين
وتفرح بقدومك عليك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكونوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت
السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل
قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب
في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح
مذموم بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين
وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش
وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد
والمنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل بسبعة اضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته بسبعة
اضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه
المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها

من لدن منكبيه الى الهواء
يصلون بصلاته ويؤمنون
على دعائه وان المصلي لينشر
عليه البر من عنان السماء
الى مفرق رأسه وينادي مناد
لو يعلم المصلي من يناجي
ما التفت أو ما انفتل وقد
يجمع الله تعالى المصلين في
كل ركعة ما فرق على أهل
السموات فتقول الملائكة في
الركوع منذ خلقهم الله
لا يرفعون من الركوع الى
يوم القيمة وهكذا في السجود
والقيام والقعود والعبد
المتيقظ يتصفح في ركوعه
بصفة الراكعين منهم وفي
السجود بصفة الساجدين
وفي كل حيثية هكذا يكون
بالواحد

انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جوعوا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف
نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروى أن أبا جهينة تعشى في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان أطول الناس بطونا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا
وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت
رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا
بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا
على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
استحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم فالصبر أيا ما يسيرة أسبب الي من
ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الي من اللحوق بأصحابي واخواني قالت
عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن أنس قال جاءت فاطمة
رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص
خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه
أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله
ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجوع في الدنيا
هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس الى الله المتخمون المتلاؤن وما ترك عبد أكلة
يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة
فانها مثقلة في الحياة مفتنة في الممات وقال شقيق البلخي العبادة سبعة أجزاء ثلثاها الخلوة وآلتها الجماعة
وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء
عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي لا تخافي
ذلك أنت أهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول
الهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بالمصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان
فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك
فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى
لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح بالله واثقا وهو
عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهي أحييتني وأجعتني الى متى وتركتني في ظلم
الليالي بلا مصباح وانما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع
الزاهدين منهبة وجوع المتأنين بجرية وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع
الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك
لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال أيضا الجوع عبد الله في خزائنه
لا يعطيه الا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي ثمانية وعشرين يوما لا يأكل وكان
يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر
أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكباس شيأ
انفع من الجوع الدين والدنيا وقال لا أعلم شيأ أشر على طالب الآخرة من الأكل وقال

منهم وبينهم وفي غير الفريضة
ينبغي للمصلي ان يمكث
في ركوعه مدة اذا بالركوع
غيره ثم بالرفع منه فان طرقته
ساهية بحكم الجبلة استغفر
منها ويستديم تلك الهيئة
ويتطلع ان يذوق الخشوع
اللائق بهم هذه الهيئة ليصير
قابه باذن الهيئة وربما يترائى
للراكع الحق انه ان سبق
همه في حال الركوع أو السجود
الى الرفع منه ما وفى الهيئة
حقها فيكون همه الهيئة
مستغرقا فيها مشغولا بها
عن غيرها من الهيآت فبذلك
يفوز حظه من بركة كل هيئة
فان السرعة التي يتقاضى بها

وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من خمسة الجوع وفي ترك الملال وقد جاء في الحديث ثلث الطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار أحد الابدال ابدالا الا بخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل برنز من الدنيا الى الاخرة الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما عبر على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باشغال الذكر وترك المزح وصفرها بوضعها تحت أرجل أبناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها واياك من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله ما صافى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود الجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة واذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا خطر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر وروي أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لانه أمسك بغير بيت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك

* (بيان فوائد الجوع وآفات الشبع) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك والعمل تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي أن يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا بصيرة العلماء ومن جوع نفسه صفت قلبا صاحبا في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله

الطبع تسد باب الفتوح ويقف في مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنجلي آثاره بحسن الاسترسال ويستغرق مقعد الوصال وقيل في الصلاة أربع مائة آيات وستة آلاف ذكر فالهيئات الاربع القيام والقعود والركوع والسجود والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشر صفوف من الملائكة كل صف عشرة

تعالى

تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك قيل الصبي اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال أبو سليمان الداراني هلاك الجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث الحكم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم أسيروا فاركم بقلة الطعام وقلة الشبع وطهروها بالجوع تسقو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قساقلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما بعثت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بدقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحري أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ويخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات لله ورسوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك اللذة المذكورة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتلذذ به ولا يتأثر حق كان بينه وبينه حجاب من قسوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال أبو سليمان الداراني أحلى ما تكون الى العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال البلخي يحجب أحدهم بينه وبين صدق مخالفة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذا أثار القلب بلذة المناجاة أمر وراءه تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فمعدته تسكن لربها وتخشع له وتتقي على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلها بلقمة طعام فاقتها وأظلت عليها الدنيا الشهية بما فيها تأخرت عنها وعالم بشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة ومولاه ولا قهره وانما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما سائما منظرا الى مولاه مشاهدا الاضطرار بالذوق ولا سبيل لذلك الا عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصل الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصل الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما

آلاف فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة

(الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة اهل القرب)

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة فيها آدابها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقصى ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الاقوال في كل شيء من ذلك اذ في ذلك كثرة ويخرج عن سداد الاختصار والايجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من الهافظة

متقابلان كالشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر (الفائدة الرابعة) أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهيج الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا عيلة ولا ثاكل ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاشك الاطعمة فقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فأخاف أن يجمح بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب الي من أن يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والشمعة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لاجلها بأعراض الناس ولا يحتسب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فان ملك عينه بغض البصر فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به صلاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة واذا ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز الجيد سنة لا يحفظ به شيأ من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء (الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتقرقدوا كثيرا فتضروا كثيرا وأجمع رأي سبعين صديقا

على

عليها ويحتاج في معرفة الوقت الى معرفة الزوال فتفاوت الاقدام لطول النهار وقصره ويتبين الزوال بان الظل مادام في الانقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس واذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف اول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم اوقات الليل وشرح ذلك بطول ويحتاج ان يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة

على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها وهما غالب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم وبمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على صورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة تتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا الوجه تصرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثرة وجوهها قال السري رأيت معروفا على الجرجاني سويقا يبستف منه فقلت ما حملك على هذا قال انى حسبت ما بين الضغ الى الاستفاف ثلاثين تسبيحة فاستفت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر ان تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار أبو سليمان الدارانى الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد صلاوة المناجاة وتعذر وصفها الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويجوع الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب من أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله * حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الهليلج يقطع المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرقق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء فقالوا فما عندك فقال الدواء الذي

فني ذلك سر وحكمة وذلك والله اعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه مما ابلي به من المخالطة مع الناس وقيامه بمهام المعاش امرهم وجرى بوضع البطيخ أو صرفهم الى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قام السنة يجلب باطنه الى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة الرائبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصقل الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صلاة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجيء الفرض بنسخ الله عنه الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة

لا دام معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا
صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث
طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من
هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء
وعودوا كل جسم ما اعتاد وأظن تعجب الطبيب يجري من هذا النمط لا من ذلك وقال ابن
سالم من أكل خبزا لنطة بحتا بأدب لم يمت الا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع
وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان أنفع ما أدخل الرجل
بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الملح ولأن يقال من الملح خير له من أن يستكثر من
الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من
الاسقام وصحة القلوب من سقم المعاصي والبطر وغيرهما (الفائدة الثامنة) خفة المؤنة فان
من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له
آخذا بخنقه في كل يوم فيقول ماذا نأكل اليوم فيحتاج الى أن يدخل المداخل فيكتسب من
الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل ويرائي ويحتاج الى أن يعد أعين الطمع الى الناس وهو غاية
الذل والقساوة والمؤن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لأقضي عامة حوائجي بالترك
فيستحسن ذلك أربع لقلبي وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيري شهوة أو زيادة
استقرضت من نفسي فتركت الشهوة ففي تركها لي عوض وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل
أصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله
الاكل مذموم في ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم
من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك
الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة
البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاصول كلها وهي أبواب النار وفي سدها فتح أبواب
الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أدمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع
في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله
عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما الالهاء هم
لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المتتابع فتلهيه لا محالة (الفائدة العاشرة) أن يتمكن من
الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل
صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كله كان خزانته الكنف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله
تعالى فليس لجسد من ماله الا ما تصدق فابقى أو أكل فافنى أو لبس فابلى فالتصدق بفضلات
الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم
وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملن الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان
أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فابت ثم عرضها

قال امامنا الكلائي والصفائي
عما أوحى به الشرع وفصل
به الكتاب والسنة والخاصة
ذنوب مال الشخص فكل
عبد على قدر صفاء حاله له
ذنوب تلائم حاله ويسوءها
ساحبها وقيل حسنات الابرار
سيئات المقربين * ثم لا يصلي
الا بهاعة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تفضل صلاة
الجماعة صلاة الفذ بسبع
وعشرين درجة ثم يستقبل
القبلة بظاهره والحضرة
الالهية بباطنه ويقرأ قل
أعوذ برب الناس ويتفرأ في
نفسه آية التوجيه وهذا
التوجيه قبل الصلاة

على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها ان هذا كان ظلوما لنفسه جهولا بما سمى به فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة بأموالهم فاصابوا الا قليلا فاذا اسمنوا فيها وسمنوا بلادهم وضيقوا بها اقبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم لئن رزقني الله كذا وكذا وأزيد كذا وكذا حتى على شماله ويأكل من غير ما يحدثه بحضرة ما يحرم حتى اذا أخذته الكظة ونزات به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء أتهضم به طعامي بالكمع أطعامك تهضم انما يتهضم أين الفقير أين الارملة أين المسكين أين اليتيم الذين أمر الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير لدفع غريبة الاجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه وينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل عظيم البطن قاعدا الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا المكان خيرا لك أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يتسحى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لأجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهو خير له وهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا يحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها والوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراكا علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت به فضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان والله أعلم بالصواب

(بيان طريق الرياضة في كسر شرة البطن)

اعلم أن على المريد في بطنه وما كوله أربع وظائف * الاولى أن لا يأكل الا حلالا لان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ويبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى) في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله معدته وضعفت وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو نوبا من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثر نقصان شاهد ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدارا لقمة وينقصه عما كان يأكله بالامس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالعبادة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي العبادة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن

والاستفتاح قبل الصلاة لوجوه الظاهر بانصرافه الى التبتل وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه حذو شحمة أذنيه ويرفعه الاصابع مع الاذنين ويضم الاصابع وان نشرها جاز والضم اولى فانه قبل النشر اشبه لانه لا نشز الاصابع ويكبر ولا يخل بين باء أكبر وبين الله أكبر ويجزم الكسر ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الهاء من الله ولا يمدها بالتكبير الا اذا استقرت البيدان

لا يبالي ولو ضعف سوق هلي قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت أشتري بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين اكرة أتغذى في كل ليلة اكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بقدر ما كنت ولا وقيت وحكي عن الرماديين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقادير دهم من الطعام والدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق المقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو ما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم والدرجة الثالثة أن يرد ها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث الشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس والدرجة الرابعة أن يزيد على المد الى المن ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافا لقوله تعالى ولا تسرفوا أي في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف باللسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وهو مما طريق تخاص لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له عند الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فهو ما طلبت نفسه خبزا بعينه او طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامة أن يبقى فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامضة فالاولى للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاسوال والاشخاص ثم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في الغير الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقاه قال عمر يقول أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد عبر ثم يخل لكم الشعير ولم يكن يخل وخبز تم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم في حلة وراح في أخرى لتكونن هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنبرة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل الشره الشاري بالما بلما ومرطا ممرطا لا يطوى بطنه

بطاره

مذهب المتكبرين ورسالهم مع التكبر من غير غضب قال الوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأدبت بالاولى والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن نيته حالة التكبير انه يصلي الصلاة بعينها (وحكي) عن الجنيد انه قال لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الاولى واذا كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية وأول الصلاة (قال أبو نصر السراج) سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والالفات التي تدخل في صلاة العيد بعد النية من السنة

بقاره والذين تراخاه فضلوه وجعلوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الزيادة مبسوطة لكانت قوت المؤمن منها لا الآن أستعمل المؤمن عند النشر وقيد بالقوام فقط (الوظيفة الثانية) في وقت الاكل ومقداره تأخيره وفيه أيضا أربع درجات * الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من مدة الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم فيهم ثم محمد ابن عمر والقرني وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العبد الصمد ومسلم بن سعيد وخير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام وعن سفيان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي أن الثوري وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستحبون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت تأمل كيف يشف بعض الاسرار الالهية وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بعلم الباطن فرآه جاهلا بما هو عليه من المرور فحكم له في ذلك كلاما كثيرا الى أن قال له الراهب ان المسيح كان يطوي أربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فان طويت أربعين يوما تراني ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم أن الحق وراء ذلك على ما قال فلم يلبث الراهب أن طوى أربعين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وصار من جملة أصحابه فانظر كيف يحول بشغل يسير ما قطعه من طريق وعاد به راجعا في نفسه وأسلم وجعل يتبعه * الدرجة الثانية أن يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك شاقا على العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بأدنى مجاهدة * الدرجة الثالثة وهي أن يمتنع من الطعام في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الاقل وعليه داوم الاسراف من مواظبة الشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك لفضل الترفيه وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان الصالحون يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ان لك من السحر فانه أكانت في يوم من السحر فرأكلة واحدة في كل يومين اختاروا أكلة في كل يوم قراءة بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيصير له جمع النهار للصيام وجمع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المطعوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال صام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أيام هذا فقط وان كان القوم ليتوهمون ثم تمام وا واصل بهم الى هذا قدر اثنتي عشرة ساعة تقريبا الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتقط قلب الصائم بعد المغرب الى الصائم وكان ذلك يشق عليه من حيث وقت السحور والتأخير في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه

وتصيب العسل وان كثف لا بأس به بالنسبة التي هي لله بالله وان قل (وسئل) بو سعيد الخراز كيف الوصول في الصلاة فقال هو ان تقبل على الله تعالى اقبالا لا تعلم به يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف ترى بك التكبيرة الاولى فقال بنبغي اذا قلت الله أكبر يكون معهوم بك في الله التعظيم مع الاكف والهيبة مع الاكرام والمراقبة والفرق مع الهام واعلم أن من الناس

نصفين فان كان من عزمه مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويعتقد بذلك عند النية بعد ولا يشتغل بالهواجس بعد ذلك بالتردد فيستقيم بالرغيف الاول على التوحيد وبالثاني على السحر وربما كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا يباشر اكل كل يوم فطر وقت الظهر ويوصوم وقت السحر فهذه الطريق في صوم الاكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مع البرمان خل فهو غاية الترفه واوسط شهر مخلول وادناه شهر لم يخلل واعلى الادم اللحم واوسطه الزيت والخل وادناه الملح وادناه ما يؤتدم بالادهان من غير طعم وعبادة سالك هذا الطريق طريق الاخرة الامتناع من الادام على الادام بل الامتناع من الشهوات فان كل شيء تشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك البطر في نفسه وقوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يأنسها ويكره الموت واقامة الله تعالى وتصيير الدنيا محبوبة في صدره ويكون الموت بحيث اله واذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وعرفها الذاتها صارت الدنيا بحذافيرها عليه وضيقة الله فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها والى الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال لعاشر الصديقين يوشك ان أنشكم لرائحة الفردوس فاقلوا شهوة الطعام على قدر يجوز بها النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شر ارأمتي الذين يأكلون بحبوحة الجنة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله هي تأوهي تين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصي بتناوله ولكن تترفى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسمى في طلبها فيجر ذلك الى المعاصي فهو شر ارالامة لان مبدأ المعاصي يقود حسم الى اقتحام أمور ذلك الامر ومعاصي وقال صلى الله عليه وسلم شر ارأمتي الذين غذوا بالنعيم ونبت عليه أجسامهم واغلاهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمحق من كثير الشهوات وقد استعذ صوفي السلف من تناول لذيذ الاطعمة وقرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه علامة السعادة حتى روي أن وهب بن منبه قال الق ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للاخر من أين قال أصرت بسوق حوت من البحر اشتراه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر أصرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء باردة بعسل وقال اعزلوا عني سمابها الاعبادة لله أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمسته له المدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وجعلت اليه على رغيف فمر بنا سائل على الباب فقال الغلام لها بر غيفها وادفعي اليه فقال الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ صحت كذا وكذا فلم تجد ها حتى اشتريتها بدرهم ونصف فحن فعطف عنها فقال لها ادفعيها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتترك لنا قال نعم فاعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لها ادفعيها

من اذا قال الله الا كتاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامتلاء باطنه نورا وصار الحكمون بامره في قضاء ربه عوضه كخردلة بارض فلاة ثم تلاق الخردلة فما يخفى من الوسوسة وحديث النفس وما يخايل في الباطن من الكون الذي صار بمثابة الخردلة فالتبست فكيف تزاحم الوسوسة مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والقيومية في ذلك كون النعمة تغمر انه لغاية باطن الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب بمشاهدة النعمة فتكون النعمة موجودة بالطف صفاتها

الدنيا ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرفضها وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشتدت كآبة الجوع برخصك وكربك من الماء القراح فصلى الدنيا وأهلها النهار أشار الى أن المقصود دفع ألم الجوع والعطش ودفع ضرره ما دون التنعم بلذات الطعام بلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لرسوله اذا علمت انه قد شبع شيئا فذاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فلما رآه بين يديه لم يأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط بين يديه وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام يوم وطعام يوم والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم لنخالفن بكم عن طريقتهم وعن يسار بن عمر قال ما خلت لعمر مرودة قط الا رأيت له عصا وروي أن عتبة الغلام كان يجن دقيقه ويجعفه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يهيأ لي الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكمون فيضرغه بعض سنين كان في الشمس نهاره فتقول مولاته لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فتقول لها يا أم فلان قد شددت عني كآبة الجوع قال شقيق بن ابراهيم قال لي حاتم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وجر بالس بناحية من الطريق فجعلت أمر وقعدت عنده وقلت يا رجل ما هذا البكاء يا أبا عبد الرحمن فقال شيء فطلبناه ثلاثين سنة فلم نجده ثلاثة قال يا شقيق استرعلي فقلت يا أخي قل ما شئت فقال لي انه منذ ثلاثين سنة لم أجد شيئا فقلت له يا سيدي حتى اذا كان البارحة كنت جائعا وقد غلبني النعاس اذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يأتي به مملوء بخار ورائحته كالمسك قال فأيقظت بها حتى عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال لقد أطعمك الله كل ما كان لي جواب الا أن بكيت فقال لي كل رحمك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانا أعطيته فقيل لي يا خضر اذهب به الى أبي هذا أطعمه نفس ابراهيم بن أدهم فقدمت بها الى مولاي فبهرها على ما يحملها من منها يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يتناولون من أعلى قلم يأخذ طلب ذلك لم يعط فقلت ان كان كذلك فهذا بين يديك لا يحل المنهج الا تعالى ثم التفت فقال لي أنا بني آخر ناولنيه وقال يا خضر لقد أنعم علي حتى استحييت فانصرف وعلا رنين في قال شقيق فقلت أرني كفك فاستحيت بكفه فقبلتها وقلت يا من يعلم ابليس التمرات اذا صعدن الى الجبل يا من يتتبع في الصخرة الصماء دبيب النمل يا من يعلم ما في قعر البحار أنت تعلم أني أريد أن أتزين لعبدك الا تم وقد استحيى ابراهيم الى السماء وقال يا خضر هذا الذي كنت عندك أربعين سنة وقال أسد بن أبي الحواري اشتهى ابو سليمان الدارا في يوما طعاما طيبا فجعلت به اليه فنظر اليه فخرج منه عشرة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال جعلت الى شهوتي بعد ما تركتها لله عز وجل وأشتهي فلم أزل أعزم على النوم فأقاني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن دينار مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقلت لنفسي لو أطعمتك من هذا فأقمت أن لا أطعمها اياه أربعين ليلة وكنت مالك

منه درجة في نور العظمة اندراج الكوكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى يده اليسرى ويجعلها بين السرة والصدر واليمنى تحت اليسرى ويجعل المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسرى من الطرفين (وقد فسر أمير المؤمنين علي) رضي الله عنه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يسمى الناحر أي ضع يدك على الناحر (وقال بعضهم وانحر) أي استقبل القبلة بنحرك وفي ذلك سر خفي يمكاشفه به

ابن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال ملكت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهيت فيها شيئا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألقى الله تعالى وقال سهل بن أبي سهلة أتيت داود الطائي وبين يديه خبز فجعل يقول نفسي اشتهيت خبزا فأطعمك خبزا ثم اشتهيت قرافا كيت وكيت أبا أفسلت ودخلت فإذا هو في سعده وصر أبو عاتم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة المنزوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا منزوعة فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني متى نظرت واشتهيت وطلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث بها إلى يتامى من الفقراء وعن موسى الأشيخ أنه قال نفسي تشتهي طعاما جربتها منذ عشرين سنة وعن أحمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا ما حتى ترى فما أراها وبروى أن عتبة الغلام اشتهى لما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أداهنها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على مشبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقمت صبيا فقلت ألست أنت ابن فلانة وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياها قالوا وأقبل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لبثه بعد ذلك وبكت يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا يشويها ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا فتروع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا بطرا على عيالك وبشرائك التمر بالقراطيس ثم قال لنفسه ما أظن أحدا من الناس إلا يذنبك على أن لا تذوقه ؛ واشترى داود الطائي بعشرة فلس بقلا وبقلس خلا وأقبل إلى نفسه كلما يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعد الاقتار وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يشتهي من نفسه منذ كذا وكذا أمرا فهل من نفسي فقال لا لأنك تأكل ما يجيئك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاستبكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده وقال بعضهم نصر أصرف إلى نفسي أن أشتري له التين الوزيري فلما اشتريته أخذ واحدة عند التطويف فوضعها في فيه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال لها قلت لك في ذلك فقال لها مقتني على طائفة اما تستحي تركت من أجلي ثم تعود إليه وقال صالح المري قال لي لعلك السلي التي مشكلت المشيء ألا ترد علي كراهي فقال افعل ما تريد قال فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت أتعهد وجهه فلم أر دما ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت علي كراهي فلما رأى وجدي ذلك قال لا يسوءك هذا إني قد شربتها أول مرة وقد رأيت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر وقال السري السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أتمس بزة في دبس فما أطعمتها وقال أبو بكر الهلالي أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام

من وراء استار الغيب وذلك أن الله تعالى بالطف بحكمته خلق الآدمي وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد محبته ومنبع ما في أرضه وسمائه ومجمع أجسامه الأرضية وسمائية ومنتخب القاسمة من رتبة الهوية فجعله الفواتح من حمل الفواتح ومستودع أسرار السموات وأصفه الخفايا مستودع أسرار الأرض فجعل نفسه ومسكنها النفس الأسفل ومحل روحه الروحاني والقلب النفس الأعلى يجاذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتجاذبان ويتعاقبان

قطاريدهما وقنالهما تكون له
الملك وله الشيطان ووقت
الصلاة يكثر القطاريد لوجود
التجاذب بين الايمان
والطبع فيكاشف المصلي
الذي صار قلبه مضاعفا
مترددا بين الفناء والبقاء
بجواذب النفس متجاذبة
من مركزها والجوارح
متصرفة بها وحركتها مع
معاني الباطن ارتباط
وسراية فهو وضع اليمين على
الشمال معبر النفس
وصنع من صعوبة تدبيرها
وأثر ذلك فيها بسر بدفع
الوسوسة وفي ال حديث
النفس في الصلاة ثم اذا
استرسلت بجواذب الروح

واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فقال لها الا ان يدان تطوى عشرة أيام ولكن اتركي هذه
الشهوة وروي أن عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الارغفة ليختار
اجودها فقال له العابد مهما يكن تصنع اما علمت ان في الرغيف النير رغبت نفسه كذا وكذا
سكينة وعلى فيه كذا وكذا سائم حتى استدار من الصحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي
الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به
وفي الخبر لا يستحي الرغيف يوضع بين يدي الرجل حتى يحمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اقلهم
ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي توكل بالسحاب
والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وساخرهم الملك الذي وكل بتعلم آلة
الطحن وما قال بعضهم أتيت قاصما الظهر فسألته عن الزهد اي شيء هو فقال أي شيء
سمعت فيه فعددت له أنواع الافك فقلت وأي شيء تقول أنت فقال اعلم ان البطن دنيا الجسد
فبقدر ما يملأ من بطنه يملأ من الزهد بقدر ما يملك بطنه فملك الدنيا وكان بشر بن الحرث قد
اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يعوده فقال ما تشتهي فقال من الاكولات فقال فما لي فاذا
وصفت الشام تقول لي قال صفلي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بها
ذلك الرغيف فقال له بشر هل تعلم شيأ أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أما ترى
قال ما هو قال الخل قال ثم قال أتعرف شيأ أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أما
أعرف قال ما هو قال الفرفير قال فتعرف شيأ أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا
قال أما أعرف قال ما هو قال الجرجير قال فتعرف شيأ أقل من الجرجير يقوم مقامه قال لا
قال أنا أعرف شيأ اقل من هذا كله يقوم مقامه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني
فتتعرف بها الا ان هؤلاء امتحنوا من الشهوات ما هو من الشبع من الاقوات وكان امتناعهم
للتوائف التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم كانوا لا يشتهون لهم اطلال فلم يخصوا الاشهر
الافي قدر الضرورة والشهوات ليست من الضروريات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لا تدنيا
على الخبز وما رأيت الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه
ولا يهمل في الشهوات فان في الناس عاجزا أن يأكل كل ما يشتهيه ويعمل كل ما يهواه فينبغي
أن لا يواظب على أكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن
داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان السدا ومنع اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان
جائعا وتاقت نفسه الى الطعام فلا ينبغي أن يأكل ويصابح فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه
ويطلب النفس الاستكمال ليتشطر في الصباح ويستحب أن لا يسلم على الشبع فيجمع بين
خلتين فيعتاد التنور ويتمرن قلبه لذلك ولكن ليعمل أول النهار فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى
الشكر وفي الحديث أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل
ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن حتى يحسب اكله فقد كان
سفيان الثوري اذا شبع ليلا أحياها واذا شبع في يوم واصل بالصلاة والذكر وكان يقول
أشبع الرجل وكان يقول أشبع البطن وكلما يهوي شيأ من الطعام وطيبات
الدنيا كف فينبغي أن يتولى الخبز ويأكله بلا ادام لتكون قوتا ولا يكون تنعما ثم الثلاثة يجمع
للنفس بين عادة وشهوة ويظهر سهل الدباغ وفي يده خبز وقرفال له ابدأ بالقرفان فاذا

كتاب تأديب النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراضها وعللها وفيه فضيلة الجوع وآفات الشبع

الحمد لله الذي خلق الانسان من سلالة من طين وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا وأكمل له النعمة بالعقل والدين وأرشده بالشرع المبين الى مصالح الدنيا والآخرة وأعانه على ذلك بالقناعة وكف النفس عن الشهوات العاجلة والفانية وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من أهوال يوم القيامة وتؤمنه من سوء الخاتمة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى جميع الخلق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هجروا الاوطان والاهلى والاولاد في طلب العلم والعمل به وجاهدوا أنفسهم في الله حق جهاده وصبروا على ما أصابهم في سبيله وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان الله تعالى لما خلق الانسان وركب فيه الشهوات وسلطها عليه وكلفه بمجاهدتها وقهرها وأمره بالصبر عن كثير من مشتهياتها وعدا له على ذلك الجنة وجعل له سبيلا الى اكمال النفس في الدنيا والآخرة بالعلم والعمل وجعل ذلك السبيل مشروطا بالصبر عن الشهوات والتباعد عنها بكل حال فتنة وبلية يستوفى فيها المبتلى شهوته ويخشى ان يشغل اليوم القيامة أن يطيب طيباته في حياته الدنيا استمتع بها وقد مضى ما يقدر عليه منها فنفسه ويتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة قاومت نفسي خمسين سنة فكانت تريد وأريد فلما علمت أن الصبر قد أعياها صبرت فاستراحت وأنا أيضا منذ ثلاثين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحصي أن أصف ما نلت فيه من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به شيخ أمرد وسيم فقال أنا اليوم معك تمتع مني أبدا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد أسلفوا تراك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام شهر وقيامه ولو فقنا الى اظهار فضيلة

في بيان اختلاف مكارم الجوع وفضائله واختلاف ما أحوج الناس فيه

اعلم أن الطريق الى تحصيل جميع الامور والاخلاق الوسط انما هو الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما أورد فاضل فضائل الجوع يرجع الى أن الافراط فيه مطلوب وعبادات ولكن من أمور ثلاثة الشرع يعلم أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد دين الشرع عرفا بالغة في المنع منه على وجه يوصي عند الجاهل الى أن المطلوب بعادة حقيقة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يدعو الى غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيستقاوما ويحصل الاعتدال فان من يقتصر على قمع الطبع بالكلية يعلم قطعا انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان أمر نفسه بترك مضاغة الطبخ كان في الشرع أيضا ما يدل على اساءته كما أن الشرع بالغ في التفاصل عن الليل وصيام النهار فكان النبي صلى الله عليه وسلم من حاله يعلم أنه يصوم الدهر كان يقوم الليل كله فنهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل حتى لا يجد لجوعه ألما ولا يشبع بالجوع بل ينهى نفسه فلا يتزايد فيه الجوع حتى لا تقوى النفس على العبادة وقد قال بعض العلماء الاكل لاجل العبادة أفضل من الاكل لاجل الشهوة والاكل لاجل العبادة أن يأكل ما يقيم صلبه ولا يأكل ما يثقله ويمنعه من العبادة وقد قال بعض الحكماء من أكل ليعبد الله فهو من الصديقين ومن أكل ليتقوى على المعاصي فهو من الهالكين ومن أكل لمجرد الشهوة فهو من البهائم وقد قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه فاذا كان الشبع مذموما فالجوع محمود وقد قال صلى الله عليه وسلم الجوع طعام الله في أرضه يطعم به من يشاء من عباده وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من الجوع وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليأتي أحدكم في منامه فيطعمه ويسقيه فاذا فعل ذلك به فلا يصدقه ولا يأمنه وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ي

فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الاطافة بالنمل والملائكة تنادي من تلك
الطاقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد أن يخرج بقدمه فالملائكة تنادي الملائكة من فاتيه أسواله
بسهم البعد وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط فمن اراد الوسط طرح الرفق وبسط من نفسه الاحوال
المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا والى هذا اشار بقوله تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وبهما يحسن الانسان يخرج ولا يضيع تسرع الصبيان والشكر
ومنه في نفسه وقوى على العمل مع خشية ولكن هذا بعد اعتدال الاحوال اما في بداية الامر
اذا كانت النفس جموحا متمردة وقد الى الشهوات اشد تولا الى الافراط فالاعتدال لا يتحقق الا بعد نوع
من المبالغة في ايلامها بالجوع كما ترى في بعض الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب
وغيره الى أن تعتدل فاذا اعتدلت واستقرت ورجعت الى الاعتدال تولت تعليم اوامر بها
ولاجل هذا السر أمر الشيخ مريده بما لا يتعلق به هو في نفسه فيامر بالجوع وهو لا يجوع
وينهاه عن الفواكه والشهوات وقد لا يشتهيها هو فانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن
التعذيب ولما كانت أغلب أحوال النفس الشره والشره قوة الجوع والامتناع من الحاجة كان
الاصلح لها الجوع الذي تحس بالمشقة اكثر الاحوال لتكسر نفسه والمقصود ان تتكسر حتى
تعتدل فترد بعد ذلك في الصفاء أيضا الى الاعتدال وانما ينتج من ملازمة الجوع من سالك
طريق الاخرة اما صديق واما مغرور وأحق اما الصديق فلا يستخف بنفسه على الصراط
المستقيم واحمق فانه من أن يساق بسياط الجوع الى الخالق واما المغرور فانه يظن بنفسه انه
الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب وكان النفس
قلما تتأدب تأديبا كاملا وكثيرا ما تفتقر في تعلم الصديق وصاحبه نفسه في ذلك فيسامح نفسه
كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فهم الله والذي
يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في
نفسه وانما هو وجه مصلحة نفس متنائية عن الحق غير الفترة بعد الكمال أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن له تقدير ووقت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول هل
عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يدخل اليه الشيء فيقول أما
اني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له
عائشة رضي الله عنها قد أهدي لنا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه وافطر وكان
من سهل انه قيل له كيف كنت تفعل أيام تأخير عطائك قال كنا نجد بعض الرياحات منها انه كان ينبت
ورق السيق مدة ومنها انه أكل ورق الثمر مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات ثلاثة دراهم في
ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال أكل بلا حمد ولا توقيت وليس المراد نفي
بلا حمد ولا توقيت انه أكل كيفما يتفق بل انه لا تقدير عنده واحدا كله وقد كان يمر وقت
المكرم فيه بين يديه الطعام فيأكل فقيل له ان أناسا لا يتمم الا اكل هذا فقال انا
أحي بشر اقتيه الورع وأما بشر التي المعرفة ثم قال انما أنا شيء خلقت ولا يهتاذا أطعمت
أكلت واذا جوعني صبرت تعالى والاعتراض والتمييز وقد دفع ابراهيم بن أدهم الى بعض اخوانه

وهذا الذي وجها أتقنا أوجه
قاله والذي قبيل الصلاة
لوجه تاليه ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك اللهم أنت الملك لا اله
الا أنت سبحانك وبحمدك ظلمت
أنت ربي وأنا عبدك ظلمت
نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه
لا يغفر الذنوب الا أنت
واهدني لاحسن الاخلاق
فانه لا يهدي لاحسنها الا
أنت واصرف عني سيئها فانه
لا يصرف عني سيئها الا
أنت لبيك وسعديك والخير
كله في يديك والشر ليس
اليك أستغفرك وأتوب

دراهم وقال خذها فاشتر فيها لنا طعاما وجيء لنا بسمك وشواء فقال يا أبا اسحق بهذا كان يصنع
ربيعة اذا وجد عندنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصبح ذات يوم جائعا
كثيرا ودعا الله تعالى فقرب اليه سمكا فيه سم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا اسحق أما خفت
أن يكون في هذا السمك سم فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في الملابس والاثاث فقال الذي
أخذ العلم من الصحابة والتابعين تقليدا بريء هذا من ابراهيم بن أدهم ويتبرأ منه عالم بن دينار
انه قال ما دخل بيتي الجوع منذ خمسين سنة ومن سيرة السقطي انه منذ أربعين سنة يشتهي
أن يشم من جزرة في دبس فما فعل فيرى مستاقا فيضر أو يتطيب رائحة أحدهما خطئي والبصير
باسرار القوم يعلم أن كل ذلك سرق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال
المختلفة يجمعها قولان محتاط أو فيه مخاطرة ويقول المحتاط ما أنا من حملة المعارف سرق أصابع
نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سرية السقطي ومالك بن دينار وغيرهما من المتقدمين من
الشهوات فمقتدي بهم والمخاطر يقول ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي
وابراهيم بن أدهم فاقتدي بهم وأرفع التقدير فيما كولي فانا أيضا ضعيف في داري ولاي فعال
والاعتراض ثم انا لو قصرنا في معدته وقوته أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة
عليه واشتغل بالاعتراض وهذا ضلال بعيد بل الشيطان يسير الطريق بل رفع التقدير في الطعام
والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن يتلمذ من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله
علاقة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بسخرج النفس عن طاعة الهوى والعادة
بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله
وافطاره فينبغي أن يتعلم الملازم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة عزوجة بعسل
يدير الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها العز لواعي حسابها
وتركها وهذه الاسرار لا يجوز للشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على صلح الجوع فقط
ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لاعتقاده ما يدعوه اليه فينبغي أن يدعوه الى غاية الجوع حتى
يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد
منفذا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان
من عادة ابراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يخطر
بباله ان الشيخ لم يأمره بها لم يفعل فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة
واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم ولطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا
ليلا يعتلي للانسان والاولياء واذا كان سد الاعتدال مختلفا في حق كل شخص فالملزم
والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولد عبد الله اذ دخل
عليه فرجده يأكل لحما أدوما يسمن فعلاه بالدرة وقال لا أراك كل يوم تأكل أو لما ويوما شيئا
ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو
الاعتدال فاما المواظبة على التنعم والشهوات فافراط واسرافه وهما جوعة التنعم بالكلية اقتصار
وهذا قوام بين ذلك

السمك ويطرق رأسه في
قفاه ويكون نظره الى
موضع السجود ويكمل
القيام باتمام القاصة
ويترع بسير الانظار اعني
الركعتين وانما مر
وساط البدن ويقف
كأنه ناظر بجميع بصره
الى الارض فهذا من
تخشع سائر الاجزاء
ويتكون الجسد بتكون
القلب من التخشع
ويراوح بين القدمين
بعدا أربع اصابع فان
ضم الكعبين هو المستحب
المنهي عنه ولا يرفع
احدى الرجلين فانه المعين
المنهي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
المعين

(بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو يدل على قوات الجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا للمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وأظهره وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر الخلوقين فجعل الكفر من ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة استظاما لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الاول جمع بين كذبين وهذا اقدام على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بمرميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهرا فيأخذ ويدسر اليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فانه هذا فلا ينبغي أن يقوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان انك اذا أظهرت افتدى بك غيرك فاسترها صلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويرى وجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا يتزين باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة نفسه مرتين وهي شهوة الاكل وأطلع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فهي أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى * (قال) أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فانا أحب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك منها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت اليك شهوة فنظرت الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها واوان أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ووقع الى حية لان شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

والصفد واذا كان الصفن منهيا عنه ففي زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الاخرى معنى من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخي أطراف الثوب الى الارض فشبه معنى الملاء وقيل هو الذي يلتحف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفي معناه ما اذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره

(القول فى شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين * احداهما أن يدرك لذته فيقاس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت امكانت أقوى لذات الاجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعاداتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنى ومنى وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال (روى) أن موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا نضنه خلع البرنس ووضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذى رأيت عليك قال برنس اختطف به قلوب بنى آدم قال فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنهما وافتنهما به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذره بنى آدم * وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يبال ابليس أن يهلكه بالنساء ولا شئ أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أدخله الا بيتى وبيت ابنتى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين * احدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلى باستباع ضارية وسنات عادية تنتام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم

الانتصاب وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين ويتجافى العضدين فاذا وقف فى الصلاة على الهيئة التى ذكرناها اجتنب المكاره فقدم القيام وكله فيقرأ آية التوجيه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة امام القراءة ويقرأ الفاتحة وما بعدها بخضوع وقلب وجمع هم وهو طأة بين القلب واللسان بحفظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية

كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالاستمتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع * والامر الثاني انه قد تلتوي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية بل في البهائم لان المتعشق ليس يقنع بارداقة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تقتضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بشخص معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستنصر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتقرا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له وانما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة ومثال من يكسر سورة العشق في أول ابتدائه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما أعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور وفاتحها وأولها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدي الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة أن يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وانما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء

(بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله)

اعلم أن المريد في ابتداء امره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل عن سلوك الطريق ويستجره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه بجميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين * ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما أحوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا آنسني الله بها أي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال أيضا كل ما يشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم فكيف بقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه في بعض الاحوال أن يسري ذلك الى قالبه فيهلكه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلميني يا عائشة أشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا وقليلا ثم انه كان لا يطيق العسير مع الخلق اذا جاء السهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ أحواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار

والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان اماما في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد حسن وان قالها في السكتة الاولى حسن (روي) عن النبي عليه السلام انه قال ذلك وان كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه واسانه يعبر عما في قلبه

أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة في الابتداء الى أن يقوى في المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكين الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره وتمزق عليه همه ووقع في بلية لا يطيقها او زنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه * قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة * وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يابني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام مابدء الزنا قال النظر والتمني * وقال الفضيل يقول ابليس هو قربى القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به بعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها لخوفه من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس يا عمى لا يبصرنا فقال وأنتما ألستما تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى النظر الى النساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين المتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وبشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويصرف ذلك ميل النفس الى القرب والملامسة فهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون (قال) بعض التابعين

ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فاللسان ترجمان ولا الفارئ متكلما فاصدا اسماع الله ساجته ولا مستعينا بالله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقالب غائب عن قصد ما يقول فينبغي ان يكون متكلما مناجيا أو مستعينا واعيا فأقل مراتب أهل الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها (قال بعضهم) ما دخلت

ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس اليه * وقال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فهما عجز المريد من غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع (وقال بعضهم) غلبت على شهوتي في بدء ارادتي عالم أطق فأكثرت الضحيح الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجز دسنانا من نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي وهو ما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية (قال بعضهم) من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفرت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استضعرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أتاني في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها اصابها الجدري فاشمأزت أهلها الذلك حتى فامن أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال فعلته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وان قدر على الترك فهو أولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب الى أهل البصرة وعبادها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الايام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد

في صلاة قط فاهتم فيها بغير ما أقول * وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لان تختلف علي الاسنة أحب الي من أن أجد في الصلاة ما تجدون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من اذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الانابة الى الله تعالى ويتقي الله تعالى بالتبري مما سواه ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في قضاء

في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كلامي هذا فهي زادك وقدم لمعادك وسكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياء عليك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فاوأن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الأقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغض البصر والاشتغال باشغال يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات (قال) سعيد بن المسيب ما أيس ابليس من أحد الا وأتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يشو بالاخرى ما بقي أخوف عندي من النساء ومن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ ومن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الي لأتيتك فقال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت السطح فرمت الجيران بجفاوني وقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاءنيها الليلة على غفلة فقالوا آوسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصطلحها الى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل النساء واحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستهال سعيد

قلب ليس فيه غيرها فيقال كما القلب يحسن الفهم والذي نفعة الاعضاء ويقشعرهم اجلالا وهيبة الاستماع وكمال الوعي ويدرك لطيف معناها وشريف سفوها معاني تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بحقائق الفكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متغذية بمعاني القرآن عن حديثها الكون بما معاني ظاهرة متوجهة الى عالم الحكمة والشهادة تتقرب منها بما من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التي يكاشف بها من الملكوت قوت القلب

في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل الا أن مقتضاها قبيح يستحي منه ويخشى من افتضاحه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جمعه وليس في شئ من ذلك ثواب فانه ايثار لحظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر * ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا لعجز عنه اثم به أي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة * وروي ان سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأوزعهم فنصبت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت اليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فاسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت أهلكني فظن انها تريد بطها فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا أن لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك لاني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة قضى وطاف ثم أتى الحجر فاستحى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأني وشأن صاحبة الابواء أعجب * وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت الى غار فدخلوا

ويتخلص الروح المقدس الى أوائل سرادقات الجبروت بحط الهمة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في بحر الاشواق كما نقل عن مسلم بن يسار انه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت اسطوانة فسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم اذا أراد الركوع يشمل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوي القامة والفسقية الاستقبال بجلاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويتجافى عنه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع

فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند رجلى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الىّ فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس الىّ وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذى له وذهب فثمرت له أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أعطنى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتهزأ بى فقلت لا أستهزئ بك فأخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات ففف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث انه قد يستحسن به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه نشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية أى النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع فى القلب شهوة وقلما يخلو الانسان فى تردده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما متخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ ولم يألم لانه قصد الا التذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتى حالتيه عن معصية وعن ألم وعن تحسر وبهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها فى حاجة لهم الى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لا أنا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه فمات

(روى) مصعب بن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدى بين ركبتى وفخذى وطبقتهما فضرب يدى وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يا بنى انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالاكف على الركبة ويقول سبحان ربى العظيم ثلاثا وهو ادنى الكمال والكمال ان يقول احدى عشرة وما يأتى به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير ان يزيح آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون فى ركوعه ناظرا الى قدميه فهو اقرب الى الخشوع من النظر الى موضع

السجادة

الصحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس للك عمل صالح وانا الذي دعوت وانت الذي اقنطت فاظلتنا اصحابه ثم يعتك اخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه * وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بهن ثم افعل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بهن فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا اكره أن اكون للتهمة موضعاً فقلت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الامر بغتة هي لعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها وجملة ما أقول لك أن جوارحي كلها مشغولة بك فاتق الله في امري وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة في موضعها انا ألقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة أن الله عز وجل اذا عصاه العبد ثم تاب فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلاً فاني اذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتبعثر الامم حول الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقاً فاني ادلك على طبيب هندي يداوي الكلوم المرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسئلة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فأين المهرب من هذه الآية ثم مات بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد اراد الرجوع لمنزله كي لا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبداً الا غداً بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم انها تعلقته وقالت اصغ علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكر قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الاول ثم انها أفاقت ولزمت بيتها واجتهدت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كذا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فانا اشتهي منه أن استرد ذخيرتها عنده تعالى * تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وسلم تسليماً كثيراً

السجود وانما ينتظر الموضع بسجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع متصفاً بمعنى الركوع من التواضع والانخناء ثم يرفع رأسه قائلاً سمع الله لمن حمده عالماً بقلبه ما يقول فاذا استوى قائماً يحمده ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ثم يقول اهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

* (كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم ارسل عليه ستارا من رحمته وأسبله ثم أسده بلسان يترجم به عما سواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه وجمله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله واسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر الله عبدوهلله (أما بعد) فان اللسان من نعم الله العظيمة واطائفه صغيرة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له اثباتا أو نفيا فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا مجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عنان اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخر هم الا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما يتفهم في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان وكم من يتوفق الله وحسن تدبيره نفصل جوامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وعوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المتدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما للحيوان أو جماد أو انسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعاريض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين فيكلم كلا واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في محوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز

فان أطال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل ربي الحمد مكررا وذلك مهما شاء فاما في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع في الرفع من الركوع بقيام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون في هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يجري فيه واليه وله فمن الساجدين من يكاشف انه يهوى الى نحوم الارض متغيبا في جوف الملك لاستلاء قلبه

وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فأومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه وبرجليه أتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقى شر قبقبه وذبذبه وقلقله فقد وقي الشر كله القبقب هو البطن والذبذب الفرج والقلقل اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يملك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه وقال هذا وروى ان معاذا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجتر لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول باللسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروى أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها

من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء وان جبرائيل عليه السلام تستر بجناحيه حياء من الله من جناح حيه حياء من الله ومن الساجدين من يكاشف انه يطوي بسجوده بساط الكون والمكان ويشرح قلبه في فضاء الكشف والعيان فهوى دون هويه اطباق السموات وتنحى لقوة شهوده قناديل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذلك اقصى ما ينتهي اليه طائر الهمة البشرية وفني بالوصول اليه القوى الانسانية وتفاوت الانبياء والاولياء في مراتب العظمة واستشعار كنهها

على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة
قال لا تتكلموا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تتكلموا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما
السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآن
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم
اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان
كل قائل فليتق الله امرؤ وعلم ما يقول وقال عليه السلام اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه
فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم
وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل
وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه
بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى
عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه
كانت النار أولى به (الاستار) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها
نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال عبد الله بن
مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شيء أحوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع
ان أرسلته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه
حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب
الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد
كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة
في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على
الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال
الا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن
قيس ساكت فقال له معاوية يا أبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت واخشاك ان صدقت
وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال
أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني
ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث هبت المتكلم ان رجعت عليه كلمته
ضربته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل اقام
المنصور بن المعتمر يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم
بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم حاسب
نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان

من

لكل منهم على قدره حفظ
من ذلك وفوق كل ذي علم
عليم ومن الساجدين من
يتسع وعاؤه ويتشعر ضياؤه
ويحظى بالسفلين ويبسط
الجناحين فيتواضع بقلبه
اجلالا وبرفع بروحه
اكراما وافضالا فيجتمع له
الانس والهيبة والحضور
والخيفة والفرار والقرار
والاسرار والبهار فيكون
في سجوده ساجدا في بحر
سجوده لم يخالف منه عن
السجود شعرة كما قال سدد
البشر في سجوده سجدلك
سوادي وخيالي ولله يسجد
من في السموات والارض

من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه وإنها سلاوة في القلب وعليها باعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدل على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام اربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة * اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لانه لا يخلو بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر انما يتميز ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى درکه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فانه أوتي والله جوامع الحكم قطعا وجوامع الكلام ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك صحة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفيها ونترقى الى الاغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان الخطر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

* (الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك) *

اعلم أن احسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء وابتذال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا الا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك وتحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى التفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند التفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يندم بها قصر في بطنه ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه حجرا لا ينتفع به اذا كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا وتطسره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه لما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت امه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك

طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لما فيها من الاهلية والكره عن النفس لما فيها من الاجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثلاثا الى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفي الهوي يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو ابلغ في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى لا يلتهما في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متباعدتين ومتياسر ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت

اهل كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يعنيه ومعناه انه اتهما بأن الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه وسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهما بأن الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول عجبت لمن أحب الى من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فمقت ولا عمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفك عنه وعامل أخاك بما تحب أن يعامل به واعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجرام وقيل لقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أتاني طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من يخشى الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله أن تجالس مع قوم فتذكرهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتنع بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآثم تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد أجابك صاحبك أيضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا للعبادة فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد ونصب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر

عباداته

وبك آمنت وبك اسلمت وجهي
وجهي للذي خلقه وصوره
وشق سمعه وبصره فتبارك
الله أحسن الخالقين وروى
أمير المؤمنين علي رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول
في سجوده ذلك وان قال
سبوح قدوس رب الملائكة
والروح فحسن روت عائشة
بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في سجوده
ذلك ويجافي مرفقيه
عن جنبيه ويوجه أصابعه
في السجود نحو القبلة
ويضم أصابع كفيه مع
الابهام ولا يفرش ذراعيه
على الارض ثم يرفع رأسه

عباد الله وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من أين فر بما عنه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحي وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة واست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم أو ضرر واغا مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فاراد أن يسأله عن ذلك فنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤل عن كل كلمة وان أنفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على أن يتنفس بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو ان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

(الآفة الثانية فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يقال الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجمعه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف او نهيا عن منكر او ان تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أما يستحي احدكم اذا نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلمة لجوابه أشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه مخافة أن يكون فضولا وقال مطرف لبعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار واللوم أخزه وما أشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن معارف بن عبد الله عن ابيه قال

مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويوجهها بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف فيهما وتفريجهما ويقول رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة اما في النافلة فلا بأس بها ما لم تطل فاذا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء في القعود وهو هنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم اذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة للاستراحة

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت وادنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول اتباع لك كذا وكذا فيكتب كذا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فامل ما شئت وأكثر او قال وروي ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه بانه ترقى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يمحون وقال ابراهيم النخعي اذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال له صلى الله عليه وسلم لم دون اسانك من جباب فقال شفتاي واسناني قال أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاسهب في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام احب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمران أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

(الآفة الثالثة الخوض في الباطل)

وهو الكلام في الماضي كحكاية أحوال الناس ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتبع الاغنيا وتخير الملوك وسير اسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه ثم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يخوضون للتفريح بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فالسلامة لا تحصل منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين او الدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما

ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقتضى الوصول بعد قطع مسافات الهيات على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذكر لما يقول ويتأدب مع من يقول ويدرك كفاية قول وبسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عباد الله الصالحين فسلام في عبد في السماء ولا في الارض من عباد الله الا وبسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة

يلقى فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال صلى الله عليه أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يجالس اهل فيقول لهم توضوا فان بعض ماتقولون شر من الحديث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية مايجري من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

﴿(الآفة الرابعة المراء والجدال)﴾

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ماعهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا ماضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل وقال أيضا لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال أيضا ثلاث من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتحمل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لاتجادل الناس بالقرآن فانك لاتستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ماضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدل وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شئ وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال القمان لابنه يابني لاتجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال ابن سعد اذا رأيت الرجل يخرج عيوب رأيه فتمسك عن مساوئه وقال سفيان لو خالفت أخي في رمانة فقال حامضة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فاذا رمى بك الغيظ فاعلم أن الشيطان قد ظفر بك وقال ابن ابي ليلى لاأماري صاحبي فاما أن أكذبه واما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك اثما أن لاتزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكثير كل شئ من الشيطان وقال عمر رضي الله عنه لاتتعلم العلم لثلاث ولاتتركه لثلاث لاتتعلمه لتماري به ولا لتباهي به وانما في به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى

ويرفع المسبحة في الشهادة في الا الله لا في كلمة التي ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وان كان اماما ينبغي ان لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وان وراءه فان الامام المتيقظ في الصلاة كالجالس على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في كلامه بقوله كأنهم بنيان مرصوص

عليه السلام من كثر كذبه ذهب بهاؤه ومن لاحى الرجال سقطت مروأته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تتركنا نحدثك عن قلى قال لانى لا اشاريه ولا اماريه وما ورد فى ذم المراء والجدال اكثر من ان يحصى وسبب المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى واما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا وكذبا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تاخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما فى المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصد فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى فى مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والمكابدة او التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه مبينا به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان أما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا تجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهيج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم تكاية وأقوى فى ايلامه وايلامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بامامة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويسهل الصبر عنه * روى ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائى لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد على منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك فى المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا

وفى وصف هذه الامة فى الكتب السالفة صفتهم فى صلاتهم كصفتهم فى قتالهم

(حدثنا) بذلك شيخنا أبو الحبيب المبرور وردى املاء انا ابو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب الماليني انا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الواعظ انا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسى انا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى انا أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمى انا جماهد بن موسى انا هشيم عن هوابن عيسى انه سال كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة

ظن ان له عليه ثوابا اشتغل عليه بعرضه وتمادون الطبع والشرع عليه وذلك خطا محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في دعوته في سلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يحمل اليه انما احمله منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقتدر الجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو اراد واقتدر البدعة في قلبه بالجدل وتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من حسن لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد الجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزا وقبولا لقي بنفسه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واعاد هذه الصفات بشق مجاهدتها فكيف يجمعوها

(الآفة الخامسة الخصومة)

وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار رزانة الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة تجاذب في الكلام ليستوفي به مال أو سبق مقصود وذلك تارة تكون ابتداء وتارة تكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تحبق الدين وينبت النفاق في القلب وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لا يبك عندي يدا وانى أريد ان ابوئ بك جبا والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لا انصرف فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا أطلب منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومة فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد والتهاصم وكسر معه انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه وانى ان أنصفت منه هذا المال زعما رميت به في بئر ولا ابالي وهذا مقصود اللدد والخصومة والجاج وهو مذموم جدا فاما القدر الذي ينصر به حقه بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد واذا فعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر

قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر بطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب في الاسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر امته الحامدون يحمدون الله في كل سراء ويكبرون الله على كل نجد يوطئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو السماء فالامام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو اولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الادب

وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتناظر فيه وبقي الخصمان متخاصمين حتى يشرح كل واحد بسالة صاحبه ويحزن بسببه ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه انه يرى بخاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يليق الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغي أن لا يتخير به الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الاثم ولا تدوم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عقده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما فأقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا مئونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي سببه اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه اوخاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوته بسبب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يكفيكم من اجابة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خير الرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام والان الكلام وروى ان عيسى عليه السلام مر بخنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه اهل ان يوضع منه ثواب الحسنين هذا كله في فضل الكلام الطيب وفضائل الخصومة والمراء والجدال والمجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(الآفة السادسة)

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المتدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وأتقياء امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الي وابعدكم مني مجالسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الاهلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص الى ابيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم

ظاهرا وباطنا والمصادون المتقطون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتقاصرت تعاضدت وتسري من البعض الى البعض انوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين في اقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسن القلوب وطيب الاسلام وربا بطة الايمان بل بهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما امد رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة المسومين المقربين فجاءتهم الى محاربة الشيطان امس من مجاءتهم الى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكان انكر عليهما شدد منه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل متجمع متكلف ويعد كذلك التفاصح اذا طال من غير حاجة وكذلك التكلف للسجع فى المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم ايدفى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال اسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغى ان يتصرف فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم لا يدخل فى هذه تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والقيز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

(الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره انتفاء الحلم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشر الناس قتلى يوم من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء لا عقابه لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء ألا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى وقال صلى الله عليه وسلم ابنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون اهل النار فى النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم وابراهيم يدعون بالويل والثبور ورجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له مالك الا بعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة شنيعة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة فى الايضاح حتى ينتهى الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان فى امور الدين وفى صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة فى بيانه اذ قد يتولد من غاية البيان فى شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به الجاهرة بما يستحيى الانسان من بيانه فان الاولى فى مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام فى شئ وان أحسن الناس اسلاما أحاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب او فى صورة كلب وقال الاحنف بن قيس ألا اخبركم بأدواء اللسان البذى وانطلق البذى فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة

وجعلنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقد ادركهم الاملاك بل بانفاسهم الصادقة تماسك الافلاك فاذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه ويتوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والمسلمين من المؤمنين وهو فى الحين ويجعل خده صفحة الحق على يمينه بالواو عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره فقد ورد النهى عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان يختص بالامام وهو أن لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو ان

وأكثر ذلك يجري في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يتقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني بالمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والخلوة كنايات عن الوقاع ولامست بناصعة وهذه العبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة من البول والغائط أولى من لفظ التغوط والبول وغيرهما فان هذا أيضا عما يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يحسن في العبادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت فروجها كذا بل يقال قبل في الحجرة أو من وراء الستر وقالت أم الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ هو الواجب والتصريح فيها يفضي الى الفحش وهتك ذلك من يعجب يستحيي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال المبارض الذي يتكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاقعده فسأله انظري ما يقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن البدن والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخنث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلم فيه يكن وبالا عليه وأجرا لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن انتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتهاريان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم استبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر اباه

(الآفة الثامنة اللعن)

اما الحيوان أو جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما لاعن قوم قط الا صوب عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأخروها فانها ملعونة قال فكأني أنظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد وقال ابو الدرداء ما لعن أحد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فأعتق ابو بكر يومئذ رقبته وأتى النبي صلى

لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمة بتسليمه وواحدة على الامام والمأموم وهو ان لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمده ثم يدعو بعد التسليم بما شاء من امر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم ايضا في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن اقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والاحوال زينتهم الصلوات الخمس في جماعة وهي سمة الدين وكفارة المؤمن وتمحص الخطايا على ما شهد به شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين

الله عليه وسلم وقال لا أعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل يسرع برسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وهو اللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة عن والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة أو آكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة وليرد فيه لفظ ما ثور فينبغي أن يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن لشخص معين وهذا فيه خطر كقولك لزيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك لزيد لعنه الله وهو حي ولعله يموت مسلما فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مستورا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فان الايمان فيه مظنون لان الايمان تتقلب في الاحوال الا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيدر وحتى ان من لم يسلم جاءته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوت شهر فانزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون وبحسب ذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وبازدياده ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أحلم الناس وأضرب للهام من أبي خافة فقال ابو بكر يكاني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال

ابو الطيب اجازة قال انا
ابو منصور محمد بن عبد الملك
ابن خيرون قال انا ابو محمد
الحسن بن علي ابو هريرة
اجازة قال انا ابو عمرو محمد
ابن العباس بن نزار ببلنسية
ابو محمد يحيى بن محمد بن وهب
قال الحسين بن الحسن
المروزي انا عبد الله بن
المبارك انا يحيى بن عبد الله
قال سمعت ابا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصلوات
كفارات لما بينهن اذا اقرئت ان
مثنيات الحسنات يذهبن
السيئات كذلك ذكر الذاكرين

صلى الله عليه وسلم اكشف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم
الكفار فصموا فانكم اذا صمتم تغلب الابناء الآباء فكف الناس عن ذلك وشرب بعيان اللبن
فتمعرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى
به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله
ورسوله فهم من ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بعينه غير جائز وعلى ابلغ في من الاشخاص
خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن
يزيد لانه قاتل الحسين أو امر به فالجواب هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتله أو امر به مالم
يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق ثم يجوز ان يقال قتل ابن
ملجم عليا وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق
أو حتى كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق
الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر
الا باء أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه
أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر بدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك أن تشتم مسلما أو تعصي اماما عادلا والتعرض
للامورات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما تقول فلان لعنه الله قلت
وقي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات
فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال عليه
السلام أيها الناس احفظوني في اصحابي واختاني واصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات
الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الاصح ينتظر لعنه
الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل أن يموت بعد
التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر
والقتل جميعا ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تفضي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة
وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا التهاون الناس باللعنة
واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على
الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله
أولى فان لم يكن في السكوت سلامة فقال محمد بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن
أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون ما تذكر ما ارتكب
منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله وامن الله فلانا فلا أن
يخرج من صحيفتي لا اله الا الله أحب الي من أن يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اريد لك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمران أبغض الناس
الى الله كل ملعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا
لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد
نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترتب من اللعن اللعنة على الانسان

الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة واسرارها

احسن آداب المصلي ان لا يكون مشغول القلب بشيء قبل او كثر لان الاكياس لم يرفضوا الدنيا الا ليغتنموا الصلاة كما امروا الان الدنيا وان شغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها شغلة على تحصيل المناجات وتنبيهة في اوطان القربات واذعانا بالباطن لرب البريات لان حضور الصلاة بالظاهر وفراغ القلب في

بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لاصحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليسد عو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

(الآفة التاسعة)

الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا أن التجرد لمذموم قال رسول صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال أنا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ثم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخل الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان ابن ثابت الانصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولم يكن فى كفه غير روحه * بلا دبها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من جملة الشعر فلا يقصد منها أن يعتقد صورته وقد أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعارا لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم ينكر منه قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلى فأعزل وكنت جارية أغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الى فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو بكر الهذلى لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو بكر الهذلى قلت يقول هذين البيتين

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الى وقبل ما بين عينى وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت منى كسرورى منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فانتهبها ولم يذكر فى شعره وفى آخره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى استكمل مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول فى الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بأبى أنت وأمى انى لأجد للشعر مرديا على لسانى كمرديه النبل ثم يتوصى كما يتوصى النبل فلا أجيد الا من قول الشعر فتبسم عليه السلام وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

الصلاة عصى الله اذ عان الباطن فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا يحتمل اذعانهم فتخرم عبوديتهم فيجتنب ان يكون باطنه مرتهنا بشئ ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد اذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلى وهو حاقن يدافع البول ولا يأوى بالبه الغائط ولا يأوى أيضا ضيق الخف ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا رأى لحازق وقيل الذى يكون معه ضيق وفى الجملة ليس من الادب ان يصلى

(الآفة العاشرة المزاح)

وأصله من موهمن منه الاقذاء يستحق منه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان المزاح يذهب البهاء ولا فيه فيما تكذبه الاخ والصديق وأوقع عداوة وأما المزاح القليل وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم أنا لم ننه عنه الافراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه والعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فيحاذر من هذه الامور فلا ينجو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا أقول الا حقا الا أن مثلي يقدر على أن يمزح ولا يقول الا حقا وأما فيه اذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لابنه يا أخي هل لك أن تكون لنا وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل لعامري مضاحكا حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد تقبل منهم ما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يقبل منهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول أتضحك وامامك النار وقد خرجت من عند القسار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة ديكا لا يبكي ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على فاقة صعبة فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يقنعه بجمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقال يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه فاوصه وقد هلك فقال أنتم أولى بأخيكم ملأى من دمه وأما اذا أذى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فيهونون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وايا كم والمزاح فانه يورث الضغينة ويعيب الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للهيبة مقطعة

وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال فحكمه هذه الاشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفي الخبر) لا يدخل أحدكم في الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة الا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلي سكون الاطراف وعدم الالتفات والاطراف ووضع اليمين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي خصلة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز واربا به العزيمة يتركون الحركة في

للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه قلت قول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تثير حقدا وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا مزح عليك فيه والمحكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويثابر عليه ثم يتسلك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يكن يدوم تهما مع الزوج ينتظر اليوم والليلة ويعد ذلك ويتسلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يغفل عن هذا ثم روى أبو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني لا أدخل الا حقا لا أقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان من حده قال كان من حده صلى الله عليه وسلم كما ذا ثم يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واطوي منه ذيلا كذيل العروس وقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وروي انه كان كثير التبسم ومن الحسن قال أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادعها لي فقال لها لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وقال زيد بن أسلم ان امرأة قالت لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه بياض قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبعينه بياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم ما من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به وقال أنس كان لابي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو طير صغير وروت عائشة رضي الله عنها انها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه بتلك وقالت أيضا رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت بها فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أولا لطخن بها وجهك فقالت لست آكلة فأخذت يدي من الصحفة فلطخت بها وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالحري بيني وبينها فخفض ابا رسول الله كبتيه لتستقيدني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما فبينما هو عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عندي امرأة أحب أن تكون عندي وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفأدخل له على احداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها

الصلاة بطلة وقد حركت يدي في الصلاة وعبثت شخص في الصلاة من المصلين فلما انصرفت من الصلاة أنكر علي وقال عندنا ان العبث اذا وقع في الصلاة ينبغي أن يوقف جهدا لا يضر لشيء منه شيء (وقد) بانوا في الخبر بسبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والاحتلام والالتفات والعبث بالثوب من الشيطان ايضا وقيل السهو والشك (وقد روي) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الشروع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله (ونقل عن سفيان) انه قال من لم يخشع فسدت صلاته (وروي عن معاذ بن

وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دهيما وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يداعب لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن قد تزوج وبقبل وجهه وما قبله قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاستفد من هذه المطايبات مشروعية مجامع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معاملة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرا أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى أن خوات بن جبير الانصاري كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفرا لهن فمضى ثم رجع وقال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفوه عنه كما رأيته حتى عنه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال فرأيتني في المسجد يوما أصلي فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني أنتظر لك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفوه عنه حتى لقيني يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله * وكان نعمان الانصاري رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله وبأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا رسول الله هذا فداء اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك الميت للقلب

* (الآفة الحادية عشرة) *

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتصغير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزإ به لم يعم ذلك فيه وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها ما كنت أسأل النساء فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما أحب اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن

جمل أشد من ذلك قال من عرف من هن عينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لان ذلك عبث وهملا وقيل في تفسير قوله تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون قيل هو سكون الاطراف والطمأنينة (قال) بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعلم ان الله ناظر الى شخصك عالم بما في ضميرك وسئل في صلاتك البلغة عن يمينك والفار عن شمالك وأغاذ كرنا ان عقل الجنة

والكبيرة

والكبيرة الفهقهة بالثالث وبهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من جملة الذنوب والمكاثر وعن عبد الله بن زمعة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لا تستحقروا استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مضحكة ويفرح من أن يضحك به كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يباح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من الاحتقار والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صوته وخلقته اذا كان قصيرا أو ناقص العين وغير ذلك فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

﴿(الآفة الثانية عشرة)﴾

افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة وقال مطلقا المجالس بينكم أمانة وقال الحسن ان من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ويروى أن معاوية رضي الله عنه أمر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه أبت ان أمرا ائتمنني أمس على حديث ما أراه يطوي عني ما بسطه الى غيري قال فلا تحدثن به نفسك من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وان هذا الدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذل لسانك بحديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد اعتقك أبوك من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولو لم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فاكتفى من الاعادة

﴿(الآفة الثالثة عشرة)﴾

الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ترى عار الاخلاف بالوفاء فيصير الوعد سلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم الوعد دين أو أفضل وبالوعد الصدق وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسي فبقي اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان مخطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا ألفى الله بثلث النفاق أشهدكم اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا

والثالث ان القلب اذا شغل بذكر الآخرة يقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للتلبيس لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال انا عمر بن احمد العطار قال انا أبو بكر بن خلف انا عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض له وساوس الشيطان فاما من يأس باطنه عن نور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل مشاهدة (قال) ابو سعيد الخراز اذا ركع

هو ناسيا ثلاث مرات وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال يتغلر الى أن يصلي وقت الصلاة التي يجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن عمر يسمع فلا يصدق وعدا الا يقول ان شاء الله وهو الاولى فاذا فعل مع ذلك لزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفي فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة فائدة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلاثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحدة فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادما وتتغلل الاثر في أثر الرحى يعني فذكر موعده لابي الهيثم بفعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثر به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده لها مع انها كانت تدير الرحى بيدها الشريفة وقد كان صلى الله عليه وسلم بالسبايا تهم غنائم هوازن بجعرانة فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم عائشة فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال لك ذلك وقال استكثرت يسيرا واستيسرت عسيرا وهو على عليه السلام الذي دلته على غلام يوسف كانت أعز منك وأجزل سكما منك سين حكمها موسى عليه السلام فقالت سكمي أن تزفني شابة وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما استحكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل وفي نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا اثم عليه

(الآفة الرابعة عشرة)

الكذب في القول والعين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسع سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار قال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب بابه من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان سمي النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة وهما لا يعلمان يقول أحدهما والله لقد سألت من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فغرا الشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أربحت صاحبك بالاثم

فالادب فيه ان يحترز عن أن يتعود الكذب حتى يتساهل في تركه عمدا حتى لا يبقى منه متصل الا وهو متحرز عنه نحو الهزل العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله ويحقر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء واذا رفع رأسه رسول الله يسمع ذلك (وقال) وقال لي يسمع ذلك (وقال) أيضا وبحسبك من سمعت ان تحدث بكل ما يكاد يذوب به (قال) السراج اذا اختلفت التلاوة فالادب في ذلك أن يشاهد كأنه يسمع من الله أو كأنه يقرأ على الله (وقال) السراج من أدمن قبول الصلاة

والكهانة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله ورجل كان في فئة فحضرت فحضر معهم يقاتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان لجار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يعرسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يرقد أصحابه للرحيل وثلاثة يبغضهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن ثريدا لا يابس فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيده القائم كلوب من حديد يلمه في شدق الجالس فيحلبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلتئم هذا الجانب الآخر فيعمله فاذا التأم رجع الآخر كما كان فعلت الذي أقاسي ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن يزيد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال قلت يانبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال أبو سعيد الذي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت امي ياعبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو أن الله علم أحدا عيد هذا الصوم اتسمها بينكم ثم لا تجدون فيها بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان كلاف لابن آدم فأما المرق فالكذب وأما النشوق فالغضب وأما كلفة النوم وغلبة عمر رضي الله عنه يوما فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي هذا فيكم فقال أحسنوا الى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم ينشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي

المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارد وفي كل شيء تضيفه ذكر الله فاذا قاموا الى الصلاة بحضور القلب فتكلموا بما امروا من الصلاة الى الصلاة فيقومون مع النفس والعقل ويناجون في الصلاة فيها فاذا خرجوا من الصلاة فجمعوا الى حالهم من حضور القلب فتكلموا في الصلاة فهذا هو ادب الصلاة (وقيل) كان بشر لا يقوم له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس ويسمع من اصحابه يعد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة ادب شبيه بحضور القلب في

الله عز وجل وهو عليه غضبان وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وزن شهادة وجهل في كفة كذبا وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق أبغض الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذبة فما يخيل من صدره حتى يعلم انه قد أحدث توبة الله عز وجل منها وقال موسى عليه السلام يارب أي عبادك شر لك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يابني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في صفح الصدق أربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح (وأما الآثار) فقد قال علي رضي الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه أصبحكم الينا سالم نركم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحبكم الينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ومن ميمون بن أبي شبيب قال جلست اكتب كتابا فأتيت على حرف فان أنا كتبته نزعت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما أدري أيهما أيسر أصغر في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السماك ما أراني أجرؤ على ترك الكذب لاني انما ادعاه عادة وقيل لطاهر بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا ويعرض خطبته على عمله فان كان صادقا فصدق وان كان كاذبا قرضت شفته بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون مجرد اعتقاده قبيحا وربما جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل ذلك الجهل فيكون مذموما فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فقيل لك فقال ادرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم اره وما تصدقه وهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان

المراد بشهود العقل هذا حالة الرهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العقاب وعند حضور القلوب فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن اتى الصلاة بلا حضور القلب فهو موصل لا وهو من اتاها بلا شهود العقل فهو موصل ساه وهو من اتاها بلا خضوع النفس فهو موصل خاطئ

المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لايتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على سد الضرورة فيكون الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روى عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم الا الرجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما وروى عن أبي كاهل قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فاقتتلت أحدهما فقلت ما لك وفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم اقتتلت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو أي بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وروى ان ابن ابي عزة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج من فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك اخذ بيد عبد الله بن الارقم حتى أتى به الى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال انكم تحدثون اني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الارقم فسأله فأخبره فارسل الى امرأة ابن أبي عزة فجاءت هي وعمتها فقال أنشدك لتصدقين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدني فخجلت ان اكذب أفأكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احدا كن لاتحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على بن آدم لاعالة الا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء أحب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها الصريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره اما ماله فمثل ان يأخذ ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي

ومن اتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف (وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة اصابها وبغسل يديه خطيئة اصابها وبغسل رجليه خطيئة اصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي السرقة اقبح

يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبأن يسأل عن سر اخيه فلا ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بأن كاذبه وزيادة توده فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع لتولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود امورا من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولا سبيل لعموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة لطلق الضرر والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة تحكي عن زوجها ما تخبر به وتكذب لاجل عراضة الضرات وذلك حرام وقالت اسماء بنت ابي بكر امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة وانى اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بما لم يطعم او قال لي وليس له او أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لا يتثبته اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يتحقق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كاذب كان ذلك حراما نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا انما يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث لحظه وغرضه الذي هو مستغن عنه واغنيته هل ظاهرا لاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا ورد ذلك غامض جدا والملزم تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى الى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتحه بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

فقالوا الله ورسوله اعلم فقال ان اقبح السرقة ان يسرق الرجل صلاته كيف يسرق الرجل صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروى) عن ابن عمر بن العلاء انه قدم للامامة فقال لا اصلح فلما الحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا اماما آخر فلما افاق سئل فقال ما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت انت مع الله (وقال عليه السلام) ان العبد اذا احسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ماروى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبي فارقت الامير الا مارفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذبه فقل ان الله تعالى ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما عرفني عند المستمع وعند الله بهما وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعاه فاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه واعطاه شيأ فقال ارضها به ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيبا واراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ترايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه من بكره ان يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كي لا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في المنزل وهو يكره خط دائرة وقال للجارية تضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فالاولى ترك هذا تنزيها للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فغرجت وعلي ثوب يجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي ابي يا بني اتق الكذب وما اشبهه فنهاني عن ذلك لان فيه تقرير الوهم على ظن كاذب لاجل غرض الفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض مباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وقوله للاخرى الذي في عين زوجك بياض والاخرى تحملك على ولد البعير وما اشبهه واما الكذب الصريح كما فعل نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الحرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحق بتغريرهم بان امرأة قد رغبت لك تزوجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا يكمل لامرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في هزله واما قوله عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها القوم يهوي بها في النار ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان

الله كما حفظتني ثم صعدت وابها نور حتى تنتهي الى السماء وحتى تصل الى الله فتشفع لصاحبها واذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت وابها ظلمة حتى تنتهي الى ابواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال ابو سليمان الداراني) اذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله أرخوها فيما بيني وبينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه (وقال) ابو بكر الوراق ربما اصلي ركعتين

بالمبالغة فيها لخطر الكذب وما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة في الليلة التي جاءتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي أسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا ترديّ يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا الشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون من التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كان عندنا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول واين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه اصل لسانه في الكذب من حدا اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت امرأة الربيع بن خثيم عائدة لابن لي فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع وقال ارضتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم ما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام ان من اعظم الفرية ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينه في المنام ما لم تر أو يقول على ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلم كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما ابدا

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويل)

فلنذكر اولا حد الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على نهيها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال ابو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على اقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن بريدة اتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا انتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل

فانصرف منها وانا استحي من الله حيا رجل انصرف من الزنا قوله هذا اعظم الادب عنده ومعرفة كل انسان أدب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر ان الناس افسدوا اعمالهم بين يديك قال ان الذي اصلي له اقرب الي من الذي يمشي بين يدي (وقيل) كان زين العابدين علي بن الحسين اذا اراد ان يخرج الى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقف (وروى عمار بن ياسر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكتب للعبد

الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال انس أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل
يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل
فقال يا رسول الله فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتيا الثفائذن لهما ان يفطرا
فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم
من ظل نهاره يا كل لحم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين أن تستقيآ فرجع اليهما
فاخبرهما فاستقاءتا فاستقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لاكلتهما النار وفى رواية انه لما اعرض عنه
جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله انهما قد ماتتا او كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم
ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح
ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل
الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم
الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم
يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان الربا
عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فاتى على قبرين
يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس
وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله فدعا بجريدة رطبة أو بجريدتين فكسرهما ثم أمر بكل
كسرة فغرست على قبر وقال أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا وقال
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا فى الزنا فقال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص
الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله نهش جيفة
فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون
عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل
لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما كانه حيا فكله فيضج
ويكلح وروى مرفوعا كذلك وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد
فمر بهما رجل كان محتنا فقال ذلك فقال الا تتقيان الله فانه منتن واقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع
الناس فجاء فى أنفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما
ان يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال فى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان
فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث
من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع فى دين الرجل
المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم
ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت ان تذكر عيوب
صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى فى عين اخيه ولا يبصر الجذع
فى عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس

من صلاته الا ما يعقل وقد
ورد فى لفظ آخر منكم من
يصلى الصلاة كاملة ومنكم
من يصلى النصف والثلث
والربع والخمس حتى يبلغ
العشر (قال) الخواص
ينبغى للرجل ان ينوى نوافل
لنفسه من ماله فان لم
ينوها لم يكتب له منها
بلغنا أن الله لا يقبل نافلة
حتى تؤدى فريضة يقول
الله تعالى ملكوا كما تملكون
العبد السوء بأداء فريضة قبل
قضاء الدين (وقال) أيضا
انقطاع الخلق عن الله بخصلتين
احداهما انهم طلبوا الفوائل
وضيعوا الفرائض والثانية
أنهم عملوا اعمالا بالظواهر
ولم يأمنوا انفسهم بالصدق

بعيب هو فيك وحق لمبتلى بذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض اسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا أحسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يقتاب آخر فقال له اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وايا كم وذكر الناس فانه داء نسال الله حسن التوفيق لطاعته

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر انسانا بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه او نسبه أو في خلقه أو في فعله او في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه ودابته * أما البدن فذكرك الاعمش والاحول والقرع والقصير والطويل والاسود والسمرة وجميع ما يتعلق به مما يكرهه كيفما كان * وأما النسب فبان تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيفما كان * واما الخلق فبان تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور ومايجري مجراه * وأما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب او شارب خمر او خائن او ظالم او متهاون بالصلاة أو الزكاة اولا يحسن الركوع او السجود اولا يحترز من النجاسات أوليس بارا بوالديه اولا يضع الزكاة موضعها اولا يحسن قسمتها اولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس اولا يرى لاحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس او انه كثير الكلام كثير الاكل نؤوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه * واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاتها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وذكرت عنده امرأة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لطلب معرفتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل أرأيت ان كان في أخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله فلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك

فيها والنصح لها وان الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الخلق وضع اليمين في الصلاة اولى من تخصيص اليمين الان يشتت همه بتفريق النظر فيخصص اليمين للاستعانة على الخشوع وان تشاغب في الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم في الصلاة غيره (قيل) ذهب المزحوم بصلاة الزاحم (وقيل) من ترك الصف الاول مخافة ان يضيق على اهله فقام في الثاني اعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير ان ينقص من اجورهم شيء (وقيل) ان ابراهيم الخليل

٢

وقال في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتاب أحدكم احدا فاني قلت لامرأة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لي النظي النظي فلفظت مضغة لحم

(بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان المغتاب وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجا أو كأنه يشير فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة ما كت امرأة قال ما يسرني اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكرا لمصنف شخصا معينا وتعجب كلامه في الكتاب غيبة الان يقترن به شيء من الاعذار الموجبة الى ذكره كما سيأتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر من انسان شيأ قال مابال اقوام يفعلون كذا وكذا فيكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة واخبث أنواع الغيبة غيبة القراء الرائين فانهم يقصدون التصوف على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وانما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يتقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن احوال فلان ما كان يتصرف في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يتلهى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومراثيا ومن كان نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكايده عامة ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتبعه بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا الذي يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة لتحقيق خبثه وهو يمقت على الله عز وجل بذكره سهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى

عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة يسمع شنشنة لبه من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض حجر المدينة (وسئل) البغيد ما فريضة الصلاة قال قطع الملائق وجمع الهمم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعزون امر دينك اذا هانت عليك صلاتك (وقيل) اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهيء لي من قلبك الخشوع ومن عينك بذل الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال)

الانتقام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاغتابه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باطهاره ما يكرهه وكذلك قد يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره ونفي قصده وهو بله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له باظهاره اذا جاهر واما من ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منهم بهذا الطريق فيقول بعجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا فعافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لا ينام حتى يتوضأ ثم انهما طلبا أحدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا لحمه فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلم قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أفحص الرجل كما يتفحص الكلب انهشا من هذا الجيفة يفهم بهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو منشه لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير بيده أو اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها

* (بيان الاسباب الباعثة على الغيبة) *

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها اثنا عشر سببا ثمانية منها انطوى في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة (أما الثمانية) فالاول شفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين رادع وقد يتبع شفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر عليهم أو قطع المجلس استقذروه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجامل في النصيحة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يتغضب لغضبهم اظهارا للمصاحبة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي * الثالث أن يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه

بالصدق

ابو الطيب الاقطع رأيته رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال يا أبا الطيب عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فاوصاني بالصلاة وقال ان اقرب ما اكون منك وانت تصلي (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما ما رأيت رجلا في تفكر كثير من قيام ليلة ولا رأيت ابن محمد بن يوسف الفرقاني) رأى عاقلا الا صمم واقفا يعظ الناس فقال له يا سيدي ارأيت تعظ الناس أنصت ان تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال اقوم

بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فانى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قال * الرابع أن يشبه الخلق غيره فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا يشتغل بذكره البتة أو يذكر غيره بأنه كان معه شاركه في الفعل ليبرئ بذلك نفسه في فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيتدرع فيه لذلك * السادس الحسد وهو أن يعيا حسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ما هو به عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب * الثامن السخرية والاستهزاء باستحقاره فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر والاستصغار للمستهزإ به * وأما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أعمها وأدقها الاول الباعث ورضاها الشيطان في محرض المثيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تتبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما أتعجب مما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا فيكون تعجبه من المنكر ولكن حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل * الثاني الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يتلبس به فيقول مسكين فلان قد خفي أمره وما اوتي به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا التعجب ولكن ساقه الشيطان الى الشر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيم يجد الشيطان على ذكر اسمه ليتطرق به الى باب اغتيابه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر فاعله انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض درکها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره روى عن عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لنذبنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه وأخبره بما قال فاتاه فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال أنا أجاره وأنا به بشير يا رسول الله ما رأيته يصلي

بالامس وأمشي بالخشية
وأدخل بالهيبة وأكبر
بالعظمة وأقرأ بالترتيل
وأركع بالخشوع وأسجد
بالتواضع وأقعد للتشهد
بالتمام وأسلم على السنة
وأسلمها الى ربي وأحفظها
أيام حياتي وأرجع بالاوم
على نفسي وأخاف أن لا
يقبل مني وأرجو أن يقبل
مني وأنا بين الخوف
والرجاء وأشكر من علمني
وأعلمها من علمني وأحمده
ربي اذ هداني فقال محمد
ابن يوسف مثلك يصلح أن
يكون واعظا وقيل
لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى قيل من حب الدنيا
وقيل من الاهتمام وقال
عليه السلام من صلى ركعتين

صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاساله يا رسول الله هل رأتي أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها او الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاساله يا رسول الله هل رأتي قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله في سبيل الله الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فاساله هل رأتي نقصت منها أو ما كسبت فيها طالبا الذي يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعمله خير منك

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة)

اعلم أن مساوي الاخلاق كلها انما تحصل بالجهل والعلم وانما علاج كل علة بضدها فقد تبين ان علاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وأن يعلم أنها تعبط حسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته في القيامة الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيآت خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومتشبه عند ما يأكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تتبع كفة سيآته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة من اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني احكمك في حسناتي فتهبها آمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها شوقا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وهو ما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يتحقق ان عجزه عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها قال رجل لحكيم ما قبح وجهه قال ما كان خلق وجهي الى فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يأمن تلبيس نفسه باعظم العيوب فان تلبيس الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف علم أن ظنه بنفسه انه بري عن كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول اني اذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه امسك لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى

ولم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال أيضا ان الصلاة تمكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج أي ناقصة وقد ورد أن المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الارض هربا منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب نفسه قبل يضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فاذا لم يكن في قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت الله في قلبك كما تقول

الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وأما الموافقة فبان تسلم أن الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن تؤثر غضب الله ومقته على رضا مولاك فتترك رضا مولاك الآن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله أيضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافشاء الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل للمذموم الله تعالى فقدا وتنتظر دفع ذم الخلق سيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك ان أكلت الحرام فلان يأكله وان قبلت مال السلطان فلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لم يسقط عقابك فتعاذ كرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اقترفت منه وجمعت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المسوي تردي نفسها من قلة التمييز فمن أين تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العنز أحسن مني وقد أهلكت نفسها فكذلك انا أفعل لكنت تفضلت من جهلها وسألت مثل حالها ثم لا تجب ولا تفضلت من نفسك وأما مفسدة المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم انك باذكرتك به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على تظنون وربما تنقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق بثمن ما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لسكانوا لا يغفرون عنك من الله شيأ وأما الغيبة لا يحل الحسد فهو وجمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكانت في الدنيا محسودا بالحسد فالتمست بذلك حتى أشقيته بعذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة تجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك أو تنقل اليك سيئاته ولا تنفعك وقد بعت الى خبيث الحسد بهول الحقد وربما يكون حسدك وقد حملك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

واذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فتقصد بذلك ان تحقر غيرك عند الناس باشارة تفعلها عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فاذكر وقت سخريتك وضحكك منه يوم القيامة يوم تحصل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لاذهاب ذلك من استهزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت

وتشمشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب للمشوذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل اذا قام الى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب فتقطع الصلاة فاذا كبر اطلع الله على قلبه فاذا كان شيء في قلبه أكبر من الله عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول فيشور من قلبه دخان يلتحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت فيزداد ذلك احتجابا بصلاته ويلتقم الشيطان قلبه فلا

نفسك لان يأخذ يوم القيامة بيدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سياط كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك وسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على انه فهو محسن ولكن حسدك ابليس فأضلك واستفزك بما يقتل من حسناتك اليه ساعة أكثر من ان يحتمل فيكون بزعمك ظالما لك مرحوما وتنقلب أنت مسيئة الى نفسك مرحوما انحط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير مع غضبك لله عز وجل بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت دينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله ستره كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من أبواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بمساوئ الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك وأنت أعني به الاعتقاد القلبي وحكمه على غيره بالسوء وأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس وتميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب خبريته أن اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك الا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس ان كان ثم مخبر له تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها واوصل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة تدل له عقلا فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو نص مشاهدته او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقدر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشك والوهم تخلي والنفس تحدث فنقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتش عن مراعاته وتفقده واكراهه والاهتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله مخرج فمخرج من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحدث به نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقدر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي

يزال ينفخ فيه ويقبح
ويوسوس اليه ويزين حتى
ينصرف من صلاته ولا
يعقل ما كان فيه وفي الخبر
لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السماء
والقلوب الصافية التي كمل
آدميتها بالكمال أدب قوالبها
تصير سماوية يدخل بالتكبير
في السماء كما يدخل في
الصلاة والقرب الى عرش
السماء من تصرف الشياطين
والقلب السماوي لا سبيل
للشيطان اليه فبقي هو اجنس
نفساني عنه ذلك لا ينقطع
بالتحصن بالسماء كانقطاع
تصرف الشيطان والقلوب

البهان هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وان المؤمن متأمور بنور الله تعالى ويعمل على التحقيق ناظر بنور الشيطان وظلمته وأما اذا أشير لك به عدل فمال ظنك الى تفسيقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت باقيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر ثم ينبغي أن تجتهد على نفي ما عداوة ومحاسدة ونحوها فتتطرق التهمة بسببه فتدرء الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة وترد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تتول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره مجهولا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا أن الناس لكثرة الاعتماد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر للمتخاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوه بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يليق الميل الى الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هذه فسلم بجبهة ناتئة في السر ولا يضيء عنك الشيطان فيدعوك الى اجتنابه واذا وعظته قلا تعظه وأنت مصر وباطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وترفع عليه بأن أعظه وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك لصوص في دارك وينبغي أن يكون تركك لذلك من غير تحمل أدب الملك من تركها بالتسجية فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الستر بسببه وأجر الاعانة على دينه ومن ثمرات تسوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله فتستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

(بيان الاعذار المرخصة في الغيبة)

اعلم أن المرخص في ذكر مساوئ الغير وعرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة أمور * الاول التظلم فان من ذكر فاسقا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن متظلما وأما المتظلم من مجهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال عليه السلام لي الواجد يحل عقوبته وعرضه الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فأتاه أبو بكر اليه ليعلم ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك شكا بلاغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل

المراد بالتقريب تدريج بالتقريب ونعوج في طبقات السموات وفي كل طبقة من اطباق السماء يختلف شيء من ظلمة النفس ويقل ذلك بقدر الحاجب الى أن يتجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية حاجب النفس ويستطلع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدى حينئذ مستحق الآداب على وجه الصواب (وما ذكرناه) من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفناه وأجل من ذكرنا

الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم يرد ذلك عمر من أبلغه غيبة اذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينتفعه فجعله بالا يفيده فصح غسره وانما اباحة هذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما به الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التصريح مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم ينكر هاصلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تقتدي به في بدعته وفسقه فذلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لغيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحامل هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى ثوبا وكان قد عرفت المعاملة بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك الفاسق في سكوتك ضررا للمشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى برعاية جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطمئنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به اذ قال صلى الله عليه وسلم أترعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يتولد روى أبو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك للضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم به لان قد صار مشهورا به فمهما وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص * السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالمكاس وصاحب الخمور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكل من يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا يرضى بهتك حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري اياه فيما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتباهون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم وقال محمد بن سيرين قيل على ابن سيرين فتناولت عضده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للعجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

(وقد غلط اقوام) وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله واذا حصل الذكر فاي حاجة الى الصلاة فسلكوا طرقا من الضلال وتركوا الى اباطيل الخيال وتهوروا الرسوم والاحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا اقتضى بهم الى نقصان عميت سلكوا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرائض وانكروا فضل النوافل واغتروا بسير رواج الحلال واهملوا افضل الاعمال ولم يعلموا ان لله في كل هيئة من الهيآت وكل حركة من الحركات اسرارا وحكما

(بيان كفارة الغيبة)

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعل ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد ارتكب معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة الكل لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء عن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تقعي إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف الناقد وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روى الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فإذا لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات * فإن قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتردد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتردده محسنة تحسب له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا أحلل من ظلمني وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله سبحانه حرم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا * فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به الندب والحث على المظلمة لا أن يتقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحل لغيره الغيبة فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تسقط الغيبة بمجرد ذلك بل لا بد وأن يعزم على الوفاء بأن لا يخاصم فإن رجع وخاصم كان الناس كسائر الخلق أن له ذلك بل صريح الخبر فيها أن من أباح القذف لم يسقط حده من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى أيهما تقاصوا فضل قال الحسن إذا بعثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة تؤدى إليهم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك * وروي عن الحسن أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطبا على طبق وقال

لا توجد في شيء من الأذكار فالأحوال والأعمال روح وجسمان ومادام الهيف في دار الدنيا اعراضه عن الأعمال حسن الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تقوى بالأعمال

(الباب التاسع والثلاثون)
في فضل الصوم وحسن أثره

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر وقيل ما في جوف ابن آدم شيء أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من خلوف فم الصائم

قد بلغني انك أهديت الى من محسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لا أقدر أن أكافئك على التمام

﴿(الآفة السادسة عشرة النميمة)﴾

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عقيل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يحسن الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة الغمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة غمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو الغمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأحسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها أهل فليتبوأ مقعده من النار وروي ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق الجنة قال لها انطقي فتكلمت فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية أنواع من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار أن بني اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا قال يا موسى انهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا وقال ابن ربيع سمعت رجل حكيما سمعا ثقة يقرئ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الصخر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ أثقل من السموات واطبق أوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والظلم احر من النار والمجاجة الى القريب اذا لم تجبع ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الصخر والتمام انا بان امره اذل من اليتيم

﴿(بيان حد النميمة وما يجب في ردها)﴾

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان

الى فلان ينتقص احدا منه شيأ (وفي الخبر) الصوم لي وانا اجزي به قيل اضافه الى نفسه لان فيه مخالفا من اخلاق الصمدية وايضا لانه من اعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليها احد الا الله وقيل في تفسير قوله تعالى الصائمون الصائمون لانهم صاموا الى الله بجوعهم وعطشهم وقيل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب هم الصائمون لان الصبر اسم من اسماء الصوم يسوغ للصائم افراغا ريحا زفه بجازفة وقيل احد الوجوه في قوله تعالى

يتكلم فيه بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما يرآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة فليسلم أو ليدفع المفسدة كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به عند من له حق الشهود له فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره نميمة وافشاء للسر فان كان مما يتم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قبيحا بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه أو اظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من نمت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وفعل في حقك كذا أو هو يدبر في افساد أمرك أو في مماله عدو لك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور * الاول أن لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر * الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه يبغض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى * الرابع أن لا يظن بأخيه الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم * الخامس أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث لتحقق ما نقل اليه قال تعالى ولا تجسسوا * السادس أن لا يرضى لنفسه ما نهي النمام عنه ولا يحكي نميمة فيقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر أن حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي الي وشغلت قلبي الفارغ وأتممت نفسك الامينة وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال لسليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا يصدق فعله وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو من يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلا سعى

فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان علم الصوم وقال) يحيى بن معاذ اذا ابتلى المرء بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة ومن ابتلي بحرص الاكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس بن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان يتعلق بها فاذا جوع بطنه واخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله واذا أشبع بطنه وثقل ساقه في اذائه الشهوات فقد تعاونت اعضاؤه وأمكن الشيطان والشيخ تعرفي النفس تردد الشياطين

اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا صدقناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقبلك أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أرفع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغني أن فلانا أعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشم نفسي بلساني رسمي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال * وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل واثنة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير فحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فاخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انه اذا كاشف الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس اشر من شد بين ايلي بغل وحمار وقال رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذنه في الكلام وقال اني احكمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان تبلغه فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال اتاعوا دنياك فهم يرضائك بسخط ربهم خائفون لك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما أئتمنك الله عليه ولا تصح اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم ان يأثموا في الامة تخسفا وفي الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا أعلى قريهم البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا المسؤلين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فاقبل زياد على الرجل وقال

فانت امرؤ اما ائتمنك خالیا * نخنت وما قلت قولا بلا علم

فانت من الامر الذي كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت مناحديثه ولا أديت حق حين أعلمتني عن أخي ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها لتجري النصح فسر انك فيها أفضل من الربح ومساذا الله أن تتسلل مهتوكا في مستور ولولا انك في مختار رشيقتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثالث فتوق يا ملعون العيب فان الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا البسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وامنعهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله

وابليس عنهم وفي الروح تردده الملائكة ويلتزمه الشيطان من يضاجع نائم فكيف اذا كان قائما ويعانق الشيطان شيطانا قائما فكيف اذا كان نائما فقلب المريد الصادق يصرخ الى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب (دخل) رجل الى الطبيب السري وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال اذمه حتى اشتهيه (وقيل) من اسرف في مطعمه وشربه يعجل الصغار والذل اليه في دنياه قبل آخرته (وقال) بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه الى الله قطع

التمام

الغذاء (وقال) بشر ان الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذو النون ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله أو هممت بمعصية (وروى) القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار لا لصباح ولا لغيره فقال قلت سبحان الله فبأى شئ كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء كان لنا جيران من الانصار بعث الله لهم خبزا كانت لهم مناتح فربما واسونا شئ (وروى) ان حفصة بنت عمر رضى الله عنه قالت لابيها

التمام البتة لكان هو المجتزئ بالشئ عما يليه والمتقول عنه أولى بالحمل لانه لم يقابل بشئ وعلى جملة فشر التمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال سماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النومة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجته مولاى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خلا لا تريد أن تقتلك فتناولوم لها حتى تعرف ذلك فتناولوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فسبحان الله حسن الترفيق

(الآفة السابعة عشر)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لا ينبغى لذى الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يملك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا التوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق والنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك

* فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهى الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب المحبة والاخوة فلم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النمام اذ يصير غماما بان ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدى عدوه قيل لابن عمر رضى الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره

فقال كانت هذه الناقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق فهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي أخرج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو تنعم بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والمال وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يخرج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

(الآفة الثامنة عشر)

المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخل ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح (فأما المادح) فالاولى أنه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح امرأ أو أسعد بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخل الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لا بد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا أحسبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف الباطنة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وغير وما يجري مجراه فاما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذا مرئي ومستيقن ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة * سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا أراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليخزى ولا يمدح ليفرح (وأما الممدوح فيضره من وجهين) أحدهما انه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير

المؤمنين

ان الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعاما أطيب من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك فقال انما أخاصمك الى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لاشاركنه في عيشه الشديد لعلي أصيب عيشه الرخاء وقال بعضهم ما فخلت امرأة دقيقا الا وانا له عاص (وقالت) عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضي الله عنها ادعوا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف ندعو قالت بالجوع

المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها لفسه قال فخشيت أن يخالط قلبك منها شئ فاحببت أن أطأطئ منك الثاني هو أنه اذا أثني عليه بالخير فرح به وقر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا اطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى مرضا وقال أيضا ان مدح رجلا عقرت الرجل عثرة الله وقال معروف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا ترآى له الشيطان وليكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك لقلب العوام وأما ما ذكره معروف فذلك لقلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أولان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كأن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين المدح فانه صلى الله عليه وسلم وبخ لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح

* (بيان ما على الممدوح) *

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا يخلو عنه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في ضمائر الخلائق ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لتكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هذا لا يعرفني وأنت تعرفني وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتم الكفي وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه انه

(العطش والظمأ (وقيل) ظهر ابليس ليحيى بن زكريا وعليه مسالق فقال ما هذه قال الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة فنقلتنا عن الصلاة والذكر فقال لا جرم اني لا اشبع أبدا قال ابليس لا جرم اني لا أنصح أحدا أبدا (وقال) شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه اذا ملئت المعدة نامت الفكرة ويبست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه من طعام

يقع فيه فقال على أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

(الآفة التاسعة عشر)

في النقلة عن دقائق الخطافي فتوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين الا العلماء النصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت وليكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسويه وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا أيتني خلقة خنزيرا أيتني خلقة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولا الكلب لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعته وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم انه اذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سره وله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فمساء يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك من الخطر فان كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

(الآفة العشرون)

المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من فاجعة قد أفسدت معدته ألوان فكره للمريد ان يوالي في الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك على قدر زهدك في الدنيا وقال عليه السلام ما ملأ آدمي شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث لنفسه (وقال) قتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل

سؤالي

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انه من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن شيء مما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم لم يمض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال أنس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام اليه شاب ان اخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لابل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية المائدة عن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك ففارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من التعمقات المذمومة فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وشغلهم في حروف القرآن بما هي حال من كتب الله اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم محدثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

(الباب الاربعون في اخلاق أحوال الصوفية بالصوم والافطار)

جميع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى ماتوا به (وكان) عبد الله بن جابر قد صام بينا وبين سنة لا يفطر في السفر والحضر فيه سنة أصحابه يوما فافطر فاعتل من ذلك اياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليديم دائما وبدع للافطار جانبا فهو عون حسن لمن أراد ما يريد (روى) ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر

* (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي لا يشكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون * الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وبسط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم سقمهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن بهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم أنه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون * وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * والصلاة على محمد رسوله الذي يسرت لواء النبيون * وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة توازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى ببركتها الأولون والآخرون * وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * وانها لمؤصدة في عمد ممددة * استكان لهبها فثارت الرماد * ويستخرجها الكبريت الدفين في قلب كل جبار عنيد * كاستخراج الجواهر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين * فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار * وشأن النار التلظي والاستعار * والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد * وبهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومقبضهما مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد * واذا كان الحقد والحسد والغضب * مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فنأخذ في وجه الى معرفة معاطبه ومساويه * ليحذر ذلك ويتقيه * ويعطف عن القلب ان كان ويتقيه * ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه * فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويتقيه * ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ونجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به يتقى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق

* (بيان ذم الغضب) *

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي

صفته عليه وجوهم هكذا وعقد تسعين أي لم يكن فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف من صام الدهر قال لا صام ولا أفطر وأقول قوم ان صوم الدهر هو ان لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذي يكره واذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام

قولا وأقلله لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجيني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم ومن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب انما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عيسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب أحد الا أشفى على جهنم وقال لرجل أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب (الا ثار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وبوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني عملا أزداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى نادا مفقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني أنا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فاوجبتنا اليوم وقصيرا لم تقبله منك فقال الى الشيطان وقد أردت ان اضلك فلم استطع فخلتك لنسأني عما شئت فاخبرك فقال ما أريد أن اسألك عن شيء فقال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديد القلب سريع الغضب كنا نتلقف الانسان كما يتلقف الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين وعفة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما يعجزني بنو آدم فان يعجزوني في ثلاث اذا سكر أحدهم اخذت بخزامته فقدته حيث شئت واهل لنا ما اصبنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ولضلبها في يديه وغنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما الملك فلانا لنفسه قال اذا لا تملك الشهوة ولا يسرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم ايالك والغضب فانه يسير بك الى ذلة الاعتذار وقبل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على

كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما او يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل اكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكي) عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعد تمع الاخوان باقل من فضل

قدر ذنبه ولا يجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت ريح الحلي في المنائر المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قتل الغضب عدو العقل والغضب عقول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا غضب قال في خطبته أقلل منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قادا ه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم القوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطانة ولا يستخفه حرص ولا تقصر به نية فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يحل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يفقر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال بعض من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب أنا وفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والطرق والطمع

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وبأسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه * اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وترتبخرها حتى تصير ابخرتها بخارا يتصاعد منها فلولا يتصل بالرطوبة بدل ما يتحلل من الفذاء يجبرما انحل وتخرج من ابخرتها الفساد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كما وكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان ويجمعها بطبيعته فهو ما صدر عن غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب ويتشعر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر البدن الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر

الصوم غير انه هذا يحتاج الى علم فقد يكون الداعي الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب (ومعنى) شيخنا يقول لي سنين ما كانت شهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم الى الشيء فاراه من فضل الله وتعمته وفعله فاوافق الحق في فعله (وذكر) انه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام اليه قال فقمت بباب البيت الذي فيه الطعام واخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت

وبصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومنابعها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فقرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك مرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * واما الاسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتهجمون بالتشفي في الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا اصبر على الذل ولا احتمل من احد أمرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذم الحكيم في معرض التفاخر بجهله فمن سمعه وسع في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب وهو حالة تشتد نار الغضب وتقوى اضطرامها أشد مما سببها وأصعبه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استشاره ينور عقله ورأيه نفسه ليقدر ان يتطفئ نور العقل ريثما يحمى في الحال بدخان الغضب فان معادن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر ويعايتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف أظلمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى ضوءه وانطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقتدر على أطفائه لان داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فتنشق وتتهدم عليه او على اقرانه وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وباطنه قلب فالسفينة في تلاطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا واربح سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد تلفت حيلته اذ أعماه الغضب وأصمه وأمن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير الالوان وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتقسم الاحداق وتتقلب المناخر وتستحيل الخلقة

هذه الصفات هذا عقوبة لي على تصرفي في أخذ الزمانة (رأيت) الشيخ ابا السعود يتناول الطعام في اليوم مرات أي وقت أحضر الطعام أكل منه وري أن تناوله للطعام موافقة الحق لان حاله مع الله كان تركه الاختيار في ما كوله ومليوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل أنه كان يجيء اياما لا يأكل ولا يعلم احد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب الى تناول شيء وينتظر فعل الحق سبحانه الرزق اليه ولم يشعر احد

ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه سريعا من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم اثمر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن نفس الثمر بالثمرة فهذا اثره فى الجسد واما اثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحى منه ذو العقل ويستحى منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتجريح والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه اوقاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الارض ويعدو عدوا لوالهه السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لايطيق العدو والتهور من بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما ضرب دابته فيركس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يوقف منه من التعرض للعرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاشياء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خبيثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير منه وان الله اغير منى وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخمود والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خيار أمتى ألسنتها وهو يعنى فى الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة فتفقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظم اشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم ويحفظه على سمت الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور أوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغى أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغى ان يأتى بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير

بيان

جعله الله تعالى أظهر حاله وأقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكاثرون الاطعمة ويأتون بها اليه ويوبخ فى ذلك فنزل الحق والموافقة سمعه يقول اصبح كل يوم وأحب ما الى الصوم وينتقض الحق على محبتى الصوم بفعله فاوافق الحق فى قوله (وحكى) عن بعض الصادقين من اهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا فى رمضان (وقال) ابو نصر السراج انكر قوم هذه الخاصة وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون

(بيان الغضب هل يمكن ازالته اصله بالرياضة أم لا)

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة اليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون انه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الخلق فيه ما ذكره وهو أنه ما بقي الانسان يحب شيأ ويكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب ومادام يوافقه شئ ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لامحالة واذا قصد بمكروه غضب لامحالة الا أن ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام * الاول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكثر ان يغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينقل الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها الغضب على الضرورة بأخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو يجلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت عذاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا يجهد في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الهم والحزن حتى ينتهي به بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة فرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري * القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فانها هي وسيلة الى الضروري والمحبوب بسبب ضروري ضروري وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

*(اما القسم الاول) ليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن ليكن بحيث يقدر على ان لا يطيع

لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب النفس بالجوع وان لا يمتنع برؤية الصوم ووقع لي ان هذا ان قصد ان لا يمتنع برؤية فقد امتنع برؤية عدم الامتناع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والاليق بموافقة العلم امتناعه الصوم قال الله تعالى لا تبطلوا اعمالكم ولكن اهل الصدق لهم نيات فيما ينفعون فلا احد يعارضون والصدق محمود لعينه حتى كان الصادق في خفارة صدقه كيف تقلب * وقال بعضهم اذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شئ من الدنيا * وقيل اذا كان جماعة

الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا القسم الثالث أيضا الا ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمكنه من الغيظ استقصاء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه * (واما القسم الثاني) فيمكن التوصل بالرياضة الى الانكسار عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا ممر يرحل عنها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعزف بها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون (فان قلت) الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن لم شاة مثلا وهي قوته فمات لا يغضب على اسد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على احد مع علمه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه ورجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى ان الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم اني بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اهمل موجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة

متوافقين اشكالا وفيهم من يريد حثوه على القيام فان لم يساعدوه يهموا لانقلاب وينكفوا الوفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يعرفون امره ويضطرون لانقياده الا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام بسبب شاب كان يحبه حتى ينتظر الشاب اليه فيتأدب به ويصوم بصيامه * وحكى عن ابي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر اربع دوانيق يعمل بيده سبعة ايام ويقيمها

قوته وحاجته التي لابد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه ثم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت وازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ملت الله عندنا اكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك يحمله لا لاقذره وقالت امرأة لابن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض الحاب فاذا يتصور فقد الغضط اما باشتغال القلب بمهم أو بملابة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة سببه غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المنزلة عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق

(بيان الاسباب المهيجة للغضب)

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة أسبابها فلابد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يدري الغضب وما بانيته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب بأضدادها فينبغي ان تعلم الزهو بالتواضع وتعلم العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وانما اشتملوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم بنفر واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في مطالب

وكان الشيخ ابو الحسن بن سالم يقول لا اسلم عليه الا ان يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة مضيفه له في ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال يعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جيب لا يعرف ومن احسن ما كمل نفسه لامن الطعام اخرج نفسه لامن الكلام وقيل اقام ابو الحسن الشبشي بالروم مع اصحابه سبعة ايام لم يأكلوا فخرج بعض اصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فاخذه واكله فرآه انسان فاتبع اثره وجاء برقيق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذا الجناية

الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة وأما الهزل فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك واما التعبير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مرابط الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا للعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحصيل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها الترغيب النفس عنها وتنفرعن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عندنا كثرة الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيبه بالالقاب المحمودة فيكون وجهلا حتى يميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكامل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة والبخيل اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على اهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم

* (بيان علاج الغضب بعد هيجانه) *

ما ذكرناه هو علاج لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعلاجه يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بعلمين العلم والعمل * أما العلم فهو ستة امور * الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب التكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله وسماعه تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال افلا مه خجل عنه * الثاني أن يخوف نفسه بعذاب الله وهو أن يقول قدرة الله على اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما اكون الى العفو

فقال الرجل انا وجدت فشر بطيخ فاكله فقال كن انت مع حبابتك ورفيقك فقال انا تائب من بغيي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام ايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روي ان آدم عليه السلام لما هبط الى الارض اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امره ان يصوم ايام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام ايام البيض ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان أوصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن ان لم يكن صيام

فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب فلا
امحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال
لولا القصاص لاوجعتك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا وعنده
حكيم اذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين وانعش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها
حتى يسكن غضبه * الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وثمرة العفو والمغابنة
والسعي في هدم اغراضه والشماتة بعصاته وهو لا يخلو عن المعاصي فيخوف نفسه بمواقب
الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط نفسه على غضبه وليس هذا
من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا
أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون
مثابا عليه * الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب
ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
اللئام الهادي القاذل للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه
بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم لتميل نفسه الى
حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل * الخامس أن يتفكر في السبب الذي
يدعوه الى الانتقام وينبه من كظم الغيظ ولا يتوان يكون لسبب مثل قول الشيطان له ان
هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير محتقرا في أعين الناس فيقول
لنفسه ما أبجلك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا
أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن
تصغري عند الله والملائكة واعلمي فيما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند
الله فيذله والناس وذل من ظلم يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يجب ان يكون هو
القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا هنا وأمثاله من معارف
الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه * السادس أن يسلم أن غضبه من التجبر من جريان الشيء على
وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقبل مراد أولى من مراد الله وبوشك أن يكون
غضب الله عليه أعظم من غضبه وأما العمل أن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب
غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت
قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت التعرف بذلك ذل نفسك
واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه
وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم فان لم
يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء وقد قال صلى الله عليه
وسلم اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان

فلا يستقبل رمضان بيوم
ويومين وكان يكره بعضهم
ان يصام رجب جميعه كراهة
المشاهاة برمضان ويستحب
صوم العشر من ذي الحجة
والعشر من المحرم ويستحب
الخميس والجمعة والسبت ان
يصام من الاشهر الحرم وورد
في الخبر من صام ثلاثة ايام من
شهر الحرام الخميس والجمعة
والسبت بعد من النار
سبعمائة عام

* (الباب السادس والاربعون
في آداب الصوم ومهماته) *

آداب المعدة في الصوم
ضبط الظاهر والباطن وكف
الجوارح عن الآثام كضبط
النفس عن الطعام ثم كف
النفس عن الاهتمام بالاقسام

وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب فاسكت وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكأن هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي أن اباذر قال لرجل يا ابن الحمراء فعيرته بأمه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني انك اليوم عيرت أخاك بأمه فقال نعم فانطلق أبو ذر الى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل من كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فيكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب انك لست بالها انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطى الثالثة فاذا فيها اخذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذاك أي لا تعطل الحدود * وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ان ربكم يأمركم بالايدخل الا من شئ غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من اى الحور شاء (الآثار) قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة كان غير ما ترون

(سمعت) ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق اصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجون ولا يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب ان يمسك المريض عن المباح ويفطر بحرام الايام (قال) ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يميتون قيام الحمق وصيامهم وذرة من يقين وتقوى افضل من امثال الجبال من اعمال المغترين ومن فضيلة صومه وأدبه أن يقلل الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر والافاذا جمع الاكلات باكلة واحدة

وقال

وقال لقمان لابنه يابني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على أن أفضل الاعمال أحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أغنني بالعلم وزينني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والسخاوة والسواك والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فاغفر لرجل أصاب من عرضي شيأ فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين أي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

فقد أدرنا ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الانساع واخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلهم ان الاقتصار على الضرورة يجتنب النفس من سائر الافعال والاقوال الى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا مورت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة نادى ذلك الى سائر أخواتها فيصير الاكل للصوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الطريق لاهل الله تعالى يجب رعايته والاقتداء به ولا يخص بالصوم الضرورة وفائتها وطلبها

قال حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابى رباح يمشون على الارض هونا اى حلما وقال ابن أبى نجيح فى قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذ مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا اضربوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود واسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركنى ولا أدرك زمانا لا يتفقهون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب الجم وألسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلينى منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الاشج فناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من الحيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا اشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ماهما بأبى انت وأمى يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقت بهما او خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف ابا العيال التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغنى وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا أسىء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين (الآثار) قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وعظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال أكثم بن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء أدركت الناس وما يرقأ الاشول فيهم فاصبحوا شوكا لا يرقأ فيهم ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تغرضهم من عرضك اليوم فتقرله وقال على رضى الله عنه أول ما عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوان على اباطل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب جهله حلمه وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال اى الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتم فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين

الا عبد يريد الله تعالى أن يقربه وبنيه ويصطفيه ويريه ويمتنع فى صومه من ملاعبة الاهل بالملامسة لان ذلك أثره للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو ادعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثانى التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان فى السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يردتناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين بفضل بالماء أو على اعتياد من يلزمه أو الفرو ياكل

كنت أسلم عن باعلهم واعطى سائلهم واسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو منى ومن جاوز فى فهو افضل منى ومن قصر عنى فانا اشعر منه وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فسكس الرجل رأسه واطرق وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك ومن على بن الحسين بن على رضى الله عنه انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع لعمر خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يلزمه من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى بجميع ذلك ثمن من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر ابن محمد انه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر وانى أريد أن اتركه فاخشى ان يقال لى ان تركت له ذل فقال بجه فرانما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فاحسن اليه فقد جعل لسانه من قلبه يرده عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكنى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يسمع يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يعرض على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأس من شكر الله يخذل ومن يستغن بالله يثابر وقال رجل للاشعث بن قيس انك ذكرتنى بسوء قال انى اذا أكرم على من نفسى ان اذا فعلت ذلك اعدت الى صالح ما كان وقال بعض العلماء المسلم أرفع من العسل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال لكنك لا تدخل لانى وعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقال الشر افقال لهم خيرا فقيل له انهم سبوك قال وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فنظر جعل امرأة الحكيم تكثر سبه فانطلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فقيده الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزل فلان فطعم فسقطت دجاجة على المائدة فالتقطت ما عليها فلم يغضب أحدنا قال ثم قال فاعلم ان هذه مثل تلك الدجاجة فاصبر عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال أفقته منذ أيام بحر تغاربنى فذهبت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه على المراثم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته عرضى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل أو هفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

* (بيان القدر الذى يجوز الاصغاء والتشبه به من الكلام) *

اعلم ان حاصل الكلام صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة

لقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاصبر اذلك له فضله كثير والاقتصار على الماء لاجل السنة (اخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال انا ابو الفتح الهروى قال انا ابو نصر القرياقى قال انا محمد الجراحى قال أنا ابو العباس الحميرى قال انا ابو عيسى الترمذى قال ثنا اسحق بن موسى الانصارى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قرة عن الزهرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز

ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة
على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلنا ما في الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان ما قالا فهو على البادي مالم
يعتد المظلوم وقال المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو
ساكت فلما ابتدأ يتضجر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر انك كنت ساكتا
فلما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء
الشيطان فلم أكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه
وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه
ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه أن تقول من أنت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد
لابن مسعود وهل أنت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني أمية ومثل قوله
يا أسوق قال معروف كل الناس أسوق فيما بينه وبين ربه الا أن بعض الناس أقل حماقة من
بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمق في ذات الله تعالى وكذلك
قوله يا جاهل اذ ما من أحد الا وفيه جهل فقد آدم عليه السلام بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق
يا شنيع الوجه يا ثالث الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك سماه لما تكلمت
وما أستقرئ في معنى جماعتك وأستزل الله واتقم منك فاما الغيبة والكذب وسب
الوالدين فحرام بالاتفاق فما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند
سعد فقال سعد ان ما بيننا لم يبلغ دينا بيني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف
يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب
ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة فجاءت
فقالت يا رسول الله أرسلني اليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة والنبي صلى الله
عليه وسلم نائم فقال يا بنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فاحبي هذه فقامت اليهن فاخبرتهن بذلك
فقلن ما أغنيت عنا شيئا فارسلن زينب ابنة جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحسب
فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر ان يأذن لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلا انها ابنة أبي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام قط وقولها ما يبهتها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامه بما يليق ومقابلته بما يصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان
ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا
القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تعد الرخصة في
هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه
والسكوت عن اصل الجواب اعلى أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع
فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود بعد ساعة ومنهم
من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب أربعة فبعضهم
كالنار سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم

ويسأل أحب عبادي الى
الحلوم فصارا وقال عليه
السلام لا يزال الناس بخير
ما عجلوا الفطر والافطار
قبل الصلاة سنة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يفطر على تمرات من ماء وصفة
من ابن أو قرصات (وفي الحلبي) كم
من بصائم حظه من صيامه
الجوع والعطش فيسأل هو
الذي يجمع بالنهار ويفطر
على الحرام ويسأل هو
الذي يصوم عن الحلال من
الطعام ويفطر على لحوم
الناس بالغيبة (قال)
سفيان عن اغتاب فسد
صومه وتغير وضاعف خطاياه
تفسد الصوم الغيبة
والكذب قال الشيخ

بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد المرتقه الى فتور الجبة والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه ثلاث وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في عقل الانسان ويجب على السلطان أن لا يمضي أمرا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون منشأ الشغل وهو مما نهينا عن أكله الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضي الله عنه سكران فاراد أن يأخذه ويعزره فشمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لماذا تركته قال لانه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أكن لاضرب انسانا حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا انك أغضبتني لعاقبتك

* (القول في معنى الحقد وتأثيره وفضيلة العفو والرفق) *

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه الجزء عن التشفي في الباطن رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يحب دوام ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثلاثة أمور الاول الحسد وهو أن يحصل للمحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتنظم بنعمته ان أصابه ويسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه ان شاء الله تعالى الثاني أن تزيد على اضمار الحسد في الباطن وتشمت بما أصابه من البلاء الثالث أن تجره وساوسه وتقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سره وهتك ستره وغيره السادس أن تجازيه كيدا استهزاء به وسخرية منه السابع اذا رآه بالضرب وما يؤلمه بدنه الثامن أن تضمه مضمون قضاء دينه أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تضمر من الاعتقادات القبيحة المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصى الله به ولكن تستثقل في الباطن ولا يتمر من قلبك عن بغضه حتى تمنع عما حظرت تطوع به من المشاشة والرفق والعناية والقيام بجانبه والجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التعريض على برد وصلاته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين القبول عليم وتواب جزيل وان كان لا يوجب عقاب الله ولما عاتب أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى أن يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فلا معتمد ثلاثة أمور الاول عند القدرة احدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل الثاني أن

ابو طالب المكي قدس الله الاستماع الى الباطل والقول بالاثم باستكمال الحرام فقال سماعون للكذب اكالون لسحت (وورد) في الخبر ان امرأتين صلتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعبقهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تموتا فبعثنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستأذنه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما كلتما فقاءت احداهما قيحا ودما وصديدا ولحما عبيطا وبلغا غيرها فقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأت القدح فعجب الناس من ذلك فقال رسول

يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل الثالث أن يظلم بما لا يستحقه وذلك هو البر وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فذلك أفرد له قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حالفا لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم يتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم في ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاتدرته فاخذت بيده أو برجله فاستلقى وقال يا عقبة ألا أخبرك بافضل اخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من سرمك وتعفو عن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بعظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حتى سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى منادمن تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر المؤمنين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى منادليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله

اجر

الله صلى الله عليه وسلم ما آتان صائما أصل الا وسعا وافطر تا على ما حرم الله عليهما وقال عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم (وفي الخبر) ان الصوم امانة فليحفظ أحدكم امانته (والصوفي) لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله بالادب وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره أفضل من الذي له معلوم مسدفان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل (حكي) عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فدققت الباب فاذا

ابو قال العافون عن الناس فيقوم كذا كذا الف فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر أن يرتق بجد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أذى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احسانا هي يا رسول الله قال او احسانا عن (الآثار) قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا افيض له من يظلمه * ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله وظلامتك كلها خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظلامات تدعو علي من ظلمك فان الله تعالى يقول ان احب ان استجيب دعوتك فلا تدع على احد وقال ابن شبرمة ان شئت استجبنا للذي اجبناه عليك وان شئت أخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه أسرع اليسير من دعائك عليه الا ان يتدارك بعمل وقال ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكرة انه قال بلغنا ان الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة الى ابي جعفر قال فسكتت عنه اذ أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا اظر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد سمعت يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلته والله لسمعته منه فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل يلقنه شيئا امر فاقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أفتجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما قال هشام

جارية قد خرجت ومعها
كوز جديد ملآن من الماء
البارد فاردت ان اتناول
من يدها فقالت صوفي وشربت
بالنهار وضربت بالكوز
على الارض وانصرفت قال
رويم فاستحييت من ذلك
ونذرت ان لا افطر ابدا
* والجماعة الذين كرهوا دوام
الصوم كرهوه لمكان ان
النفس اذا ألفت الصوم
وتعودت اشتد عليها
الافطار وهكذا بعودها
الافطار تكره الصوم فيرون
الفضل في ان لا تركن النفس
الى عادة ورأوا ان افطار يوم
وصوم يوم اشد على النفس
* ومن أدب الفقراء ان
الواحد اذا كان بين جمع

بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا دخل بيت عمار بن ياسر بالمدينة فقبض له اقطعه فانه من احدثنا فقال بل استره عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة وبجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها تدسلت فقال التدسلت وانا امشي فجاؤا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان سهلا على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان سهلا بها فتقبل الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رأيت أزهد من رجل من اهل خراسان جلس الى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على ادناض حجته فبكاني رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة اميرا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كلمه الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واجتزوا ابا هم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم فانا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولولم أجد الا لأبي هذا الوار يقمكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لا تذسنذ بل واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا * وأتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ماترى قال ان الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى ان زيادا أخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخاه فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيل هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

(فضيلة الرفق)

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة المرض واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولا سبيل هذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخيبة لله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها

وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بقلوبهم وهم على غيرهم لوم فان صام باذن لم يطمع وقتح عليهم بشيء الا بانهم ادخار للصائم مع العلم بان الجمع المفطرين يحتاجون الى ذلك فان الله تعالى يأتي للصائم برزقه الا أن يكون الصائم يحتاج الى الرفق لضعف حاله او ضعف بنيته لشيخوخة او غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيؤخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه لاقوام هم على غيرهم لوم فاما الصوفية القيمون في رباط على قوم

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه مالا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل وهل فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد ابتلاني بجميع المسلمين فيدلك فاخصص مني بشيء فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال اذا اردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته ومن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه (الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمر هم أن يوافوه فلما انوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا فالنصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شيء أحب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس جهل أبغض الى الله ولا اغم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دون وقال وهب بن منبه الرفق ثلث العلم وفي الخبر مرفوقا ومن فوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده والذين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة قلت لابن الولاة قال فما الخرق قال معاداة الملك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا لا قال يا أبا محمد قال أن تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والمحافظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالجود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والشدة اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذمن الزبد الشهوة وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التأني نهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد من العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المنيب مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او حسبك اذا ان يكون مخطئا وان من لا يلين يكسره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابن عون الانصاري

فالاليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجميع في الافطار وهذا ينظر في جمع منهم لهم معلوم يتقدم لهم بالنهار فاما اذا كانوا على غير معلوم فتقبل مساعدة الصوام للمفطرين احسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وامر الصوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية واحوال النفس فكل ما فقدت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وتركه الموافقة فهو الافضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صائما وافطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر ويوافق فهو

قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجرى مجراها وقال ابو حمزة الكوفى لا تضغن من الخلق الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيأ الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كذا طالب الليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومقصد فى اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز ويتسع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل امرئ حقه فان كان قاصر البصيرة أو اشكل عليه حكم واقتصر من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر

(القول فى ذم الحسد وفى حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم ان الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد واسبابه وغيره لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينتفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له انى لاحيت ابى فأقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رأيت ان تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيأ غير أنه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير انى ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت أن اعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعانى فقال ما هو الا ما رأيت غير انى لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا احسد على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هى التى بلغت بك وهى التى لا تطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفى رواية ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فاثبت فى هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهى الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج وقال صلى الله عليه

وسلم

ما اخبرنا به ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر عن ابيه ابى الفضل الحافظ المقدسى قال انا ابو الفضل محمد بن عبد الله قال انا السيد ابو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال انا ابو بكر محمد بن مردون قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى عطاء بن خالد عن حماد بن سليمان عن محمد بن المنكدر عن ابى سعيد الخدرى قال اصطحبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم انى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم اخوكم وتكلف لكم ثم تقول انى صائم

وسلم لاتظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروى ان موسى عليه السلام لما تجلى الى ربه تعالى رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال اسدك ثلاث من عمل بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما أخاف على امتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويتقاتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد (الآثار) قال بعض السلف أول خطيئة كانت هى الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فابى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان أعظك بشئ فقال وما هو قال اياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قاتل ابن آدم أشاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق الآيات واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر فامسك واذا ذكرت النجوم فامسك وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك يقول ما يقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصنع ذلك عندى قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة وصلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خطا الملك لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فاعطاه ومضى به الى العامل فقال العامل فى كتابك ان أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى امرى حتى تراجع الملك فقال ليس الكتاب الملك هو اجعله فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فغضب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال انسيتنى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال الملك انه ذكرنى أمثلك

أفطر واقض يوما مكانه وأما وجه من لا يوافق فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكلوا وبلال صائم فقال رسول الله أكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة فاذا علم ان هنالك قلبا يتأذى او فضلا يرجع من موافقته يفطر من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغى ان يليس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لانقضاء حق اخيه

(ومن احسن آداب الصغير) الطالب انه اذا افطر

تزعم أني أجوع قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فمك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك الله سوء عاشته * وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن ضعه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء اما انا فما كنت عبد ذكر الموت الاقل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جريح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا سفهة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند الفزع الا شدة وهو لا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

* (بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه) *

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد هو كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها وحبك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أصابت فساده لم يضلك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهة ان فعل مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى وذ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر تعالى ان مبعثهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب أبيهم له ساءهم ذلك وأحبوا زواله

وتناول الطعام ربما يحسد فاطلبه متذرا عن هيئته وقلة سمنه بقلة من اداء وظائف السيادة فيصلح مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركات يصليها أو بآيات يتلوها او باذكار واستغفار يأتي بها وورد في الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر

(ومن مهام آداب الصوم) كفافه مهما امكن الا ان يكون مشكلا من الاخلاص فلا يبالي ظهر ام بطن

(الباب الثاني والاربعون) في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوم يحسن بنيته وصحة مقصده ونور علمه وايمانه

عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا تنفسح صدورهم به
ولا يغبطون فاشي عليهم بهم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار أم يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعدما
جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا
واختلفوا اذا اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال
ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا انا نسألك
بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي
صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بغيا منهم وحسدا فقال تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله أن يكفروا
بما أنزل الله بغيا أي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من
عندك يوما فقال أبي اهي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال
أرى معاداته أيام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم وأما المنافسة فليست بحرام بل هي
اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل
الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن
يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما والله ما لاتذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقال لله ما حسدنا
منك الا نافسة والله لقد زوجك ابنته فما نافسناك ذلك أي هذا منك حسد وما حسدناك على
تزويجه ايالك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على ان المنافسة قوله
تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة
عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما فيجزع كل واحد أن يسبقه
صاحبه فيخلو عند مولاه بمنزلة لا يخلو هو بها فكيف وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه
الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه
الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته
مالا فيقول ربما لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه مثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا
منه سبب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير سبب زوال النعمة عنه قال ورجل
آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فقال لو أن
لي مثل مال فلان لكنت انفقه في مثل ما انفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء فقد سوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له
فاذا الاحرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها وهو لا يحب زوالها عنه وليكره
دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه
المنافسة واجبة وهو أن يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية
وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة

باكرا به تسير عادات عبادة
والصوفي هو الذي وقته الله
وعصمه الله حسبما قال الله
تعالى عن ابراهيم الخليل
ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين
فتفضل على الصوفي امور
العادة او ضح عاجته
وتضرورة بشريته ويحفظ
بعادات تورثه قلبه وبحسن
نيته فتتنور العادات
وتتشكل بالعبادات ولهذا
ورد نوم العالم عبادة ونفسه
تسبيح هذا مع كون النوم
من الغفلة ولكن كل ما
يستعان به على العبادة يكون
عبادة فقد قال لقمان لابنه
كيف يحتاج الى علوم كثيرة
لاشتغاله على المصالح الدينية

فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته والحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكأن تحت هذه النعمة امرين * أحدهما مساواة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات ثم ذلك ينقص من الفضائل وينافض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وهو مراد قيقة غامضة وهو انه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك أو بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها اذ يرى الهاية زول تخلفه وتقدمه غير وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه وريد الى اختيار دلسعى في ازالة النعمة عنه فهو محسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيبقى عما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه وعلى هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أي ان وجدت في قلبك شيأ فلا تعمل به وبعيد أن يكون الانسان مريد اللحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة في معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد يتجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان يحركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى يثقل هو الى مساواته اذا لم يقدر هو أن يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن بقي عنه في ذلك ما لم يتصل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه * واما مراتبه فاربع (الاولى) ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تمام غيره بها (الثالثة) ان لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه مثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

* (بيان أسباب الحسد والمنافسة) *

والقلب وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن فليس المسئلة الله تعالى بذلك والقالب صركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) أرض الجنة قسمان نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحت عمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمي بلطيف

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباهات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم وهو داخل تحت كثرة جدا ولكن يحصر جملتها في سبعة أبواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره مالانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالاماثل بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من يحبه واما أن يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالكبر واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما أن يكون يحب الرياسة التي تبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لنتن النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب (السبب الاول) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض يوجد من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ومع في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز البغض عن أن يتشفى بنفسه احب أن يتشفى منه الزمان وربما يحمل ذلك على كراهة نفسه عند الله تعالى فهو ما أصابت عدوه بلية فرح بها واظن اسكافا لو من جهة الله على بغضه وانه الاجله وهو سبب أصابه نفسه ساءه ذلك لانه قد يراد ويربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا ينفارقهما وانما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فاما أن يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته وساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى وذوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه (السبب الثاني) التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مال أخاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتستكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد يرضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه (السبب الثالث) الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويترفع عنه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته أو الى أن يترفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نتأتى له ورؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم

حكمته من اخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعل مستودع خلاصة الارضين والسموات وجعل عالم الشهادة ومافيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي قال الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا فكون الطبائع كلها الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة لآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يوصل الى المعدة وفي المعدة طباع أربع وفي الطعام طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل

أى كان لا ينقل علينا أن نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم (السبب الرابع) التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وان أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جوعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية (السبب الخامس) الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه (السبب السادس) حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه فى المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتنزه هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا بغضا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا ورائما يعين آحاد العلماء من طاب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود يشكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم من صاروا تبعا لهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب منال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه رقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى ازالتها وهذا خبيث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل فى العادة ازالته فهذه هى أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص

طبع من طباع الحمد ضده من الطعام ما خذا الحرارة البرودة والرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج واذا أراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية اخذت كل طبيعة جنسها من الأكول فتقبل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم (روى) عن وهب ابن منبه قال وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام انى خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وحامض وذلك لانى خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحموضته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح

واحد

واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر الحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه)

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو وغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ الارتباط بين شخصين في بلدتين متناقيتين فلا يكون بينهما حاسدة وكذلك في محلتين ثم اذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وعمتها زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصد ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم يحسد الواعظ الواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فأصل هذه الحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما لانهم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين حاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه

وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الاول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم بأذني وبهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة الا بالاخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم اسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فانما جسد اعتدلت فيه هذه القوى الاربع التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كمالت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة على

وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى لان اجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذاته وليس فيها مسابقة ومن احسن ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد فقد فاتت عن اليد الاخرى ومعنى الجاه ملك القلوب وهي امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر أو نقص عنه لاحالة فيكون ذلك سببا للحسد واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق لغيره مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه التفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك أشهى عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا من احرازه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بؤانسته فتكون لذة هؤلاء في هذا الحضرة بعجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدي يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فاذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا من احسة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا من احسة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا لمتوار على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء واسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فليت ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطالب نفسك لازمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور اذ العين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة المال فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة

هزمهن ومالت بجرق ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقاومتهن فاهم الامور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يليق بالشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر والتعب طلب الحلال (ومن أدب الصوفية) رؤية المنعم على النعمة وان يبتدي بفعل اليد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وانما كان موجبا لنفي الفقر لان غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالادب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد

غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(بيان الدواء الذي يشفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما وهو ما عرفت هذا ان بصيرة ولم تكن عمدة نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد اضاف الى ذلك انك غششت جميع المؤمنين وتركت نصيحتهم وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم لخير عباده تعالى وشاركت ابليس وجميع الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتحوها كما يحو الليل النهار وأما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذا أعداؤك لا يحلهم الله تعالى عن نعم ينيلهم اياها فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما تشتهيه الاعداء لك وتشتهيه لاعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتحيزت في الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب وسماعة مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يتاسبه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد أن يدوم الى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شئ عنده بمقدار وأجل كتاب ولذلك شكا بعض من الانبياء من امرأة فظة غليظة مستولية على أخلاق فأوحى الله اليه ذرها فان لها قرنا أي ما قدرنا في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها وهيهات لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه لا تشتهيه أولا لنفسك فانك أيضا لا تخلو عن حسد ويحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى على خلقه نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون ثم هو يفعل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن

فصل وغسل الميت مستحبا للنعمة تصيب الانثى وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤهم يسمي الله تعالى فان له تعالى فلا تأكلوا طعاما لم يذكر اسم الله عليه فتسمية الله تنفي الشيطان والخبث فان الشافعي وأبو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك وجوب الدوام بذكر الله تعالى على الطعام لانه لا يأكل الطعام الا مقرونا بالذكر فتقرير قرينة وقته وأدبه ويرى ان تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس وبقاء صحة هواها ويرى ذكر الله دواء وتركه

الحسود باحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حوى الحساد أيضا يشتهي أن يخص بهذه الخاصية وليست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تنكرها واما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهو مهد اياتهديها اليه أعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما سمعت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل انهم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فأضفت اليه نعمة الى نعمة وأضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو ان أهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني اعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد التنظر الى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات أعداؤك بل خلدوا * حتى يروا فيك الذي يكمد

لازلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد

فتراح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيه لازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا اذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضر به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى أعدائك لانه لما رأى ما حرمك من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم معها أحب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تطمئن بحبك كل تطمئن بعمله وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المسلمين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء

فقال

(روت) عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابي فجاء اعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه لو كان يسمي الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب أن يقول في أول اللقمة بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول في أول نفس الحمد لله اذا شرب وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طبيعا قد قدر كما ذكرناه موافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس فتوثب عليك ثوائب الحسد ثم لم يقنع به حتى يفضي اليك أخلاق رسلك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى ويتكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث أهل الجنة ثلاثة الحسن والمحبله والكاف عنه أي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحدة منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقة العين فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه محموله يشرسون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وضربة الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العين ولو بقيت الفاتها بالموت لاحالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يموت بالموت وأما يسوقه الى غضب الله والى النار فلا أن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيا لها من مهلكة الهي الهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذا أراد ازوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالت عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمصاب الا ويتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي مثله لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالقوارص في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلاك الامم السالفة فهذه هي الادوية الفعلية فهي ما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يقتضيه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فهي ما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه وهو ما ظهر سببه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويسير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يمتنع عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت

لارباب التفقد والرعاية والفطنة يعرف انحراف مزاج القلب من التخمة المتناولة تارة تحدث من التخمة حرارة الطبيعة بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحفاظ الحاصلة فهذه كلها اعراض يتفطن لها المتيقظ ويرى بتغير الطالب بهذه الاعراض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف الى القلب اسرع منه الى

وأثبت عليه ملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من آلام الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة على القلوب جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهول وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد أمرين اما بان يكون ما تريد أو بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يفوت وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام حيا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم ان المؤذي محمود بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوءها بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بانها من الافعال الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك باطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت أيضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يتشهى منه بالطبع من سبب زوال النعمة حتى كأنك تقسر نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الاحوال أكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر له سواء من نعمة أو تنصب عليه سواء

فهذا

القالب من الانحراف ما يستقيم به القلب فيموت الموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب في الاسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء حكي ان الشيخ أبا محمد عبد الله الغزالي لما رجع الى طوس وصفا له في بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو في صحراء ليستنزل لحفظة في الارض فلما رأى الشيخ عبد الله جاء اليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذرقة ينوب عن الشيخ في ذلك الوقت فاشتغله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذرقة فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لاني ابذرقه هذا الرجل بقلبه ما دمت ذاكرا رجو

فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره الى أن لا يلتفت قلبه الى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعال الله وبراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود الى مخالفته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهو ما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه وروي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال مه فانه لا يضر الا من أبداه وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغي والاولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة المحسود وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد أن يؤتى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتغاله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن الكل في أحد الثلاثة أحوال * احدها ان يحب مساءتهم بطبعه وتنكره حيلة لذلك ويميل قلبك اليه بعقلك وتمنعك نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه فعلمك الانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه * الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

* (كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها * وكشف لهم عن عيوبها وموبقاتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها * ووزنوا بحسناتها سيئاتها * فعلموا انها دار مذكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها * ولا يسلم طارقها من كسوفها * ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها * وتواري أسرار سوء قبائح تلك الراغبين في وصالها * ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها * واذا أقبلت لم تؤمن شرها وبالها * ان أحسنت ساعة أساءت سنة * وان أساءت مرة جاءت بها سنة * قد وائرة أهلها على التقارب دائرة * وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على الدوالي لصدورها طلائع الرشقة * وبحار أحوالها بذل طالبيها طائفة * فكل مغرور بها الى الذل مصيره * وكل متكبر بها الى الصغر مسيره * شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها * ومن خدمها أفاتته * ومن أعرض عنها واتقه * لا يخلو صفوها عن شوائب

البركة فيه لكل من يتناول منه شيأ فلا أحب ان اسأله الى هذا فيبذره بلسان غير حاضر ذاكر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقراء عند الاكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن بحضر الوقت بذلك حتى تنفسر أجزاء الطعام بانوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتفسير هذا ان القلب وقاله كان شيخنا ابو الحسن السمرودي يقول انا آكل وانا أصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يجمع عنده الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق * وقت الاكل وبرى للذكر وحضور القلب في الاكل

المكدورات * ولا ينفك سرورها من المنغصات * سلامتها تعقب السقم * وشبابها يسوق الى الهرم * ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم * فهي خداعة مكارة * طيارة فرارة * لا تزال تزين اطلابها حتى اذا صاروا من أحبابها * كشرت لهم عن أنيابها * وشوشت عليهم مناظم أسبابها * وكشفت لهم عن مكنون عجابها * فأذاقتهم قواتل سمومها وشقتهم بصوائب سهامها * بينما أصحابها منها في سرور وانعام * اذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام * ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الطحين * ورمتهم في أكفانهم تحت الصعيد * ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس * بعلته سعيدا كأن لم يزل بالامس * تمنى أصحابها السرور وتعدهم غرورا * حتى بأملون كثيرا * ويبنون قصورا * فتصبح قصورهم قبورا * وبعيشهم بورا * وسعيهم هباء منثورا * ودعاؤهم ثبورا * هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا * والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا * وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا * وعلى الظالمين نصيرا * وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الدنيا صدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله أما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها وأما عداوتها الاولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعجتهم بزهرتها وتضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعها وأما عداوتها الاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أسوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما معنى غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

* (بيان ذم الدنيا) *

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولبيان هذا لا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم

اثر اكبير الابسه الاهمال (ومن الذكر عند الاكل) الفكر فيها أيها الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما يسيل ماء العين ما حلا ما كان شهما حتى لا يتغير وكيف جعل الاسداد تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها باليكبد والكبد بعثابة النار والمعدة بعثابة القدر وعلى قدر فساد اليكبد تعتل الهاضمة

حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسئلته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على منزله فقال هلموا إلى الدنيا وأخذ شعرة فأدبرت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مخلوق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بهاستصغر عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الطلية والنساء والطيب والشباب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا رباً فتفتضحكم عبيدا كنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين إني قد كبيت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن عصي الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا وربما ثبورة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطنت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها المالوك والنساء فأما المالوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم إن يعرضوا لكم ما تركوهم ودنياهم وأما النساء فاقتدروهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ومطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله فقال فر عابد من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فقال فسمع سليمان وقال التسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بجميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي وديانا من أودية المدينة فإذا هو بلد فيها رؤس الناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل كأملكم ثم

وتفسد ولا تنفصل ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكلية بن ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب من قدرة الله من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للاعضاء وانقسامه الى الدم والنفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالتفكر في ذلك وقت الطعام وتعرفه

هي اليوم عظام بالية ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتقاذرون منها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم والباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتنعمون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى أن الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم الى قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شاتك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضمايرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا الحور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لاشئ انى لم ارضك لهم في الدنيا أفأرضاك لهم اليوم وروى في اخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته فطرح الثفل ولم يكن ذلك مجهولا في شئ من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها فقال بفعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شئ تريد قال آدم أريد أن اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تريد ان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفيني ما كان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك

لطف الحكم والقدر من الذكر وما يذهب ادواء الطعام المغير لرائح القلب أن يدعو في اول الطعام وبسال الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وبارك لنا فيما رزقتنا فما تعجب اجعله عونا على ما تحب وما زويت عنا مما تحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

(الباب الثالث والاربعون في آداب الاكل)

فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه يا علي ابدأ بالملح واختم بالملح فان الملح

الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فرقعت عيشه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فخاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لأرزقنك من يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولأطعمنك في عرصات أربعمائة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأحرمنك منادي ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ومافيها وتفرق عنها وتفرق عنها ويثقل بها وتخف ذلك وويل للمفترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه * وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها اليت لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى الى من رصد لظالم حتى آخذ منه للمظلوم (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح بفاء مال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض قيل وما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فتهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها * وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موثقون في الاقنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا نعلم خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فناديهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا جيفنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا كحب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم محجوبون بطبقات من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لا تحملن خبزا شعيرا بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله

شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس (وروت عائشة) رضي الله عنها قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال هل بذلك الابيض الذي يكون في النحيين فجئنا بجلم فوضعه في كفه ثم اعق منه ثلاث اعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه * ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها (روى جابر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصحب الطعام ما كثرت عليه الايدي (وروى) أنه

عليه وسلم انه حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى * وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما انتم عليكم الدنيا ولا آثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضورها الاجل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة عما فى عاقبته مالكم لا تعابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر تحابيتم مالكم تناصحون فى امر الدنيا ولا تناصحون فى امر الآخرة ولا يمل أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخبر الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أطول لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فما نراكم تدعون العاجل عن الدنيا للآجل منها تكذبون أنفسكم بالمشقة والاعتراف فى طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يرغب به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فانتونا النبين وانبركم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى امركم مالكم تفرحون بالبسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على البسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسومها المصائب وتقعون فيها المآثم وصفاقتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير قلوبكم انى لا أرى الله قد تبرأ منكم بل بعضكم ببعض بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل وبئست مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولو ددت ان الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حبالم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسى وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا التبر ترك الدنيا ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدى دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فان تائبى بكبيرة هى أشد منها وصر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف

قيل يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفرة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (اخبرنا) الشيخ ابو زرعة من الموى باسناده الى ابن ماجه الحافظ القزوينى قال انا محمد بن الصفى ثنا معاذ بن هشام ثنا يونس بن الفرات عن قتادة عن انس بن مالك قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفرة ولا سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفرة ويصفر الملعقة ويجود الاكل بالمضغ وينظر بين يديه لا يطالع وجوه الآكلين

الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ابو ذر رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فاقهها في فحره * وقال لقمان عليه السلام لابنه يابني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا * وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد مسك ان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وسم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار * وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحسد الدنيا لعيش يسره * فسوف ترى ما يجتوي عن قليل بلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثير هموم

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها انكد وصفوها اكدر وأهلها منها على وجل اما بهمة نازلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عجب الدنيا انها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما ان تنقص وقال سفيان اما ترى انهم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها * وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا أراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية * وقال رجل لابي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو أخذ نفسه بذلك لم يلبث حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها * وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك * وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى * وقال أبو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقرها الله * وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فاولا مقتها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها الا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس بجلسة التواضع غير متكئ ولا متمزق (ومن سيرته صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل متكئا (وروي) أنه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه يأكل فقال اعرابي ما هذه الجلسة يا رسول الله فقال رسول الله خلقني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا * ولا يبتدئ بالطعام حتى يبدأ المقدم او الشيخ (روي حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع احدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل ايضا في ذلك

اري طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كمثل بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل ايضا في ذلك

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصيرها للانتقال

وما دنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

(وقال لقمان) لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربح بهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان الدنى تخطب خدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفي ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقيل أيضا

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

أفنى القرون التي كانت منعمة * بكرا بليدين اقبالا وادبارا

كم قد بادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعا وضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها * يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هيلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس أبكارا

ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو امامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها سقم ومن امن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة اخرى فقال أطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار تقول الدنيا فاني اسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة لان

(روى أبو هريرة) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله وان كان الماكول تمرا أو ماله فجم لا يجمع من ذلك ما يرجى وما يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرمي به ولا يأكل من ذروة الثريد (روى) عبد الله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا وضع الطعام فتناولوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه ولا يعيب الطعام

الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ماذكره مسيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تابعه وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الأخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه مايبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه ويسأل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خلص من الدنيا ببدنك وخلص من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابني انك استدبرت الدنيا من يوم ولدتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه أكثر من الذي له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بالآخر ممن كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ماشئت قال عمر مضى قرنه أو أجل حضر قدمه قال لا أملك

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سقطت لقمة احدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أكل احدكم الطعام فلا يمسح أصابعه فانه لا يدري في اي طعامه تكون البركة وهكذا أمر عليه السلام باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلات

ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت بما يوغر أعمالك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد أذن الله اليه شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاثة أنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فلبئس شعوري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسلبه فاذا نقد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر رأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يموت بيوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن مثالبس هكذا الدنيا عظمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتملت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل النور اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا دار ممر لا دار مقر وانما خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها وانما مثلها ومثل ما فيها كمثل ظل الشجرة استظل تحتها راكب ثم راح وتركها وقال بعضهم الدنيا دار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها العسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك في منزل وجد ارمائل أكثر من عملك وأقصر من أملك وقال ابراهيم بن أدهم لرجل أدرهم في المنام أحب اليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فبقي ولون اليك عنها يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح

من

القصعة ولا ينفخ في الطعام فتدرو وت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النفخ في الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله ابن عباس انه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الاناء فليس من الادب ذلك والتخلل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل روت أم سعد قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الادام الخل

من هذا لسموه به وقال كعب لتحبن الكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تغنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

(بيان المواعظ في ذم الدنيا ووصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها أقلقت ومطمئن اليها أخذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بواقعها وذمتها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف فتقول فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فقد عيل الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك وقال بعضهم لبعض المأمولان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى طاعته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانا فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ أبكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تقعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعثره في التراب غدا سواء عليها اذهاب ماذهب وبقاء ما بقي يجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل

اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ولم يقفر بيت فيه خل ولا يصعب على الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليتطرح فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة واذا وضع الخبز لا ينظر غيره فقد روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول

من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الخئولة الخداعة التي قد تزينت بحلاها وفتنت بغرورها وتلبست بآمالها وتوقت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبر عنها تذكر فعاشق لها قد تفقر منها بحبابته فاغتر وطمئن ونسي المعاد فشغل فيها اليه حتى زالت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه أو الى دار فيها اغترار والنافع فيها غدا رضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فيها من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فمالها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها والقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم بفاتيحها وخزائنها الا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها أذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه ملكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها للاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها وأنسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه والقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي ما تنبت الارض أبيت وليس لي شئ وأصبح وليس لي شئ وليس على الارض أحد أغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا ترو عنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يقلب الا باذني ولا يجتبكما ما تمتع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أو تيتهما الدهات ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني

الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله سخر لكم بركات السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الادب وأهمه أن لا يأكل الا بعد ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي شرا من البطن ومن عادة الصوفية ان يقوم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم اذا جاء احدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى

لا يجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مناخل الغرة وماذا له وانهم على ولكن
ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا اتمايتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع
والتقوى ثبت في قلوبهم وتظاهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي
يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون وشعارهم التي بها يتزينون ورجاؤهم الذي اياه يأملون
وبجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذل
لهم قلبك واسانك واعلم انه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا الثائر له يوم القيامة
* وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد
الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة
وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم
أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذ هم منها في بلاء وغرور
احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها
أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها
موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول
منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة
من بعد طول نقلها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا
بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور واللاطئة
الملحدة فحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين
لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان
والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء وأكلتهم الجنادل
والثرى وأصبحوا بعد اطياء أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا
تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ
الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلا والوحدة في دار المنوى وارتهنتم
في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل
ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشتغالها من ساائر
الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم المعيوب والاسرار هنالك تجزى كل
نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا
بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله وايا كم
عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا وايا كم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال
بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويختر مك بلياليه
وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي
في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك
واستقللت عمر الساعات بل ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار والسلو عن غوائل الدنيا وجد
طعم لذاتها وانما الامر من العلقم اذا جنحها السليم وقد أعيت الواصف لها بوجوهها بظاهر أفعالها

ابو سعيد قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا
اكل طعاما قال الحمد لله
الذي أطعمنا وسقانا
وجعلنا مسلمين وروي عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من أكل
طعاما فقال الحمد لله الذي
أطعمني هذا ورزقنيه من
غير حول مني ولا قوة غفر له
ما تقدم من ذنبه وتخلل
فقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تخللوا
فانه نظافة والنظافة تدعو
الى الايمان والايمان مع
صاحبه في الجنة ويغسل يده
فقد روي ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بات وفي يده غمر لم
يغسل فاصابه شيء فلا يلومن

وما تأتي به من النجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب * وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقد ربيتها فقال الدنيا وقتك الذي ترجع اليك فيه طرفك الآن ما مضى منك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعم ليلته وتطوي ساعاته وأعدائه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم سعيد وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري الجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بتناعها ونعمائها فانه الى زوال يحبب لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه * وقال محمد بن الحسين العالم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها الا وليائه وانها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها اكلوا منها اقصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

* (بيان صفة الدنيا بالامثلة) *

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخالف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا وصرفها ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال

أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل سفه

وقيل ان هذا من قوله ويقال ان أعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل

الانقاء * ومن السنة غسل الايدي في طست واحد روى ابن عمر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتروعوا الطسوس ونظفوا النحوس ويستحب مسح العين بلال الدم (روى) ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأتم فانثروا أنفسكم الماء ولا تنفضوا ايديكم فانها مراوح الشيطان قيل لابي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد بالخلال الاشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال من الاسنان وأما ما يلوكه بالاسنان فلا بأس به ويجتنب التصنع في كل الطعام ويكون اكله بين

خيمة لهم فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

ألا انما الدنيا كظل ثنية * ولابد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بها ثم الافلاس منها بعد افلاتها) تشبه بخيالات المنام وأضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها يجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره ومايحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شئ عمار كنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء اى شئ أشبه بالدنيا قال أحلام النائم (مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها اياهم) اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كما أنها تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها) اعلم أن الدنيا من بنية الظواهر قبيحة السرائر وهي شبيهة بعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وبخلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلاء بن زياد رأيت في المنام عجوزا كبيرة متقصفة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أو ما تعرفني قلت لا أدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت ان أحببت أن تعلم من شري فابغض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل أن أقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها قطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يؤمر بها الى جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرض بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها أحد الا برحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شئ رآه الناس واذا هي أقبلت كانت أقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عشواء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت أنا الدنيا (مثال آخر للدنيا وعمور الانسان بها) اعلم أن الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها

الجمع كله منفردا فان الريا يدخل على العمل في كل شئ ويصيبه بعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تسلم به يا سفيان قال نعم رأيته يتصنع في الاكل ومن تصنع في الاكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا فقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله هو وأنا على معيشتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكي على أكل الشبهة ولا يفضحك فليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك ويقول

شيأ وهي ماقبل وجود ذلك الى الاول وحالة لاتكون فيها مثل هذه الدنيا وهي مابعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا وانما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال أرى الامر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة ثم الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان (مثال آخر للدنيا في اين موردها ومخشونة مصدرها) اعلم ان اوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي يسأله فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وبقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام (مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه وهذا يعرفه كل جاهل قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة وذلك محال بعيد من الشيطان بل لو أخرجوا عما هم فيه لكانوا من اعظم المتقبعين بفراقها فكما أن المشي على الماء يقتضي البلل لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن قصعب وتتغير خلقتها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتتغلظ وبحق اقول لكم ان الزق ما لم يخرق أو يقطع يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع او ينسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله (مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (مثال آخر لتأدية

بعد الطعام قل هو الله احد
ولا يلاف قريش ويجتنب
الدخول على قوم في وقت
اكلهم فقد ورد من مشى
الى طعام ليباع اليه مشى
فاستقاوا اكل حراما وسعدنا
لفظا آخر مثل سارقا وخرج
مفسرا الا أن يثق دخوله
على قوم يعلم منهم فرحهم
بوافقته ويستحب أن
يخرج الرجل مع ضيفه الى
باب الدار ولا يخرج الضيف
بغير اذن صاحب الدار
ويجتنب المضيف التكلف
الا ان يكون له نية فيه من
كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك
حياء وتكلفا واذا أكل
عند قوم طعاما فليقل عند
فراغه ان كان بعد المغرب
أفطر عندكم الصائمون

علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك) قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله * (مثال آخر لخسائة آخر الدنيا أولها وللنضارة أوائلها وخبث عواقبها) * اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة ويجد العبد عند الموت اشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والمقت والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة مقابلها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأحسن لونا وأطهر حلاوة كان ريحه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ واقوى فتنتها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه وحرصه عليه فكل ما كان عنده الوجود اشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الام يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لطعام ابن آدم مثلا وضرب طعام ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قدر أيتهم يطيبونه بالاقاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال وهب لابن عوانى أريد أن أسألك واستحيي قال لا تستحيي واسأل قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى عمارهم ودجاجهم وهمالهم وسمنهم * (مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع اليه * (مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) * اعلم ان اهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ اوسع الاماكن واليها واوفقها للراد وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها المتفننة ونغمات طيورها الطيبة واصدافها الموزونة الغريبة ويصادف بعضها من بريق الاحجار وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة لعين الناظرين بحسن زبرجدها وبهجة ترتيب صورها ثم تنبه لنظر فوات السفينة فيرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقة اسوجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها بحملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الاحجار ضيقا وصار ثقيلا عليه وربما لا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد

وا كل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (وروى أيضا) عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب أن لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ندري ايهم اعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه * ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازي فما عمل للذوائح لا يؤكل وما عمل لاهل العزاء لا باس به وما يجري مجراه واذا علم الرجل من حال اخيه انه يفسح بالانبساط اليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يحرج ان يأكل من طعامه بغير اذنه

قال الله تعالى أوصيكم (قيل) دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه فتحوا الباب وانزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة وأوكد ذلك الوليمة وقد يختلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وان عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر (روي) ان الحسن ابن علي مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض

مكانا لوضعه فجعل في السفينة على عنقه وهو متأسف على اخذه وليس ينتبه الناس لبعضهم فوقع الفياض ونسي المركب ويعدل في مقر به ومقرهه منعسق لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل ثلاث الثمار واستشمام ثلاث الانوار والتفرج بين ثلاث الاشجار وهو مع ذلك متأسف على نفسه من السباع وغيرها من المستقلات والنكبات ولا منتبه عن شؤم نفسه بثيابه وخمن يجرح بدنه اوشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وهو مع يغرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء اهل السفينة انصرف منتلا بمعاده ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم ليبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من اقتربته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالخيف المنتثة واما من وصل الى المركب بثقل ما اتخذ من الازهار والاشجار المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكدرت تلك الالوان والاشجار فظهر تنزاعها فصارت مع كونها معشقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا أن القاها في البحر ورماها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد أن ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظ ظهم الباطلة ونسيانهم مورد هم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم انه بصير عاقل أن تفوته أحجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل * (مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم) * قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة فبرا حتى اذا لهبدوا ما سلكوا منها اكثر وما بقي انفدوا الزاد وخسروا الظهور وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء فقالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر مثل ما تون قالوا لا نعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قال الرحيل قالوا الى أين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نحن بمبيش خير مما نحن فيه هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصطلموا بين أسير وقتيل * (مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) * اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل

واسعد اوتقدم اليه طبق ذهب عليه بطوروريا مع ليشمه ويتركه لمن يلقته لا ليمتلكه ويأخذه بفهل وجهه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق بقلبه الخاطر ان الله تعالى استرجع منه شجرة تنبع ومن كان هذا مبلغ همته انتفع به وشكره وورثه بطيب قلبه وانشراح صدره وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يسرفون اليها كل قلوبهم حتى تنظم صيتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسال الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وجوده

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان تبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها الكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنيا الشيء وآخرته عبارة عن سابقين من احوال قلبك فالقريب الدائي منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهو في الدنيا في حقك الآن جميع حالك العمل وفيه نصيب وحظ فليس يذموم بل هو ثلاثة أقسام *(القسم الاول)* ما يحصل لك في الآخرة وبقي معك ثمرته بعد الموت وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعته نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في اكثر الاوقات أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها حيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم المعذبات عليه حتى قال بعضهم ما أتأسف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا يطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولسنا نسمي الانس بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا الا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا *(القسم الثاني)* وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما ليس حظا عاجلا ولا ذخرا له في الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخل في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والقلمان والجواري والخصول والمواشي والقصور والدور وفيح الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو في محل الحاجة فظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل أبا الدرداء على

وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب (وكان) يقال الاكل مع الاخوان افضل من الاكل مع العيال (روي) أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير واحب أن يقدم له طعاما فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال امير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وبه الله فاجلال الله تعالى واكرامك كما أكرمت العلم

(الباب الرابع والاربعون)
في ذكر أديهم في اللباس وبياتهم ومقاصدهم

اللباس من حاجات النفس ودثورتها الدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة

عمص فاتخذ كيسا أنفق عليه درهمين فكتب اليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به من عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فاذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك الى دمشق أنت واهلك فلا يزل بها سوق سات فهذا وآفة لا من الدنيا فتأمل فيه * (القسم الثالث) * وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل مالا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فهو حاصل وله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يضر به من أبناء الدنيا وان كان باعثه لحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعني طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار أن أعمال العبد تتناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث * واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما وحدهما سلالم العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تحجل عقيب الموت الى التي يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وانقلت من البين وخلي بينه وبين محبوبه فتقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيل في الرجوع اليه ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لحساب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويفضي اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه من زرعة للآخرة وان أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب

من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه اهوية متنوعة وما رب جبة رقيقة فاخرة في يوم الصيف في اللباس الى متابعة صحيح العلم (قيل) لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من حلال وقيل له وهو ممزق قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه ان يكون من وجه حلال لانه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه ان يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط صحة الصلاة

الا الله عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو وحده عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنهم اسعادات منغصة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما ظنك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر الى خضرة أو شرب ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسأل عنه اشار به الى الماء البارد والتعرض بجواب السؤال فيه ذل وشرف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ لذلك وقال عمر رضي الله عنه اهزلوا في حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس الخبز الشعير ويأكل هو الخبز بالنخالة فعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي أياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظوظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه ومحبة لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فأقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استكثارا مما فخر الى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغناء عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وبجامع

وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس ويعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر الى الخلق والصادق لا ينبغي ان يلبس الثوب الا لله وبستر العورة والنفس ادفع الحر والبرد (حكي أن سفيان الثوري) خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه سبعة أيام فقيل له ولم يبدل ذلك فهم أن يخلعه وينفضه ثم تركه وقال حيث لبسته لنوبتي التي ليست لله والآن فما أغره الا نظر الخلق فلا انتقض النية الاولى بجهله والصوفية تنصوا بطهارة الاخلاق وما رفقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي

الهوى نفسه أمر وهي ما يحصل الله تعالى بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاصناف التي تحصل منها هذه الملاذ السبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقد رخص ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو الذي قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو غير الله وبين التتمم والضرورة قدر يعبر عنها بالبلغة وبالطرفة واسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التتمم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه وبينهما وسايط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحازم في الحذر والتقوى والتقريب من سد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يريدون أنفسهم الى سد الضرورة حتى ان أويسا القرني كان يقلن أهله انه يحتمل شدة تضييقه على نفسه فينوالها يتاعلى باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج أول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب سمسمة شربها الافطاره وان لم يصب ما يقوته من الطعام باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان رعاع السبيان يرمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته واقتداء عظيم برسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال اني لا بد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة الى ما رحمه الله وما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم فقام وافقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فتجالسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وماذا تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما تنينا احق منه ولا ابين منه ولا أوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت الا لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا أن أطلب أويسا القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه يوما على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل طويل شديد الادمة شعث الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مشوب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حملك الله من رجل وحدت يدي لاصافحه فابى أن يصافحني فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبه اياه ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت من عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت

هداه الله لنفوسهم وفي
ملهاة الاطفال وتماضيرها
تناسب واقع كوجود
تناسب هيئة شاها النفس لما
الله بقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي
فالمناسب هو التسوية فان
المناسب ان يكون لباسهم
مشاكلا لطعامهم وطعامهم
مشاكلا لاكلهم لان
المناسب الواقع في النفس
مقبلها العلم والثواب والفاضل
في الاصول يحكم به العقل
وعقوقة الزمان ملتزمون
بشيء من المناسب
شيخ الهوى وما عندهم
من الاطلاع على المناسب
رشح مال سلفهم في وجود
المناسب * قال ابو سليمان

من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفني روحي روحك حين كلمت نفسي فقلت ان الارواح لها أنفس كأنفس الاجساد وان المؤمنين إذا عرف بعضهم بعضا ويتعاونون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال انى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي صحبة بأبي وأمي رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغك واستحب أن أقص على نفسي هذا الباب آن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا عرم بن حبان فقلت يا أخي اقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك فاني أحبك في الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال ربي واصدق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حبان مات أبوك حبان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي ثم قال يا عمر اياك يا عمر قال فقلت رحمك الله ان عمر لميت قال فقد نعاه الى ربي وانى الى نفسي ثم قال أنا وانت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حبان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك أن تفارق الجماعة فيشبه فراقك دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وحبيبه في الجنة وادخل علي في دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان واضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله مما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خيرا ثم قال أستودعك الله يا هرم بن حبان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة والوحدة احب الي كثيرا لهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسألن عني ولا تطلبني واعلم انك متى علي بال وان لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فرصت ان امشي ميمنة ساعة فأبى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء أن حب الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله تعالى مما يوخذ بقدر الضرورة

الدار التي ليس لسعدهم عداه
ثلاثة دراهم وثمرة في بطنه
بخمسة دراهم اذكر ذلك
احسنهم التناسب فمن خشن
ثوبه ينبغي ان يكون ما كوله
من جنسه واذا اختلف
الثوب والماكول دل على
وجود الخسة في الموجود
هوى ... كامن في اسفل
الظرفين اما في ظرف الثوب
او ضيع نظر الخلق واما في
ظرف الماكول لفوط الشره
وكلا الوضيعين مرضي
يحتاج الى المداواة ليعود
الى حد الاعتدال ليس
ابو سليمان الداراني ثوبا نفسه
فقال له احمد لم ليست ثوبا
اجود من هذا فقال ليت
قلبي في التواضع مثل ثوبي

من الدنيا الا بحل فهو طاعة الله وذلك ليس من الدنيا وبين هذا مثال وهو ان الحاج اذا خلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فقهد البدن بما يقويه على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لان الدنيا نعم اذا قصدت للبدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منصرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة منادیا ينادي الا ان المنقطة والنوم الا من اخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله من قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في عقل فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها واشتغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وبطالتهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد وملكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فمطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن فمطلبها الآلات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة وغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فمطلب منها لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من الآلات والمواشي وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبسها لها وحفظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو الحب المستتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها وعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحفظه وحفظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا أنفسهم وما بهم ومتقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وغرضها علم ان هذه الاعيان التي سميناها

في الشباب فكان الفقراء يلبسون الموقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من اهل الصلاح وهو لاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رغائبهم من المزابل كانت اقسامهم من الابواب (كان) ابو عبد الله الرقاشي يشابر على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان اذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول انتم تأكلون بحق التوكل وانا آكل بحق المسكنة ثم يخرج بين المشائين يتصدق بالكسر من الابواب وهذا شان من لا يرجع الى معلوم ولا يدخل

دنيا المخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعن بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بطعم
ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء ورحال ومثال العبد
في الدنيا في تسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف
الناقة ويتعهدها وينقلها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء
بالثلج حتى تقوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة
للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل الا القدر الذي يتوقى به على المشي
فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر
الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت المال الا لضرورة ولا فرق بين
ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن
همته ما يشغل باطنه فقيمته ما يخرج منها اكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان
القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا اسباب الحاجة الى هذه الامور
واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقتهم بطونهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتشابهت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير
نهاية محدودة فنذكر هنا في كثرة الاشغال ونسرد اقتصادها ثم نذكر تفاصيل أشغال الدنيا
وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلو الناس في مقاصدها حتى تضح لك أشغال الدنيا
كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي
الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن
الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبناء والملبس لدفع الحر
والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك من الاهل والمال ولم يخلق الله القوت
والمسكن والملبس مصطنعا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك لها ثم فان النبات
يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويتنعم بالصحراء
ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن الملبس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى
خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية
والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفهما من أمر الغزل
والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والاقتناص أيضا للمطعم والمركب
والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل
النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنجها والمقتنص يحصل ما ثبت وتنج بنفسه من غير صنع
آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك
ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى أدوات وآلات كالحياكة
والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات اما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب أو من
المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة أنواع
أخر من الصناعات النجارة والحدادة والفرزرة وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل
في الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى

تحت صنة (حكى) ان جماعة
من اصحاب المرقعات دخلوا
على بشر بن الحرث فقال
لهم يا قوم اتقوا الله فلا
تظهروا هذا الزى فانكم
تعرفون به وتذكرون له
فقال له غلام منهم والله
لنظهرن هذا الزى حتى
يكون الدين كله لله فقال
له بشر أحسنت يا غلام
مثلك من يلبس المرقعة
فكان أحدهم يبقى زمانه
لا يطوى له ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذى عليه (وروى)
أن أمير المؤمنين على رضى
الله عنه لبس قميصا اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من
رؤس أصابعه وروى عنه
أنه قال لعمر بن الخطاب
ان أردت ان تلقى صاحبك
فرقع قميصك واخصف نعلك
وقصر أملك وكل دون

وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة وأما الظراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأصوافها فهذه أمهات الصناعات ثم ان الانسان مخلوق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته الى الفصل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس وتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليشتغل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معهم من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوص وغيرهم لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والحصن يسور ويحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم بهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا وتولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به وبهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك هذا للهلك ولو وكل نفقته الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى منها صناعة الساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل الى الفصل المخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستشعر الخلق حاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت أو تصرف

الشبع (وحكى) عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجد الا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت وانا بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على المائدة فاردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا الى هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس الا ثوبا واحدا الى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى

بالغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ذمة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فنفس الحاجة لا محالة الى أن يدعوهم أهل البلد بأموالهم ليحموهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة لاصناف أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يشرف عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لاجتمعوهم رابطة تحرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب وجباة العمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى عمال الزرع مع عمال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية المحاة بالسيوف والثالثة المتردون بين الطائفتين في الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت واللباس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى الى غير محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في هوة منها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التي يأوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الزلاحة والحداد والنجار يسكن قرية لا يكون فيها الزراعة فيها الضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا أن النجار مثلا اذا طالب من الفلاح الغذاء والآلة ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى آلته فلا يبيعه والفلاح اذا طالب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليتربص بها صاحبها أرباب الحاجات والى أبنية يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابنية ليتربص به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والخزائن فيحمل الفلاح المحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعه بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لاجل تباين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات ويتقلون ذلك ويتعبون به لتنتظم

ما سمعه (وحكى) لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا انه بقي زمانا لا يلبس الثوب الا مستعارا حتى انه لم يلبس على ملك نفسه شيأ (وقال أبو حفص الحداد) اذا رأيت وضاءة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره وقيل مات ابن الكريني وكان استاذا للجنيد وعليه مرقعته قيل كان فرد كم له وتخاريصه ثلاثة عشر وطاقية فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزي والخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزي الفقراء ويكون يتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم

أمور الناس في البلاد بسببهم اذ كل بلد يعم بالاتوجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه عرض جميع المال لاهالة فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لغرض غيرهم ونفيهم متهايجمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما ظالم فالمال ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير المكاري نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البعد بين الحاجة الى النقدين فان من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وأبقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والتجار ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب عاجزا عن الحرف فيحتاج الى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير * أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * وأما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا أو سلالا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * وأما المكدي فانه اذا طلب معاشا فيه غير وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فاستدلوا بالتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعولون أولادهم وأنفسهم بالحيلة لا يعذروا بالعجز فيعطون واما بالتعامي والتشبيح والتعباش والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع كتمان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعجب يتعلق

راى بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بالوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبي حفص التاعم بعلم ونية باقي الله تعالى بحجها وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثوب لنية يتسترون لهم في ذلك فلا يتعرض عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الناس براءة بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وربما حجها وقد يرد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد لخفي شهوات النفس باقي

بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل الجباة كصنعة الطبالين في الاسواق وصنعة ما يشبه الموض وليس بموض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بأنه انها ادوية ويخدع بذلك الصبيان وابلهال وكأصحاب الترعة والسال من المتجمعين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بانواع الكدية وأنواعها تزيد على الف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والمكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومتقلبهم وما يئول اليه مآلهم فتاهوا وضاعوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد أن كثرتهم ازمنة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امورهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيما كان ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له همم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهاره ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لا ينقطع الا بالموت * وطائفة أخرى زعموا انهم تفطنوا لامر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا همتهم الى اتباع النسوان وجمع اذا تأنق الاطعمة يأكون كما تأكل الانعام ويظنون أنهم اذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويتردون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك تأديبهم وحركتهم الى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الارض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه وبالله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى أمثال ذلك ولا يعتبرون * وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يتبع عليها أبصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس * وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والاكرام بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف

الله تعالى بحسن النية وفي ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب يهنه لا لشهوته ولا لشهرته بل يلبس ما يدخله الخلق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا احسن وأحسن من ذلك أنه ينتقد نفسه فيه فان رأى للنفس شهرة وشهوة خفية أو جلية في الثوب الذي أدخل الله عليه يخرجه الا أن يكون مالا مع الله تركه الاختيار فعند ذلك لا يسعه الا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله اليه وقد كان شيخنا أبو الحبيب لا يتقيد بهيئة من الملبوس كان يلبس ما يتفق من غير تعمد وتكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بشعرة دنانير ويلبس العمامة بدينار

وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانحاجرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تزاد لهم هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاوله يمكنهم الرقي منها ان عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل ومعرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان علم ان سبيل التحصيل اذا قمت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعشب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها فهذا شان المتمكنين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فدهمهم الشيطان ولم يتركهم وأغراهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فرأوا ان الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا والسبب ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتحرقون على النار ويقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسالك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع عنهم في معرفة الله سبحانه عن أن يتهنوا بالتكاليف وانما التكاليف على عوام الخلق وورا هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يتبع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيتبع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبتها حتى لا يجاوز حدود الورع

وقد كان عبد الظاهر يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس وكان علي بن الهيتي يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فرقا خشنا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئته سمة مخصوصة وشح تفاوت الاقدام في ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو السعود مع الله تركه الاختيار وقد يساق اليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى خواطر الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا ناقي الا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع

والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابي وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدين بل للدين وما كانوا يترهبون ويتجردون الدنيا بالكلية وما كان امرهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذي خلق الخلق * وبسط الرزق * وأفاض على العالمين اصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * وردد هم فيها بين العسر واليسر * والغنى والفقر * والطمع واليأس * والثروة والافلاس * والعجز والاستطاعة * والحرص والقناعة * والبخل والجود والشح بالموجود * والاسف على المفقود * والايثار والانفاق * والتوسع والامساك * والتبذير والتقتير * والرضا بالقليل والاستحقار للكثير * كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا * وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا * وابتغى من الآخرة عدولا وحولا * واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا * والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا * وطوى بشريعته اديانا ونحلا * وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل رشدهم ذللا * وسلم تسليما كثيرا (اما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف * واسعة الارجاء والاكناف * ولكن الاموال أعظم فتنها * وأعم شحنها وأعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها * ثم اذا وجدت فلا سلامة منها * فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا * وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره الا خسرا * وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات * وفوائدها من المنجيات * وآفاتها من المهلكات * وتمييز خيرها عن شرها من الموصلات * التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين * من العلماء الراسخين دون المتهوسين المغترين * وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وفوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع ثم الحالتين وللواجد

أو يحمر من فقير قول لا وبخل ربما الجأ الخناق القوم من ارباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا في المسئلة اختيارا وترى عندنا فيه شهوة فنقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على أنس الناعم وليس الخشن ولكن يجب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ الى الله والافتقار اليه ويسأله أن يريه أحب الزي الى الله وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه

حالتان احداهما يحكم العقل والشرع باتفاقهما على ممدوحة والاخرى مذمومة فالممدوحة هي حالة التبذير والاقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهي فضائل متشابهة ومكتنف الغلط فيها من الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم محله ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر ان شاء الله تعالى

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال وابلاهما في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها هم بطونهم من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الله هم ورباديون ربهم الى أمرها ينتهون وله واسلم يتبعون فمن يعيش منكم من بعدي من عبد الله فلن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم ويخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعودهم ضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فامضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أتبع الانسان ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها

فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيادة خصوصا فيما تلزم بذلك الزي فيكون لبس بالله ويكون هذا أتم وأكمل ومن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وايقان ولا يبالي بما يلبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وبخط وذلك اللفظ فيه يكون مكفرا لهم ردودا عليه وهو بالله يوفقه الله تعالى في ارادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة شبيها براهدا بساوع الله تعالى الى مراده وهجايه غيران ههنا من زلة قدم لكثير من المتعين

ومالك بين كتفيه كلما كفأته الصراط قال لماله ويلك ألا أذيت سوق الله فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وقد ذكرنا الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * (الآثار) * روي أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراد سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فاصبح جسمه وأطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن ينتهي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عني لا تنفعني وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترا كان لها فطرحته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحدا الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعوهما ابليس ثم وضعوهما على جبهته ثم قبلوهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال محمد بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قتل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى العالم

وفي ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من امرئ قيص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رقعه
او جبين لاح فيه أثر قد خلعه * اره الدرهم تعرف حبه أو برعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عنده وته فقال يا أمير المؤمنين صنعت فيهم صنعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وامامي عاص لله فلا أبالي على ما وقع وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره نفسي عندربي وادخر ربي لولدي وروي أن رجلا قال لابي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ هذه مصيبة لم يسمع الاولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

(حكى) عن يحيى بن معاذ الرازي انه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحقيق ومن الناس من يسبق اليه علم ما سوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه مجردا فيه وكل أحوال الصادق على اختلاف نوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وليس الخشن من الثياب هو الاصعب والاول والاسلم للعبد والابعد من الآفات

(قال مسلم بن عبد الملك) دخلت على عمر بن عبد

(بيان مدح المال والبلغ منه وبين الذم)

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال يعمل وعزان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في فواضله الصدقة والطبع فوبخنا على المال اذا لم يمكن الوصول اليها الا به وقال تعالى ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات كثيرة هدايا مسعة من ربك وقال تعالى منا على عباده ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير مذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب الامرين جميعا وما هذا وصفه فمدح لاجل الفائدة وبذم لأخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستقصاء مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان يقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا أب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس وأكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجية أخسها والمال من جملة الخارجات واد ناها الدراهم والدنانير فانها خادمان ولا خادم لهما وسر ادان لغيرهما ولا يراد ان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب بسعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها فهو خير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسديل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات التي تطغية سبيل الله وكان المال سهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يسد رمقه ويمنع خوره وقال اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وعنى بها الذهب والفضة

العزيز أعوده فدخل عليه فرأيت شيئا وهو نائم فقالت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب امير المؤمنين فقالت نفعل ان شاء الله تعالى ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة الم آمركم أن تغسلوه فقالت والله ما قميص غيره هذا (وقال سالم) كان عمر بن عبد العزيز من أين الناس اباسا من قبل ان يسلم عليه بالخلافة فلما سلم عليه ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له فلبسها (وقيل) لما مات ابو الدرداء وجدوا في ثوبه أربعمائة وقمة وكان عطاؤه اربعة آلاف (وقال زيد بن وهب) لبس علي بن ابي طالب قميصا رازيا وكان اذا مد كمه بلغ

اذ رتبة النبوة اجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الآلهية في شئ من هذه الحجارة اذ قد كان قبل النبوة عبادتهم لها مع الصغر وانما هي عبادتهم لها مع الكبر والاعتراف بها والركون اليها ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين أن عبيدها عابدوها ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبد الغير الله فهو عابد صنم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقليل يتفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع

(بيان تفصيل آفات المال وفوائده)

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق فنوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره *(اما الفوائد)* فهي تنقسم الى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها *وأما الدينية* فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع (النوع الاول) أن ينفقه على نفسه اما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يتوصل به على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضروريات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط (النوع الثاني) ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروأة والوقاية للعرض واجرة الاستخدام *اما الصدقة* فلا يخفى ثوابها وانها تتلقى غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم *واما المروأة* فتنفق بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا أن هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويتحقق برتبة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروأة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها *وأما وقاية العرض* فتنفق به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مما تجوز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المثاب من معصية الغيبة واحتراز هما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل على المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة *وأما الاستخدام* فهو أن الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فينتفع الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره

اطهر انف اصابه فقال له الحق واوجز بذلك فقال اتصبر فقال على لباس هو ابهة من الكبر وابعد ان يقتدى بي المسلم (وقيل) كان عمر اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علا بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء (وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تواضعوا فوبكم يلبس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم ان تفصدوا دينكم بحمد الناس وذمهم (وروي) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر اليهما اتجبه حسنهما فسجد لله تعالى فتعجل له في ذلك فقال نفسيت ان يمرض عني ربي فتواضعت له لاجرم

ويحصل به غرضك فأنت معذور اذا اشتغلت به اذ لا يخلو من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران (النوع الثالث) مالا يصرف الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الطباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين الى اوقات معتادة وناهيك بها خيرا فهذه سبيل فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وسعادة الفقر والوصول الى العز والجدين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية (وأما الآفات) فدينية ودنيوية وأما الدينية فثلاث (الاولى) أن تجرّ الى المعاصي فان الشهوات متقاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا من نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وقعة السراء اعظم من فتنة الضراء (الثانية) انه يجرّ الى التنعم في المباحات وهذا أقل الدرجات فتق يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذات الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فاحسن احواله ان يقتصر بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده وصعب عليه الايصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد اتسعه ربما لا يقدر على التوصل اليه الا بكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرائيات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لتنتظم له امور دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويداهنهم في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظور فلا يسلم من هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ منه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه (الثالثة) وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام في المال ثلاث آفات أن يأخذ من غير حله فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات وروحها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشريك ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العمارة وخصومة الغلامين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المراعي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه

لا يبيتان في منزلك ما تخوفت الفقر من الله تعالى من اجلهما فاخرجهما قدمهما الى اول مسكين القيه ثم امض فاشتري له نعلان مخصوفتان (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واستذى المخصوف واكل مع العبيد واذا كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفي شهواتها وكامن هواها امر عسر جدا فالاليق والاجدر والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب الى ما لا يريب ولا يجوز للعبد الدخول في السعة الا بعد اتقان علم السعة وتزكية النفس وذلك اذا غابت النفس بقية هواها المتبع وتخاصمت النية

وفي الخوف عن يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذي سعد قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهو بمعزل عن الآفات الدنيوية وما يقاسيه أرباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع المفاسد وقسمتهم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا تريق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عدا ذلك هموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

﴿(بيان ذم الحرص والطمع وصيح القناعة واليأس عما في أيدي الناس)﴾

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقر قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على اقل قدر وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهر ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تطرق الى الكثير أو طول امله فاته عز القناعة وتدنس لاصحالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوئ الاخلاق وارتكاب المنكرات التي لا طاقة للمرء بها وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الاصل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة الآدمي مفسدة وضرورته مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من اسد فقير ولا غني الا وتود يوم القيامة انه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال اقنعهم بما أعطيته قال فأيهم اعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتديك الجوع فعليك بريحانتين وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس

وتسدد التصرف بعلم صحيح واضح والعزيمة اقرام بركبوهم او يراعوهم الا يرون النزول الى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة

ما نقص ماله قط فاكفل عرضنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الملامح فيما رواه أبو أيوب
الانصاري ان امرأ يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال اذا
صليت فصل صلاة مودع ولا تصلين بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عما في أيدي الناس
وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة
فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله
فبسطنا أيدينا وبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس
شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا ان يناوله اياه * (الآثار) *
قال عمر رضي الله عنه ان الملامح فقر وان اليأس غنى وان من يأس مما في أيدي الناس استغنى
عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات قصر * ومطلوب أيام تعسر
اقنع بعيشك ترضه * وارفض هوى النفس تعش حر
فاربح جنى ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يقول انظروا اليأس بالمأوى كله فوالله من قنع لم يذل ومن لم يقنع لم يذل
سفيان مخبرينا كم مالك تبتاع به وتبيع ما ابليس بما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم
الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال محمد بن جعلان انما بطنك
يا ابن آدم شبر فما تصنع بما فوق ذلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد
في الباطن واليأس عما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا
كلها لك ثم لم يكن لك منها الا القوت واذا انا اعطيتك منها القوت وسعلت حسابها على غيرك
فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل
فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق او ما وزق وكتب بعض بني امية
الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما
اعطاني منها اقبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء أسر للعاقل وأعاشي اعون
على دفع الحزن فقال اسرها اليسير مما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضاء
بحتوم القضاء وقال بعض الحكماء من سدت اطوار الناس غناه اليأس وهو اغناهم عيشا القنوع
واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا ارفعهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم
المغرم وفي ذلك قيل

أرفه بمال فتى أحس على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
ما المرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل ايضا

سقى من انا فيه حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالي

بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايفطر الموت من رمى على بال
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى سلتان اشتاق ويقطين وما يعصرني من الخلاء بطني وعمر في وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش ليست بارقتهم ولا انا وهم سواء فوالله ما ادري أيطل ذلك ام لا كأنه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية فانه يتجنب الشناعة بها وعاتب اعرابي أخاه على الحرص فقال يا اخي انك طالب ومطلوب والموت من ورائك وتطلب انت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد تناولت عنه كأنك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل

ارى الشيء يبدو الاثرا حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهول الشاعر ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعملك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا فغص على شفته وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت اثنتين فكيف اعلمك الثالثة قال لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون وهي ورب شيء لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال الفرط طامع الآدمي فانه يحبسه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرياء سهل في قليل وقيد في رجلك فأخرج الرياء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو عبد الله البزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفتهما اليهما ثالثا وانشدني

اذا سبابك منك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفع لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك وابتذب * ركوب المعاصي يجتنبك ثيابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب علمه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خرم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن جعل الدنيا سلما تعلم عليه اذا مرت به وعدته اذا مر فض لم تسلم عليه الله عز وجل ولم تعده الله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من

وفي كل الامور اذا يستقيم
ويقبح بالمقامة الباطن
ويقبح من الفتى قصر ويقبح
الجهل كلها حسن لو تحقيق
الله تعالى

(الباب التاسع والاربعون)
في ذكر فضل قيام الليل
قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر حين نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الاقدام وسبق المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وغلبوهم عليها واصبح المسلمون بين محدث وجنب واصابهم الظمأ

ما تحدث عن فلان عن فلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمل مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تأكل قال من يدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها الطحين وأومأ بيده الى رحا فوق راسه فسبحان القدير الخبير

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة)

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل وفروع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد عن نفسه أبواب الخروج ما امكنه ويردنفسه الى ما لابد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يشتري ثوب واحد خشن ويشتري طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة وتحقيق به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من أهم الامور * الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب شوقا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن يتفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابو خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس لا تيأسوا من الرزق ما تهزت رؤوسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثرهمك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال

فسوس اليوم الشيطان انكم تربحون انكم على الحق وقلبكم بين الهوى قد غلب المشركون على الماء انتم تقاتلون خمسة ثم وبينهم فكيف تربحون الفقر عليهم فانزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادي فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الدواب وملؤا الاسقية وليبد الارض حتى ثبت به الاقدام قال الله تعالى ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم امدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين

صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له وان يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا يمنعك الانسان عن الرزق الحرص الا يحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لاهمال الجميع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا لضرورته بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال الفضيل الضبي قلت لاعرابي من أين معاشك قال نذر المسلمين قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيء منها هو لي فان أجمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيء منها هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي حزنين أفنى عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم بقوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من تشرط همه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك الدين ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو وكيل العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس في القناعة الخبر والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الحر من شئت تكن أسيره * الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمق من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين له ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويسمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخبر عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فلحما أكثر أكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والمنزل فالبهيمة من هو أعلى رتبة منه وان قنع بالقليل وزهد فيه لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس أن يتفكر في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلاصه من الاسر والقراع ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المداومة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه أطلق بزمرة الاغنياء وأخرج من جريدة الفقراء وينفعه ذلك بأن ينظر أبدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تقنع عن الطلب وأرباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس

ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى جعل القرآن للناس رحمة وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة لهم المؤمنين والناس قسم صالح من الاقسام الماحلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب اذ في شكايتها وتعبها تحدي القلب وباستراحتها بالنوم يشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس

وينصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم نريد أن تميز عنهم قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي أي في الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهر طويل فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول الجنة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل الله تعالى وليه الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة وقال ابن عمر

من الاوراد فعند طلوعها أنفعها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم بوجود الروح والانس فان النوم طبيعة باردة رطبة ينفع الجسد والدماغ ويسكن من

قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني المنبر فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل علي جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاءه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام البخيل داء وطعام الجيل دواء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس باهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة المجدبة فيحييها ويحيي به أهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت (الآثار) قال علي كرم الله وجهه اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تنفق واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وأنشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى أن تجود بها * فانما هي ما أعطيت من خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال * اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحفظه نفسه وحسن قيامه بضيعته وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية * وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن * وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل * ورفع رجل الى الحسن بن علي

الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص عن الثلث يضر بالدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدته طول الليل بوجود الروح فتقصر بالروح أوقات الليل الطويلة كما تقصر كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فتقصر الليل لاهل الروح (نقل) عن علي بن بكار انه قال منذ أربعين سنة ما احرزني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما رأيته قط بريحي وجهه ثم ينصرف وما أملته وقال

رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك متضمنة فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى أقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل ثقلنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما ما من وصف ببذل المال اطلاقه لم يكن سخيا وانما السخى من يتقى بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصرى ما السخاء فقال أن تجود بمالك فى الله عز وجل قيل فما الحزم قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق طلب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وان الله عز وجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان فى الجنة وقال حذيفة رضى الله عنه رب فار فر فى دينه أخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته وروى أن الاحنف بن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

وسئل واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال الاصمعى كتب الحسن بن على الى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صرارا الى اخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود فى بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه عندى قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادى عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل أمكننى من نفسه حتى أصيب معروفى عنده فماله عندى مثل يدى عنده وقال المهدى لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس فى دارى فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل مثقل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها * لله أو لذوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليجلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

(حكايات الاسخياء)

عن محمد بن المنكدر وعن أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما تفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتنى لفعلت * وعن ابان بن عثمان

قال

أبو سليمان الدارانى أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل اللهو فى لهوهم وقال بعضهم ليس فى الدنيا شئ يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل العشق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل (وقال) بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الاسحار فملؤها نورا فتدر الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين وقد ورد ان الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى الى بعض أنبيائه ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم

قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله اغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الناس فكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لو كلأنه أموجود لنا هذا كل يوم تأكلونه قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم * وقال مصعب بن الزبير بيع معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين ابن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا فلا بد لنا من اتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فقرأ عليه بختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى أبي محمد * وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي أنه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فخذها تملك على نفسك وانت مستثنى وكنت على قضاء الرشيد من محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح ارزاق العباد بأيدي الملائكة عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لذاكرة المأمون اياي بالحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حتى سؤالك اياي يعلم لدى رمعرفتي بما يجب لك تكسرني علي ويدي تنجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل ومالي ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفدت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أنكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بركيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين الفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مولاه والله ما عندنا درهم فقال أريد أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا الناجارحوا قوام يثنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد تزوج بابنة من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنت بمستغن أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا تخدم أولياء الله تعالى فتفضل وفعلوا * ويحكى أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أني عدوه فعمل محاويج الى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل والتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها على تسانه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تهذر عليه ارتجاعها كتب اليهم

ويقطرون الى وأنظر اليهم
فان سنوت طريقتهم
أحييتك وان عدلت عن
ذلك قتلتك قال يا رب
وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعيه
الراعي غنمه ويحنون الى
غروب الشمس كما تحن
الطير الى أوكارها فاذا جنهم
الليل واختلط الظلام
وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الى أقدامهم وافترشوا
لي وجوههم وناجوني بكلامي
وعلقوا الي بأفئدتهم
صارخ وباك وبين متأوه
وشاك بعيني ما يتحملون
من أجلي وبسمعي
ما يشكون من حبي أول
ما أعطيهم ان أقبل فيهم
نوري في قلوبهم فيخبرون

بيعها ودفع الثاني منها على حقوقهم الى من لم تتم صلاته * وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل يحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وسقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل * وكان أبو هريرة أحد الكرماء فقد مه بعض الشعراء فقال الشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قد مضى الى الشافعي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقول لك بها احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا فقال ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو هريرة من الحبس * وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل الامير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سوى المشيخ

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له ما حاجتك فقال له فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار * وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فنفدت نفقاتهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت اسلبوها واحتلبوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا ما نعوز بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يتقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي لا تنكره فبعث غلامه فدعا العجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من ثمنها الصدقة ألف شاة وأمر لها بها ألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاكتفيتهما فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار * وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له

معن كما أخبرتهم والثاني لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في ميزان نيتهم لاستقلتها الهم والثالث أقبل بوجهه على عليه أفتدري من أقبلت بوجهي عليه أيهم أحدهما أريد أن أعطيه فالصادق المريد اذا خلا في ليله بمناجاة ربه انتشر أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره فيستنير نهاره في حماية ليله وذلك لاستيلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تبعا من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويسير قالب صوفي قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفقا سكناته * وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز أن

عبد الله الشاعر يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك * وحكي أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أصحابهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي وكان البعير الميت فاستناب نجيبا معروفا به وانتبه الرجل ببعيرين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم ببعيره نجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يضج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شأو ذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبي في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان بن فلان وسماه * وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر واضر به المرض فقال ياهذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فسب الغلام الى جفر الاعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك اهلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما كنت آكل الاربعة من كرمك فأبكاني * واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون على دارهم فقال يا غلام ناتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعا * وقيل بعث هرون الرشيد الى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيته خمسمائة دينار تعطيه أنا وأنت من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم * وحكي أنه لم يجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار * وحكي ان امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيأ من عسل فأمر لها برطل من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر ما عندها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة مسكين وقال الاعمش اشتكت ثابت عند حبيبة بن عبد الرحمن بعد موتها بالف دينار والعشي ويسأل الى هل استوفت علتها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا امها وكان تحتي لبدة أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ * وقال عبد الملك بن مروان للأصمعي من خارجة بلغني عنك شيء فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني فقال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيأ فاستكثرت شيأ اعطيته اياه * ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب

يكون لمنيرين أحدهما ان المشكاة تشبه بالمصباح فاذا صار سراج القنديل في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل يزداد المصباح اشراقا وتتكاثف به مشكاة القالب نورا وضياء * كان يقول سهل بن عبد الله القنديل نار والاقرار بقبوله والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فنور القنديل من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا بين القلب بناء النور ويسري

لينسبه الى القالب فيلين القالب لين القالب فتشابهان لوجود اللين الذى عهدنا قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ووصف اهل الجنة باللين فاذا امتلأ القالب بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الانس والسرور يشذو ج الزمان والمكان فى نورالقلب ويتمزج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الارض أرض القالب بنور ربها اذ يصير القالب سماء والقالب أرضا ولذة تلاوة كلام الله فى تحمل المشاق يستركون الكائنات والكلام الجميل يكونه ثوب عن سائر الوجود فى من احمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حديث

لمن سأله سكاكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان قبل بهذا البيت فقال

انى سمعت صريح الصبح مناديا * يامن يجود على الفتى الهوان

ثم قال ما حاجتك قال دين قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك ذلك ومثله * وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل له انهم يستحيون عما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده * وعن ابى اسحق قال صليت الفجر فى مسجد الاشعث بالكوفة فطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى صلة ونعلان فقلت لمن هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين * وقال الشيخ أبو سعيد الاعرابى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن عبد الله الفقيه يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد له بعضهم مولود فقال فقلت له ولدلى مولود وليس معى شئ فقام معى ودخل على بعض اهله فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع والى درت اليوم على بعض اهلك فكلمتهم فى شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين علينا الى ان يفتح علينا بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك الرجل فى تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت بجميع ما قلت وليس لنا اذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لاولادى يحضروا امكان المكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحضروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا ما لكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى * وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرضه بمصر قال مروا فلانا يفسلنى فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتونى بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى اياما أراد به هذا * وقال أبو سعيد الواعظ اطركوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت بجماعة من أصحابه وزوارهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره فى الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا * وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن ابى سليمان لشئ بلغنى عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد أن ينزل اليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا تزال فقام الخياط اليه فسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه

يالهف قلبى على مال أجود به * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى لمن احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربع دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب بها في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء * وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة وبعسه مال وكان قلما يمسك شيأ من معاشه فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال نخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها المعرفتي بأصلها وقد وقفت اكثرها ولكني بنيت بعض مضر بايكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول

اري نفسي تتوق الى امور * يقصر دون مبلغها مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل * ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابو علي المأمون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال ابكي على الارض ان تأكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى * ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده مشغولا فقبل منه المدحة وامر صاحبه بتبليغه ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان هذا قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد
كالدنانير والدراهم في البيـ * ـع حرام الايدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لما جبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدراة فكتب اليه

اعجلتنا فقلت عاجل برنا * قبلا ولو امهلتنا لم نقبل
نحذو القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقوسي فقسمه فيهم فسألت انا دارهم كم كان قال أربعمائة الف * وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برسم فقال ان هذا الرسم ما انى به أحد قبلك ان لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني * وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما بالك قال علي أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعلمتيه اذ شق عليك فقال انما أبكي

وفي مثل هذه الحالة يحرم تلاوة القرآن من فاتحته الى خاتمته من غير رؤية وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم * الوجه الثاني اقول عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان وجوه أموره التي يتوجه اليها تحسن وتتدارك بالمعونة من الله الكريم في تصاريفه فيكون معانا في مصادره وموارده فيحسن وجه مقاصده وافعاله ويتنظم في مسالك السداد أقواله ولا ان الاقوال تستقيم باستقامة القلب

* (الباب السادس والاربعون) *

في ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وآداب النوم * فمن

لاني لم أتفقد حالك حتى استماع الى منافق قوم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا بخيل وفي رواية ولا لئيم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عجب من ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من خيبر اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست ببخيل وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فأمر لكل منهما بعبر فاعطاهما دينارين فخرج من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا أمرونا وشكرا لما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك أن أحدكم ليسألني فيخطئ في مسئلته فأعطيها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلغوا من جود الله تعالى بالجود وابعد الله احسكم الا ان الله عز وجل خلق الجود بفعل في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشق أغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض

ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويصلي ما قبله منتظرا ليحيي الليل وصلاة المغرب مقيما في ذلك على أنواع الاذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ومن ذلك ان يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه اذا واصل بين العشاءين يتغفل عن باطنه آثار الكدورة المادة في أوقاته النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فاذا ذلك كله أثر وحدث في القلوب حتى النظر اليهم

أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وشجرة البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ولها بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة نبتت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة نبتت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فتشت سليمان من سيدكم يا بني سليمان قالوا سيدنا جد بن قيس الا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا لسيدنا جد بن قيس فقال لهم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياة السخي عند موته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول أحب الى الله من العابد البخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد وقال أيضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الصحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح سأل الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من أن اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون فقال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم رأسي قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقيني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم لك عني لا تحرقني بنار ذكر الذي يعني بالهداية والكرامة لوقت بين الركن والمقام ثم صليت ألتي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم متت وأنت لئيم لا كبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (الآثار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري أنهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم تتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهري سررك وحجالك وكراسيك وملكك وما أعددت فيك لعبادي فاظهرت فنظر اليها فتكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا وقالت أم البنين أنت عين عبد العزيز أني للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا نجد بأموالنا أجود الجلاء لكنا نتيسر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا

يقلب كذا في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر الى الخلق للبصيرة كالنذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الاثر وهو من ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ويقصد عن قيام الليل سيما اذا كان عريانا من يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل (حكي) في بعض الاخبار عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء ومرة في أثناء الليل بعد

الانتباه من النوم ومن قبل الصبح فلا وضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فإن التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه الا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتحمل للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود والا فالنوم من الغابة هو الذي يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الفرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم كلام ضرورة فمن نام عن غلبة جوع يجتمع شتاق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا طمست ووطنت على

ارادا الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح على ما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تحكم فقال خير الناس من أنفق سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا وريث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يمقتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان ينادیان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وعظ رجلا فقال اقصر فلان في عين اعظم الناس في عينه وكما يرى السائل ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى أن اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيما خذ فوق حقه شحة من ان يفين فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال ابو الدرداء من اطرح عنه ثلاثا فقد اطرح ثلثي الدين ذم البخلاء واحتمال الفقر يوجب الحرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك اذا بخلت ذممت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خير ما اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو حكموا لبخلاء الا ببغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس عياله أجودهم بعرضه وقال يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس أخبرني باحب الناس الى الله وأبغض الناس الى الله قال أحب الناس الى المؤمن البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة بيض الموت ولا ذلك * وقيل أقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تينتين فقطع التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم قرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو قد كسائك ودعا بمنديل أخاله ولم يطعمه شيأ فبسه الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك

قال

قال صوت المقلى * ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب
له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فقر في فقر وصحافه منقورة من حب
الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال
سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق قال أنا والله ما أقدر على ابرة أخيطه بها ولو ملك
مجد بيتا من بغداد الى النوبة لملأ أبراشم جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه
السلام يطلبون منه ابرة ويسألونه اعارتهم اياها ليخيطوا بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل
* ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا اقرم اليه أرسل
غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك
قال نعم الرأس أعرف سره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يخبئ فمه وليس بلحم
يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه لونا
عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وخلصته لونا ودماغه لونا واكفي مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي
فيه مرافق * وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فسألت له امرأة من أهل مالي عليك ان رجعت
بالبائرة فقال ان أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فاعطى ستين ألفا فاعطاها أربعة دوانق
* واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره
الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو صنعت فاكلت كسرة
وصلحا فابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله
فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل يرحمك الله فاعاد عليه المسألة فقال له يرحمك
الله فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله ضربت اليك بالعصا قال فشاداه الاعمش وقال
اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق موا عيد منه هو منذ صنعة يدعوني على كسرة وملح
فلا والله ما زادني عليها

(بيان الايثار وفضله)

اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان
يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه فمحتاج أو فقير محتاج
والبذل مع الحاجة أشد وكان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الحاجة
فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يعسل المال ويمرض فلا
يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يتمكن منها الا ببخل بالثمن ولو وجد سبيلا اجبارا لا كلها فهذا يبخل على
نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق
عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله على الصحابة رضي
الله عنهم به فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ايما امرؤ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر
على انفسنا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عندنا الا رغيفا فدخل عليه رجل
من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وامر امرأته باطفاء السراج

النوم استرسلت فيه واذا
ازعجت بصدق العزيمة
لاسترسل في الاستقرار
وهذا الانزعاج في النفس
بصدق العزيمة هو التجافي
الذي قال الله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع لان
الهم بقيام الليل وصدق
العزيمة يحصل بين الجنبين
والمضجع نبوا وتجافيا
(وقد قيل) للنفس نظران تحت
لاستيفاء الاقسام البدنية
ونظر الى فوق لاستيفاء
الاقسام الروحانية فاعطوا
النفوس حظها من النوم
وامنعوها حظها فالنفس
بما فيها امر كوزمن التراب
والبدن ترسبه وتستجلس
وتستلذ النوم قال الله تعالى
هو الذي خلقكم من تراب
والآدمي

ويجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جئت الله من ضيفكم الليلة الى ضيفتكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يارب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله لجلالة عناية فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كانت تتلألأ نفسه من انوارها فقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتي أحد منهم فيعمل به وقد من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على تخيل قوم وفيه غلام اسود يعمل فيه اذ أتى الغلام بقوته فجعل الغلام كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرضي كلاب انه جاءني من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان اشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لا سخي مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه أهدي الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداولوا سبعة أبيات ورجع الى الاول وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن أبي الحسن الانطاكي انه اجتمع عشرة نفر وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع عشيته من سقفيته فأعطاه ثم اعتذر اليه وقال سحنة العدوى افطرت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته وصحبت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي الى ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا

بكل أصل من أصول مناقبه
طبيعة لازمة له والرسوب
صفة التراب والحكمة
والتقاعد والتنادم بسبب
ذلك طبيعة في الانسان
فارباب الهمة أهل العلم
الذين حكم الله تعالى لهم
بالعلم في قوله تعالى أمن هو
قانت آناء الليل ساجدا
وقائما حتى قال قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون حكم لهؤلاء الذين
قاموا بالليل بالعلم فهم اوضع
عليهم ان يجعلوا النفوس عن
مقاوم طبيعتها ورقوها بالنظر
الى اللذات الروحانية الى
ذرى حقيقتها فتجافت
بنفوسهم عن المضاجع
وخرجوا من صفة الكاسل
الهاجع (ومن ذلك) ان يؤثر

هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب البهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن ببادية ميتة فقصدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاءوا الى تلك الميتة وقعدنا حية ووقفت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واموال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة هيهنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

اعلم ان القول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ماحد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا ويرى اقرانه غير بخلاء وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد من نفسه حبا للمال ولاجل ان يحفظ المال ويمسكه فان كان يعسر بامساك المال بخيلا فاذا الا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من اتى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يريد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة او نقص حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في اللقمة ازدادوها عليه او غمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فقصر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالهبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من ولا سعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على روية التفضل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء ما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد عبد الله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محصلة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لطلبات الخلق ويمكن ان يكف عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن

العبادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطا يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول الان أرى في بعض شيطانا أحب الي من ان أرى وسادة فانها تدعوني الى النوم والتغيير العادة في الوسادة والغطاء والوطاء تاثير في ذلك ومن ترك شيأ من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير امر (ومن ذلك) خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام اذا اقترن بذكر ويقظة الباطن اعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي ان يعلم ان ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى

التصرف فيه بالبذل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك
حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو الجود وينبغي أن
يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط
والقبض وهو أن يقتدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن
قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابر هافهو
متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال لوجوه
صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا مرقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب
بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي
لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما سمي فاجرا بخيلا ولكن الذي يمنع
واجب الشرع أيضا كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهل النفقة أو يؤذيهم ولكنه يشق
عليه فانه يخيل بالسبع وانما يسخى بالتكلف أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن
يعطي من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة
والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن
كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله
وأقاربه وهما لكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من اطعامه ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح
في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة
أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها
ويستقبح في شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية او شراء الخبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من
المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق او اخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن
فيه المضايقة من صبي او امرأة او شيخ او شاب او عالم او جاهل او موسر او فقير فالبخيل هو
الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على
مقداره واصل سبب البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان
صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ
المال والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة طالب المال فهو
بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه
مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال
ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وامساك
المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس بخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام
مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما ورجا ظهر عند العوام ايضا
سمة البخل عليه ان كان في جوار شحاذ فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها
ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه

واستحقاقه

يذهب الطعام بالتمسكن والتلاوة نعم الاستغفار (قال) بعضهم لان النقص من مشاق النعمة أحب الي من أن أقوم ليلة والاحوط ان يوتر قبل النوم فانه لا يدري ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عند وضوء ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم يتم على الطهارة قصرت به روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل اذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا ينقضه

واستحقاقه فمن أنفق واجب الشرع وواجب المروءة لا لاستحقاقه فقد تبرأ من البخل ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب النفيس الذي يسهل الدرجات فإذا السخي نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه المذمة في العادة فهو جواد يتقدر ما تتسمح له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون من طمع ورجاء مخدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه وبالجود هو يبذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فلسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذيلة البخل فيسمى جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع بنا لمن المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض يحصل له عليه فهو معاوض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على سحبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عائشة وأشاروا إلى سحبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والإيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تفضلتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله سبحانه من مثل هذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا سخي يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح فقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فبم قالت السخاء عندي في المبيع وقال الحاسبي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل وبصفو قلبك يبذل مهجتك وظواهر أن دعاك الله تعالى بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال وحب المال سببان * أحدهما سبب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذا قدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أطفال الولد مقام طول الأمل فإنه يحتاج بقاؤهم كبقائه نفسه فيبخل لأجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مجبنة مجهلة فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجيء الرزق قوي البخل لا محالة * السبب الثاني أن يعز عن المال في الناس من وجه ما يكتسبه لبقية عمره إذا انقصر

بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل في التمادي النفس بالحدث ولا يصادم بقتله القلب فإذا استرسل في الانتفاخ وثقل فتضجيه الروح أيضا لكان صلاته والطهارة تشرف الرؤيا وطهارة الباطن عن خبث الهوى وكدورة محبة الدنيا وانتزه عن انعكاس الفعل والمتقدم والمتأخر وقد ورد من أوى إلى فراشه لا يذري ظلم أحد ولا يعتد على أحد غفر له ما اجترم وإذا طوبت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقش فيه عجائبه الغيب وغرائب الأنباء في المستقبل من يكون له في مناسبته كمالة ومعاشه

على ما يوجبه عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه
بإخراج الزكاة فلا بد أن تقلقه عند الموت بل صار بعض الأذكياء يحتال بها بأن يهب جميعها
في يوم بقدر ما عليها فتكثرها فعت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتفسخ أو يأخذها أعداؤه ومع
هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير
العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض من لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل
عشق شخصا فاشتغل بحبه لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل بحبه فإن الذكاء بحب رسوله يبلغ إلى
الغايات فصار محجوبا بذلك لأن الموصل إلى الله الذي لا بد منه قد تنسى الغايات ويصير الذهب
عنده كأنه محجوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الطريق فلوات مهلكة
حتى قنع بما حصله به فالفاضل عن قدر حاجته والطريق عقبات واسعة فهذه أسباب حب المال
وأما علاج كل علة بضدها فتعليم اقتطاع الشهوات بالقناعة بالصبر وبالصبر وتعليم طول
الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم
وتعليم التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد ترك من أبيه مالا وعاله
أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولد يريد أن يترك ولده يخبر وينقلب هو إلى شر وأن
ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويتم مظلمته إليه
ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به
على البخل من العذاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة
الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل
من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا
قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه إذا أنفق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي
يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا
عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل
إن كان عاقلا فإن تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فإن الشيطان
يعده الفقر ويخوفه فهو يعده عشية وحكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا
تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على
نفسي أن تتغير وكان قد اختار لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق
إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه
قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء
كان أولى به من إمساكه إياه مع تطلبه ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم
والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حمدة الناس فيكون
قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب به خبث الرياء ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء
ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي
عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا يخلى واللعب ولكن لينقلك عن الثدي إليه
ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط

الشهوة

فيما أمره الله تعالى وينهاه
ويشهوه في القيام ويعرفه
ويكون موضع ما يفتح له في
فهمه من الأمر والنهي
كالأمر والنهي الظاهر
يعني الله أن أخلق بهما بل
تكون هذه الأوامر آكد
وأعظم وقعا لأن الخطايا
الظاهرة تمحوها التوبة
والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له وهذا أمر خاصة
تتعلق بحالة فيما بينه وبين الله
فإذا أخل بها يخشى أن
ينقطع عليه طريق الإرادة
ويكون في ذلك الرجوع عن
الله واستجلاب مقام المقت
فإن ابتلي العبد في بعض
الأحايين بكسل وفتور عزيمة
يمنع من تجديد الطهارة عند
النوم بعد الحدث منع

الشهوة ويقوى الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر سورتها به الا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب المال والرياء فيبذل الاقوى بالاضعف فان كان البخل محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة ويبقى أخرى مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب عليه على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميتة تستحيل بجميع أجزائها دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى أن تغلب احداهما الاخرى فتاكلها وتصير جرما لا تزال تبقى جاثمة وحدها الى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الاضعف قويا للاقوى الى أن لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بقمعها واذا بقيت الجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة أعمالا واذا خولفت سقطت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع ايلامه مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل ترجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم تحقق المعرفة لم تحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة من مدة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا يحمل نفسه الا الصبي الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته ومالها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أو جارية تخرج بها أمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسهل عليه هذا السهل النزر الدنيء فكيف يسهل عليه النفيس كان له النفيس محبوبا ولذلك اذا سرق كل واحد منا ثلث بدرهمية بقدر حبه له فاذا مات نزل به النفيس دفعة واحدة فلا يكاد يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطار المصيبة بالفقد والهلاك * وصل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر فلم يره فنظر فرأى شقا شديدا فقال لبعض أصحابه عندك كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان كسر او سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة أولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو يبذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويفنيها حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يحمل لان ما أمسكه طاب له

أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد ان يستعمل ويمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين فمن ذلك فضل كثير ان كثر نومه وقل قيامه (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالمحمود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالمنت المسجى ويقول يا مالك الملك وضعت جنبي على ما رفعه

فليس بخل وما لا يحتاج اليه فلا ينبغي أن يسمى بخلا فيه بل هو حسن الحامل على بسط اليد الا أن يخاف به أحد اقتناعة الناس منه بمقدار الحاجة

* (بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله) *

اعلم أن المال كما ومنناه شر من وجه وشر من وجه ومثاله مثال سمة يأخذها الرافق ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيتقلد سمها من حيث لا يدري ولا يتوقى أحد عن سم المال الا بالمحافظة على ثمن وظائف (الاولى) أن يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه ليحتاج اليه حتى يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فرق ما يستحقه (الثانية) أن يراعي جهة دخول المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وحدث المروءة وما يجري مجراه (الثالثة) في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام ما قال الى جانب القلة ويقترب من حد الضرورة كان محتاطا ويجب من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد (الرابعة) أن يراعي جهة الخرج وينتهي في الانفاق ضربة بذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما لا كسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء (الخامسة) أن يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زاهدا فيه راغبا عنه واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فملك سليمان جميع ما كان وسكانك الله مسخورة على عبادة أوليائه على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارا ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما تحفظ من ثوب وانا وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة فينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عباد الله ولا يخدمه عبد لحاجته في فعل ذلك فهو الذي أخذ من سمية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى العزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه أخذ ما استحسنه من صورتها ورشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل

هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الحية لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

الا اللهم ان امسكت نفسي فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت أمري اليك والجأت ظهري اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الحمد لله الذي بحكم فقهر الحمد لله الذي بطن فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير اللهم اني أعوذ بك من شر غضبك وسوء عقابك ومن شر عبادك ومن شر الشيطان وشركه وقرأ خمس آيات من البقرة

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه واستقصينا فى هذا الكتاب ما يدل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية قول ذكره الحرث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسهم والمحاسبى رحمه الله حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء ما لفظنا أن عيسى بن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوءا ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يخفى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب وفيه الغثاثة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم وفيكم الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعدل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أنتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمذنبين وتقيمون فى محل المتقين كأنكم تدعون أهل الدنيا اليتركوها لكم صفوا لهم ويلكم ماذا يبقى من البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وسقفه مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام تؤثر الدنيا أن تقلبكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تبكيكم على صنائعكم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الهالك الديان عراة فقراء فى موقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحرث رحمه الله أخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله وبمنه فانى رأيت الهالك الوارث للدنيا مسرورا ممتزوجا بالتخليص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصيره فريح الهالك برجا عظم بحق لدنياه ولم يسلم لدينه فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها الا فراقبوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالفج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزينون المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف لمكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك الا ان تتوب فان زعمت ان أخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم وان زعمت

الاربع من الاول والآية الخامسة ان فى خلق السموات والارض وآية الكرسى وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله وآخر سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفشجين فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان أضاف الى ما قرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى اللهم لا تؤمنى مكرك ولا

ان جمع المال الحلال المخلل اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت بهما والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال وتسبيتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعته وحتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ تركهم من جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال وكذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا ولهم رؤفا ورحيما وزعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خيرلهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في ابلاغ فاللهم انا نبرأ اليك منه وأنت عليه بما قال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كما قال أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بمقالك ما دعاك اليه الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة وجعل ما ينتحلك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد وقى عبد الرحمن بن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لخائفون على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فقرع مغضبا يريد كعبا فقرع بعظم لحي بعير فشجه به ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان أبا ذر يطلبك فقرع هاربا حتى دخل على عثمان يستغيثه به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر ويحك يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الا كثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا من يمينه وشماله ووقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني ان لي مثل احدا انفقه في سبيل الله أموت يوم اموت واترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه شيئا حتى خرج * وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قافل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سمعا ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم سمحا فقال عبد الرحمن ان المير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لي ان ادخلها معهم سمحا * وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اقل من يدخل الجنة من اغنيائها متى وما كدت ان تدخلها الا حبوا * ويحك ايها المفتون فيما استجبا جعلت بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة ايضا يوقف في عرصات القيامة

تولى غيرك ولا ترفع بي ستري ولا تنسى ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (ورد) ان من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى ثلاثة آملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الآملاك في الدار وكتب له ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتم المائة بلا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

* (الباب السابع والاربعون في ذكر الانتباه من النوم والعمل بالليل) *

اذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين

واهو الها

وما هو الا بسبب مال كسبه من حلال للتصدق ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وعلى
في سبيل الله سبحانه مع من السعي الى ابتغاء فضل الله تعالى بين وصار يجمع في آثارهم سعيا
فما ظنك بامة اذا الغرق في فتن الدنيا وبعدها عن سبيل الله تعالى ان يتخبط المتخبط
الشهوات والبدعات وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والباهاة
وتتقلب في فتن الدنيا ثم تفتخر بعبد الرحمن وتزعم أنك ان بعت المال فقد بعت الصحابة كأنك
أشبهت السلف وفضلهم وجهلت ان هذا من قياس ابليس ومن قياس الاولياء وسأصف لك
احوال السلف واحوال الخلف لتعرف نقائصك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة
اموال اذا اردوها للتصدق والبذل في سبيل الله فتسخبوا اسلالا وأكلوا طيبا وانفقوا قصدا
وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يجاوزوا بها الكفاية جاد والله بكثيرها وجاد بعضهم بجميعها
وفي الشدة آثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد
فان أشيار الصحابة كانوا للمسكنة تحبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين
وبعطاء الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الفقر اصابرين وفي السراء
حامدين وكانوا الله متواضعين وعن سبب الطمع والتكاثر ورعين لم يناولوا من الدنيا الا اليسير
لهم ورضوا بالبلغة منها وزهدوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها
وزهراتها فبالله أكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب
عجلت عقوبته من الله تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن
بعضهم كان اذا أصبح وعنده عيال شيء أصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا
مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت
لست كذلك قال اني اذا أصبحت وليس عندي شيء فرحت اذ كان لي برسول الله صلى الله
عليه وسلم اسوة واذا كان عندي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا
اذا سلك بهم سبيل الرخاء سعوا وأسفروا وقالوا مالنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح
خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهد ربنا فهذه احوال
السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم
وسأصف لك احوالك أيها المفتون ضد الاحوال وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء
وتفرح عند السراء وتفشل عن شكر ذي النعماء وتنبسط عند الغنى وتسخط عند البلاء
ولا ترضى بالقضاء ثم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك شعار المرسلين وأنت تأنف من
ذكرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين
بضمانه وكفى به اثما وعسى ان تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم فربت عليه اجسامهم وبلغنا
أن بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسناتهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانتم في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب تنعيم الدنيا فيا لها
حسرة وهي عسى ان تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا انه
من طلب الدنيا للتكاثر ولقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من

الاذان والاقامة وكان
العلماء يستحبون هاتين
الركعتين في البيت يجاوزون
بهما قبل ان يخرج الى الجماعة
كيلا يظن الناس انهما سنة
مرتبة فيحسبهم ظانا منهم
أنهما سنة واذا صلى المغرب
يصلي ركعتي السنة بعد
المغرب يجهل بهما فانهما
يرفعان مع الفريضة يقرأ
فيهما بقل يا أيها الكافرون
وقل هو الله أحد ثم يسلم على
ملائكة الليل والكرام
الكاتبين فيقول مرحبا بالملائكة
ملائكة الليل ومرحبا بالكرام
الكاتبين فيكتبان أكتبا
في صحيفتي اني أشهد أن لا اله
الا الله

غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو تم وعسالك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله لقاؤك اكره وأنت في غفلة وعسالك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة وأنت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب الدنيا وسرّ بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا اقبلت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعسالك تعنى بامور دنياك أضعاف ما تعنى بامور آخرتك وعسالك ترى مسيئتك في معاصيك أهون من مسيئتك في انتقاص دنياك ثم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من التوبة وعسالك تستذل للناس ما يجمعت من الارباح وتستحلها للملق والرفعة في الدنيا وعسالك ترضى المخلوقين مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان استقلال الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من استقلال الناس اياك وعسالك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العبد أعلى عند ذلك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تتفق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك أف لك متلوثا بالاقذار وتخرج بمال الابرار مهيهات مهيهات ما أبعدك من السلف الاخيار والله لقد بلغني انهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكثير المعاصي فليت أطيب مالك واحلّه مثل شبهات أموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها فان لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة صبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت ففريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفال أو يعفو الله العظيم برحمته بفضله وبعد فانك ان زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتقشف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الصحابة في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما استاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لاحتمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات اوشك أن يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا خافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بألف

وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أورد عنك هذه الشهادة ليوم حاجتي اليها اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أماني وتجاوز عني يا ارحم الراحمين فان واصل بين المتحابين في مسجد

دينارا من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فان زعمت انك أتقي وأورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال لتبذله في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان حسابك صعب ولقد بلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أني اكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفيما أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جملة الاسلام والحلال موجود لديهم ترحموا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم غير المال بشره وأنت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك اين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لكنا نخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرى المال من الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك واعلم ان الشيطان ظنت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح اري لك أن تقنع باليقين ولا تجمع المال بأعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له لعلك قصرت في باب هذا شيء عما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم أضيع شيأ عما فرضت علي فيقال لعلك اشتغلت في هذا المال في شيء عن مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم أشتغل ولم أباه في شيء فيقال لعلك ضيعت حق أحد أمرتك ان تصله من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبته من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضته علي ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وبعلته بين اظهرنا وأمرنا ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع من ذلك شيأ من الفرائض ولم يحتل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسئلة التي سمعت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لا سبيل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلا ويحك بهؤلاء الاخبار أسوة فان أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتصدق والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الا بحق ولم يتضرر بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك

جماعة ليكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وان رأى انصرافه الى منزله وان المواصلة بين العشاءين في بيته اسلم لدينه واقرب الى الاخلاص واجمع للهم فليفعل وهو مثل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب عجلة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة الجمعة والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين وتقرأ في الاولى عشر آيات من اول سورة

فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسابق مع الرعيل
الاول في زمرة المصطفى لا يسبق عليك للمسئلة والحساب فاما السلامة واما عطب فانه بلغنا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة
عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم فيما تكون وتمتعون
والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا
صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ماسرني أن لي حمر النعم ولا أكون في
الرعيل الاول مع محمد عليه السلام وجر به ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين
عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل
المتقين لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو ابو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من
ماء وعسل فلما ادناه من شفته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب يتكلم فعاد
في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له أكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول
اليك عني فقلت له فداك ابي وأمي ما أرى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت
الي بهتتها وبرأسها وقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو
مني من بعدك فاخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقوم
فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من عسل وتبكي
أنت في انواع من النعم والشهوات من مكاسب المحرمات والشبهات لا تخشى الانقطاع أف لك
ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى
لتنظرن الى أهوال يجزعك منها الملائكة والانبياء وان قصرت عن السباق فلطول عليك
اللحاق وان أردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير وان لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف
طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول
رب العالمين ولتبيانن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في
أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك لها مثال مختار السلف قنع
بالقليل زاهد في الحلال بذول للمال مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيأ غدك
مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره
للعلو والرفعة قوي في امر الله لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك
كلها على ما وافق رضوان الله وان توقفت في المسئلة وان يحاسبك مثلك من المتقين واخلص جمع
المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك أيها المغرور وفقك الله لامر وأعانك على النظر أما علمت أن ترك
الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وأيسر
للحساب واخف للمسئلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى القدر عند الله
أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو أن رجلا في جوده ناثر يعطيها والآخر يذكر الله
لكان الذاكر أفضل ومثل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابرّ به
وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها

البقرة والآيتين والهكم
الهواحد الى آخر الآيتين
وخمس عشرة مرة قل هو الله
احد وفي الثانية آية
الكرسي وآمن الرسول
وخمس عشرة مرة قل هو
الله أحد ويقرأ في الركعتين
الاخيرتين من سورة الزمر
والواقعة ويصلي بعد ذلك
ماشاء وان أراد أن يقرأ شيأ
من حزبه في هذا الوقت في
السلاة وغيرها وان شاء صلى
عشرين ركعة بفاتحة
بسورة الاخلاص والفاتحة
ولو واصل بين العشاءين
بركعتين يطيلهما الخمس وفي
هاتين الركعتين يطيل
القيام تاليا للقرآن حزبه
ومكررا آية فيها الدعاء
والتلاوة فضل ان يقرأ مكررا

ربنا عليك توكلنا واليك
أنبنا واليك المصير أو يقرأ
آية أخرى في معناها فيكون
جامعا بين التلاوة والصلاة
والدعاء ففي ذلك جمع للهم
وتظفر بالفضل ثم يصلي قبل
العشاء أربعا ويحسنها
ركعتين ثم ينصرف الى
منزله او موضع خلوته
فيصلي أربعا اخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في بيته اول ما يدخل
قبل أن يجلس أربعا ويقرأ
في هذه الاربع سجدة لقمان
وتبارك وسيح اسم ربك
الاعلى وان أراد ان يختم
يقرأ فيها آية الكرسي وآمن
الرسول واول سورة الحديد
وآخر سورة الحشر ويصلي
بعد الاربع احدى عشر

وجه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما أفضل قال يعمد والله
ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك
الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك وأقل
لتعبك وانعم لعيشك وارضى لبالك واقل لهمومك وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجمع
لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل ويحمد فلو كان في جمع المال فضل عظيم
لوجب عليك في مكارم الاخلاق أن تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى ما اختار لنفسه من
مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسرع
لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات
المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض ليجد قرضا وليس له فضل كسوة
الا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا من ربه فأولئك مع
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا الا يا أخي
متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا
ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة
والتعظم والتكبر تجمعه ثم تزعم أنك لاعمال البر تجمع المال ويحك واقبل الله واستحي
من دعواك أيها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل
والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم ويحسن عند جمع المال مزيدا على نفسك مستترا
بأستار تلك وجملا من الحساب فذلك أنجى لك واقرب الى الفضل من طلبه اسمع يا جامع المال
* اخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس
وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر
العورة فاما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله واياكم منه وبعدا وسحقا لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم
ومثل زهدهم واحتياطهم وأين الثرى من الثريا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا وريب المنون بأدواء
النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المحقين يوم النشور وحزن طويل لاهل
التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقا باون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير
برحمته آمين * هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد
لذلك بجميع الاخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا
ما روي عن ابي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال
يا ثعلبة أما لك في اسوة اما ترضى أن تكون مثلي والله تعالى أعلم الذي نفسي بيده لو شئت أن
تسير معي الجبال ذهبا ونفسه لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا
لأعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها
حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى نزل

ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية
من القرآن من الطول والسبع
والطارق الى آخر القرآن
ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب المكي رحمه الله
وان اراد قرأ هذا القدر في
أقل من هذا العدد من
الركعات وان قرأ من سورة
البقرة الى آخر القرآن وهو
الف آية فهو خير عظيم
كثير وان لم يحفظ القرآن
يقرأ في كل ركعة خمس
مرات قل هو الله احد الى
عشر مرات الى اكثر ولا
يؤخر الوتر الى آخر التهجد
الا ان يكون واثقا من نفسه
في عادتهم بالانتباه للتهجد
فيكون تأخير الوتر الى آخر
التهجد حينئذ افضل (وقال
بعض العلماء) اذا اوتر قبل

الا باسامة الا بالجمعة وهي تخر كما يخر الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلتقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله احتبس عن الصلاة في المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى في شأنه من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا فمر السليمي فسمع بهما فقام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن تأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانها لتؤخذ منها فلما فرغا من صدقاتهم صدر بها حتى مر بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة في خلافة عثمان فهذا طرف من المثل وشؤمه وقد عرفت من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابي انت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي انى لست أقدر على طعام آكله فقد اجهدني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك لكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اتقي يا بنت عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذا قل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والمصرف الى الخيرات اشتغال اللهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال

* وقد روي عن بحر بن ليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان فاها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا الى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا أدري فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا الذي اخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعهما المال فاراد أن يأخذا منه ويقتلاه فقال هو بيننا ثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما فاكله قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لا على شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكن اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذانك الرجلان لا على شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده فقتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها

* وحكي أن ذا القرنين أتى على امة من الامم ليس بايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم فدلهم على نهر فاغتسلوا منه وشربوا وكسحوا هناك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض الله عز وجل في ذلك معايش من نبات الارض وارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي أراكم على حالة لم أر احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انا

النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم ينتقل ما شاء ويوتر في آخر ذلك واذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما باذا زلزلت والهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى اذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر ثم يجدد نية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتقاوضون في كيفية نيتهما وان قرأ كل اهل المسجات وأضاف اليها سورة الاعلى فتصير سبعا فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة ويترقبون بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن أحسن الادب عند الانتباه ان يذهب

كرهنا هذا الان اسد الريط منها شيئا الا تاقت نفسه وهمته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد استقرتم قبورا فاذا أصبحتم تهدمتموها فكسيتموها وصلحتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واعلنا الدنيا صنعتنا قبورنا من الامن قال وارا كم لاطعام احدكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في بيات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام واى ما جاوز الحدث من الطعام لم نجعله طعاما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك ذلك الارض يده فاخذ ذى القرنين فتناول بجمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه سلبه بالموت فصار كاحجار الملق وقد اسمى الله عليه على ان يجزيه به في آخرته ثم تناول بجمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك صلحت الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أسمى الله عليه على ان يجزيه به في آخرته ثم اهوى الى بجمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال ذو القرنين هل لك في صديق فاتخذ لك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما أصلح انا وانت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال بعادوك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

(كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب * المطلع على سرائر القلوب * المتجاوز عن كبائر الذنوب * العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب * البصير بسرائر النيات * وخفايا الطويات * الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى * وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا * فانه المنفرد بالملكوت والملك * فهو الغنى الاغنياء عن الشرك * والصلاة والسلام على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك * وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النمل السود على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك يعجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وقطعوها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وساسوها بالقهر على أصناف العبادات عبرت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطابت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة

يا طنه الى الله ويصرف فكره الى امر الله قبل ان يجول الشكر في شئ سوى الله ويشتغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل المكلف بالشئ اذا نام ينام على محبة الشئ واذا انتبه يطلب ذلك الشئ الذى كان كان به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فانتظر وابصر عند ما تنتبه من النوم ما همك فانه هكذا يكون عند القيام من القبر ان كان همك الله والا فهو غير الله والعبد اذا انتبه من النوم فبادر طنه عائدا الى عمارة الظاهرة فمثله يدع الباطن يتخرب بغير ذكر الله تعالى الذى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه

القبول عند الخلق ونظر هم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وبمدحه وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله لمشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضهم موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حبه لله وعبادته للرضا والما حباله بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات وأبطلت الاعمال وقد أثبتت اسمها في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون وهو هاوية لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والتحذير منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على عشرين * (الشطر الاول) * في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهي وليس بكمال حقيق وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم وهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه

* (بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت) *

اعلم أعطك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الجليل الامن شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة فانه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه الامن عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب المرء من الشر الامن عصمه الله من السوء أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا لا بأس به اذا روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد ان الناس اذا رأوا شارا السلف بالاصابع فقال ان لم يعن هذا وانما عني به المتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه شهرة ولا تشهر ولا ترفع شخصك لذكر وتعلموا كتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال

ويكون فارا الى ربه بما ملئه
خوفا من ذكر الاغيار وهن هم
في الباطن هم لنا العبار فقله
اتقى عارف الانوار وعارف
النفحات الالهية بقلبه
ان تنصب اليها قسام الليل
انصبابا ويصيب بنات القرب
له موئلا ومأبا ويقوله
بالسان الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه
النشور ويقرأ العشر
الاواخر من سورة آل عمران
ثم يتوسد الماء الطهور ويقال
الله تعالى وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم
به وقال عز وجل انزل من
السماء ماء فسالت اودية
بقدرها قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء القرآن
والاودية القلوب فسأل الله

ابرهيم بن أدهم رحمه الله صادق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبد الا سر وأن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت سلقته قام شنافسة الشهرة وعن أبي العالية انه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلبة قوما يمشون معه فقال لي ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نغشى سلقه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه فتنة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال سوء الرجال قلما تبعت عليه قلوب الا مقت وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فانصرفوا وعن ابن مسعود أن يقل هذا من قلب المؤمن وروى أن رجلا صحب ابن عمير في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني أعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لمقتت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قعدته فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشعيره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل علية أكسية فقال ايا كم وهذا البهار الناهي يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذا لابسها تمذ اليها جيدها وقال رجل لبشر بن الحرث أوصني فقال أشغل ذكرك وطب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد ابلاسع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

﴿بيان فضيلة الخمول﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لابره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتطلق في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة لاعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانه عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وروى ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا

بتقديرها واعتدلت ماوسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالظهير اجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهر الباطن ويذهب رجس الشيطان فالعلم غسالة وهو من آثار الطبع ويجب ان يكون منزها عن رجس الشيطان لمنافيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى امر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض فكانت القبضة بمثابة الارض والبلدة ظاهرها بشر وباطنها الدمة قال الله تعالى اني خالق بشرا من طين فالبشرة عبادة

قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم انتبه رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب أقمت علينا الأمطرت علينا السماء فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انما أبتغي في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أخلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الارض وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يحشرون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أستر عليك ألم أشغل ذكرك وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عند الناس أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوحد خلقك وقال النووي وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن أدهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن بخرزلي المؤذن يريد صلى حتى أخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فأي شهرة تزيد على شهرة الانبياء وانتفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة قاصدا وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم ثم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالفريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الفرق فالاولى به ان لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالاولى ان يعرفه الفرق ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول لهم ومسلب

من ظاهره وصورته والادمة عبارة عن باطنه والآدمة جمع الاخلاق الحميدة وكان التراب موطن أقدام ابليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة مجبولة في طينة الآدمي ومنها الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالماء رين جميعا ويذهب عنه رجس الشيطان وأثر وساوسه ويحكم له بالعلم والظهور من حيز الجهل فاستعمال الماء وبر أمر غير معقول له تأثير في تنوير القلب بازاء الرسوم الذي هو الحكم التعبدي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور

الجاه فانه اعظم لفتنة من ذئاب الغنم اذا كثر فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان اوبلا في زريبة غنم بأسرع افسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذي يملك الدراهم والدنانير يقدر عليها ليتوصل بها الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها باستعمال بواسطتها اربابها في اغراضه وما ربما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تتصور القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما أن محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المال يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب انفت من ثبوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وسببه الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل بذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة كمثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمتاحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محلها في القلوب فتكون سببا لاتمام الجاه والله تعالى اعلم

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة)

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من

هذا باطل لهذا ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة بالوضوء من القهقهة حيث رآها حكما طبيعيا جاليا لا ثم رجس الشيطان والماء يذهب الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ عند الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولو ان المحفظ المراعي لحاسب كلما انطلقت النفس في مباح من كلام أو مساكنة الى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بمعرضة تحاسبه عقيب العزيمة كالفوض فيما لا يعني قولا وفعلا عاتب ذلك بتجديد الوضوء ولثبت القلب على

النفقة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح للطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي خصباء بنانية واسطة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع الاسباب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استخدامها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال وبالجملة الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه * الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وارادان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل مال فلذلك صار الجاه احب * الثاني هو ان المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق وينصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقصدها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب واثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة مشروحة بانفسها وذويها في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيهم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما يستقبح من أوصاف الكمال وذلك عليهم دون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله * الثالث أن ملك القلوب يسري وينمي ويستزاد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره افتقرت الا لسنة لاحمالة بما فيه من وصف ما يعتقده لغيره ويقتضي ذلك القلب أيضا وله وبهذا المعنى يجب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الافاق اقتضى القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مزيد من وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالك ولا يقدر على استتمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في الفناء بنفسه ولا مرد لقوله والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت واظلمت الأسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه جوامع ترجيحات الجاه على المال واذا انضاف كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه منهم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او بجاه فهو محبوب للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو سبب جمع الاموال وكنز الكنوز واقتطار الدنانير واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان لعبد وديان من ذهب لا يتنفى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي

طهارته ونزاهته ولكان الوضوء اصفى البصيرة بمثابة الماء الذي لا يزال بخشية محركه يجاوز البصر وما يعتلها الا الملعون فتنبه رفيقا نبهك الله عليه تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه المجددات والعوارض والالتباس من النوم لكان ازيد في تنوير قلبه ولكان اجدر ان العبد يغتسل لكل فريضة اذا لا يجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة فقدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الخفية السهلة السمحة ان رفع الحرج

يسلم قطعا الله لا يطأ عادة ولا يشاهد اصحابه المعظمون اوليره وبمال اوليمينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وسبب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك بجهل فانه سبب للافائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب ولسببان أحدهما جلي يدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادق مأخذا فلنقدم احدهما ونبعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الخواصون * فاما السبب الاول فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق يسوءه الظن صولح والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا الشفيق على نفسه وسببه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو حسبة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا الخوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لماله موقف الى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في سبب قيام المنزلة والجاه في قلوب الناس عند وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولاده عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احتاط لنفسه كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثاني وهو الاقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميالا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود تقصر الشمس لانها في كمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك

بوجود

وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز اذا مست رضات بوضوء واحد فما الجرح عن عامة الامة والخواص واهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تعكر عليهم بالاولى وتلجئهم الى سلوك طريق الاعلى فاذا قام الى الصلاة واراد استفتاح التهجد يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد أنت قيام السموات والارض

ومن فيهن ومن عليهن انت
الحق ومنك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار حق
والنبيون حق ومحمد عليه
السلام حق اللهم لك اسلمت
وبك آمنت وعليك توكلت
وبك خاصمت واليك حاكمت
فاغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت
انت المقدم وانت المؤخر
لا اله الا انت اللهم آت نفسي
تقواها وزكها انت خير من
زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدني لاحسن
الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها الا انت
أسألك مسئلة المساكين
المسكين وادعوك دعاء
الفقير الذليل فلا تجعلني

وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبوعا فاذا سعى
الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه يحب لان يكون هو المتفرد بالكمال
ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا
ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية
محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ اليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ولكن
لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوة الكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له
وملتذة به اذ انه لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محبوب لذاته واصل كماله ذاته ويبغض
للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد أن يسلم التفرد
بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فانا نعلم ان الكمال أن يكون وجود غير لك منك فان
لم يكن منك فأن تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال
وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا أن الاستيلاء على الشيء
بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك ترتدد كيف شاء فأحب
الانسان أن يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا أن الموجودات منقسمة الى
ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه
قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين
وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض
وأبعاضها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير
والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان
على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات
أحب الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع
استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف
الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار
والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من
عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها لمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي
أن يعرف اللعب به وانه كيف وضع ولمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو غير التقيل
أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته
فهو منه لبعض العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر
الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد
وهي قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب أن يكون
قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال
والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج
اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعبادهم الا الخواص
الاحرار دون القهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم وأشخاصهم بالاستخدام وان لم يملك

قلوبهم فانها بعالم تفتقد كما لا سبق يصير محجوبا بها ويحرم التنعم بمشاهدته فيها فان المشاهدة التعريفية أيضا لذيذة فيها من القدرة * القسم الثاني تقويم الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الارض فهو يجب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته فما يقع من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يلحقه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فما كان محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والباقى اليه فاذا معنى الجمال تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب صحت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا المحبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال وآلاتها من أسباب القدرة ولانهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور وفوق كل انسان وانه يقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل بما يقوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يقتضى طلب العلم فى جميع الجنائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن فى سبب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى

(بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له)

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه * أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب الى الله تعالى * الثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هى عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى * الثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يتقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى * والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات * (أما المتغيرات) فمثالها العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصورت أن ينقلب المعتقد فيه مما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق جهلك بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد

بعالم ربه شقيا وكن بحيث يرقا ويحيا خير السؤلين ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الآية وفى الثانية من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر بعد الركعتين سبعين مرة ثم يسلم السلام المعروف ثم يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول وان اراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين اقصر من الاوليين وهكذا

ما بينها من الامثال والقراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصوات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الرقيق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب * (القسم الثاني) هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان من علم معلومات أزلية أبدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز واجبا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سبب الزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور انما يمشي على سبيل الاستقامة ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مشى في الظلمات ليس بخارج منها بل كطلبات في بحر يلجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ما هو مختلف في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير واللغة والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا بأحكام الجدل والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال * وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المهلكات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا نعلم له كمالا من جهة القدرة بالاضافة الى المحال وهي وسيلة الى كمال العلم بسلامة أطرافه وتوفيره بالبطش وبصحة المشي وحواسه الادراكية فان هذه القوى آلات للوصول بها الى معرفة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمل للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب

يتدرج الى أن يصلي اثنتي عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فان في ذلك فضلا كثيرا والله اعلم

* (الباب الثامن والاربعون في تفسير قيام الليل) *

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل في تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل في تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو (وفي الخبر) عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وكفارة للسيئات ومطردة للداء عن الجسد

ومن فضل ذلك كما لا يخفى جهل فان الخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الايجاد بقهر السلطنة وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه وطلبوه وأحبوا طلبوه وشغلوا به وبه الكوا عليه نفسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى وهو ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فسيأتي ذكره من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في أقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة فالعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على أعيان الاموال وعلى استخدام القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كما لا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كما لا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله فأصبح هشيما تذروه الرياح وهو على كل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه اشار أبو الطيب بقوله

ومن يتفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الا فقد رزقنا منهما ما الى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن رفقته للخير وهديته بالطافك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

وبهذا عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها بما شكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا هي مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد

الشيطان ومعاونة الاعداء عن ابليس (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض ووهيب ابن الورد وأبو سليمان الداراني وعلي ابن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وأبو عاتكة ومحمد بن المنكدر وغيرهم عدهم وعدهم بأسمائهم الشيخ أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثه أو ثلثيه واقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الاول ويقوم نصفه وينام سدسه

من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحمله ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا أن التحقيق في هذا يفضي الى ان يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس يحب بيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى المحبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يجرد زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدوربه وقد يحب الانسان زوجته لاتباعها له في العشاق ولو سكن الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فبهما لا يحل التوصل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لا عيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الطلب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام والبه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منه مباحان ووجه محظور * أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما بالقول أو بالعمل * وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بسبب كونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه * والثاني أن يطلب الجاه بشيء من عيوبه ومعصيته من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سلوك طريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو مما يدخل اليه أنه من المخلصين المخلصين

الآخر أو ينام النصف الاول ويقوم ثلثه وينام السدس (روى) أن داود عليه السلام قال يا رب اني احب أن أقوم لك فأي وقت أقوم فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخاطبك وارفع الي حوائجك ويكون القيام بين نومتين والا فيغالب النفس من أول الليل وينثقل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من افضل ما يتقرب به ولا يصلي وعنده قوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول (وقد ورد)

لله وهو مراءاة بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وهكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يقلب مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يقلب قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال

(بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغض الذم ونفرتها منه)

اعلم أن سبب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب *(السبب الاول) وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت والتذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء ممن يصير بهذه الصفات خبيرا بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كشرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكتابة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو مكروه والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح *(السبب الثاني) أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوء بالممدوح وانه معتقد فيه ومعترف بكماله ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت تكايته أعظم لان الفائت به أعظم *(السبب الثالث) أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أبعد بأن يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس *(السبب الرابع) أن المدح يدل على حشمة الممدوح وانضراب المادحين الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا

لا تكابدوا الليل (وقيل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليتم (وقال عليه السلام) لانشادوا هدبة الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يلعب بك الطالب ولا ينبغي له أن يطلع الغير وهو نائم الا ان يكون له في الليل قيام طويل فيعتد في ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل أحيا به الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم الى بسط طلوع الفجر فاذا استيقظ قبيل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم

جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الاولى وهى استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بأنه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النفاق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يبق فيه أصلا لذة لشوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم واذ قد ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج حب الجاه وحب الحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه وألطافه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا همه على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه لينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى ستين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حال ذلك كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع التواضع من له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا أن ذلك انما يستصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بما أنت فيه عما قليل صائر الى ما صار اليه من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مقدمة نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عالهم لها بالتقوى اذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وأبصارا كثيرا لخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة

ثلث الساعة وكلما يسر الله بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هى أول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة اخرى فلا أنام الله عينى (وحكى لى) بعض الفقراء عن شيخ له انه كان يأمر الاصحاب بنومة واحدة بالليل واكلة واحدة لليوم والليلة (وقد جاء) فى الخبر قوم من المسلمين ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين (وقيل) فى تفسير قوله تعالى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو

لا يعتنون بها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حاله فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الاخطار التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء ومتنافس على الدوام على جاهه ويحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فيكل ما يبقى على قلوب الخلق يضاهي ما يبقى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا بما يسوّيها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فبهذا هو العلاج من حيث العلم * وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه من قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذا اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لاجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا أن أرباب الاحوال وعبادهم يلحظون أنفسهم بما لا يليق به الفقيه من سمارأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتبادر كون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واسترد وا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن أنه ليس يحب بذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يأبى به ويه يتبين بعد أنه حب الجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته

قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير من الخير وقد يكون من أرباب الاحوال من يكون له ابواب الى القرب ويحجبه عن دعه القرب ما يشتغل به من دواعي الشوق ويرى ان القيام وقوف في مقام الشوق وهذا غلط فيه فهو محجوب خلق من المتدينين والذي له ذلك ينبغي أن يعلم ان استمرار هذه الحالة متعذر والانسان معرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى

في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين

(بيان وجه الملايم لسبب المدح وكراهة الذم)

اعلم أن أكثر الناس انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس ورجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم *(أما السبب الاول)* فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبي

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الانسان بعرض الدنيا وان فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يترتب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها فافرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار مستقاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به *(وأما السبب الثاني)* وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا للتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن ملك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به *(وأما السبب الثالث)* وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما تنسل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه

توريت قدماه وقد يقول بعض من يصلح في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فعلم ان رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الايواء الى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء مطلق وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العباد والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويتصرفون في الحال وهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا رأينا من الاصحاب من كان في ذلك ثم انكشف انابتا بيد الله

في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد هجم على الشيطان من أن يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك ثم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا لرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام الا لاتحاد حوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال الى لم أسألك بأن تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقى الله فغضب وقال الى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق وهم ما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى فلا التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته

(بيان علاج كراهة الذم)

قد سبق أن العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصده النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تعتقد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لمقتك أن يحترق بتلك الثوب بثل تجلبه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوئ الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تغتنمه وأما قصد العدو التعنت فغاية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به * الحالة الثالثة أن يفتري عليك بما أنت بري منه عند الله تعالى فينبغي

ان ذلك وقوف وقصور (قيل) الحسن يا أبا سعيد اني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهاره ذنوبا تقيده في ليله (وقال النخعي) حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت في نفسي هذا مراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك اتاك نعي بعض أهلك فقال اشد فقال وجع يؤلمك قال أشد فقلت وما ذاك قال باب مغلق وستري مسبل ولم أقترف حوبي المبارحة وماذا لا يذنب أحدكم (وقال بعضهم)

أن لا تذكره ذلك ولا تشتغل بنفسه بل تتفكر في ثلاثة أمور أحدها أنك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك استكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برئ عنه والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رمالك بعيب أنت برئ منه وطهرك من ذنوب أنت مواقع بها وكل من اغتابك فقد أهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فبالثالث تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما أن كسر ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم احد ودعا ابراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمقرعة فقيل له في ذلك فقال علمت أني مأجور بسببه وما نالني منه الا الخير فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببي وعما يهون عليك كراهة المذمة قلع الطمع فان من استغنيت عنه مهما اذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلبك من طمعك فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ويحب المدح ويبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

(بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح * الحالة الاولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب * الحالة الثانية أن يتمعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه ويجز ارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا أنه بالاضافة الى ما قبله كمال * الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فربما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجالسته أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطري له أشد تكاية في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وبلية الله من أعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا تكون ذلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من ذلة الذام فهو ما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستوى من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشد عليه القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون بحيث لا يتهمون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بغيبتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تستوي

الاحتلام مضبوطة وهذا أصح لان المراعى المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من اجتناب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا الى الجاهل بحاله أو به سهل عليكم وقته وأدب حاله ومن كمل بتحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام وضع الرأس على الوسادة اذا كان ذا عزيمة فيترك الوسادة وقد يتعمد النوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فسحة للعون على القيام وقد يكون ذنبا بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا مبالبا للاحتلام فنقس على

بينهما وانما استثقل الذام من الدين البغض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى اكثر مما ارتكب الذام فى مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد بمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور انفسه يغضب ولهواه يتعصب ثم ان الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يتقرب الى الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تصب ضائعة يفوت عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم أنه مهد اليه عيبه ومرشده الى معايبه ومهد اليه مساءته فقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى وقد روى فى بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطامع فى الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لا تنفى بها الا نهم الا بد وأن تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل على اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على أن تسوى بينهما فى الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه فى سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة فى هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات أما الدرجات فى المدح فهو أن من الناس من يتقى المدحة والثناء واتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائى بالعبادات ولا يبالى بمفارقة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستلطاف السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه أن يضبطها فموشك أن يقع فيما لا يحل لتيل الحد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور الى الرتبة التى قبلها وان جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسره ولم يغمه به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهى به الى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب

هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله اذا كان عالما دائنا يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نائم يسبق القائم لوفور علمه وحسن نيته (وفى الخبر) اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان ذكر الله انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلانا خبيث النفس (وفى خبر آخر) ان نام متى يصبح بال الشيطان فى أذنه

وقلبه حتى لا فان ذلك عين النفاق لانه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مناقض عنه وسخط ذلك بالنفاق من هذا تفاوت الاحوال في سخط الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا من في قلبه حقد وحقد على نفسه لتزيدها عليه وكثرة تصويبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدو نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالشفي لمن نفسه ويكون غنيمة عنده انصاره بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الناس واذا سمعت المدحات لم ينصب فيها فخاخ يكون خبيرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

(الشطر الثاني من الكتاب) في طلب العلم والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

(بيان ذم الرياء)

اعلم ان الرياء حرام والمراقي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار

(أما الآيات) فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور وقال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والمدح بعبادته والجاه

(وأما الاخبار) فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يرد بي بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد

والذي يشغل بتعلمه كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة اشتغال البال وانصباب الجوارح والاستلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القبالة والموفق من يقتسم وقته ويعرف دأبه ودواءه ولا يعمل فيعمل

(الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب فيه والعمل)

قال الله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار اجمع المفسرون على ان احد الطرفين اراد به الفجر وامر بصلاة الفجر واختلفوا في الطرف الآخر فقال قوم اراد المغرب وقال آخرون صلاة العشاء وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف

بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بري وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لعاذ ابن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي أيضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله وذلك ورد أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ذهب عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد ابن أوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله قال اني تخوفت على امتي الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم أمر الله الماء فاطفأ النار وأمر الريح فكفكفت الماء فاختلفت الملائكة فقالت فسأل الله تعالى قالوا يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقا خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بأبي أنت وامي يا رسول الله قال اني محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها فاذا صلى العبد من حين أصبح الى حين امسى لنور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يتلألأ نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول

وصلاة العصر والمغرب وطرف وزلفا من الليل صلاة العشاء ثم ان الله تعالى اخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها وعمومها وقال ان الحسنات يذهبن السيئات اي الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات (وروى) ان ابا اليسر كعب بن عمر الانصاري كان يبيع التمر فاتت امرأة تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فهل لك في كذا وكذا رغبة قالت نعم فذهبت بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم اتى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق

لهم الملك الموكل بهم اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمل يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بهم اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا بظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمل يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى اهله فيقول لهم الملك الموكل بهم اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمل يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بهم اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضربه بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمل يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة وايمان ودوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بهم اقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به سوء اعماله على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمل يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح الخالص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يرد بهذا العمل وجهي فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارضون ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الرقيعة في اخوانك من حملة القرآن واجعل ذنوبك عليك ولا تجعلها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجالسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تمايع رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتقطع عنك خير الدنيا ولا تغرق الناس فتغرق كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدري من هن يا معاذ قلت ما هن بأبي أنت وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي أنت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن يخرجها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للعذر عما في هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطيل رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع

شيء مما ينعل الرجال بالنساء الا ركبه غير أنه لم يجامعها قال عمر بن الخطاب اقسمت عليك لتوسعن على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال أتظنين أمر ربك وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر فلما فرغ اتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه السلام اين ابو اليسر فقال ها أنا ذا يا رسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذا له خاصة أو لنا عامة فقال بل للناس عامة فيستحب العبد صلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر وبستة قبل

في الرقاب انما الخشوع في القلوب ورأى ابو امامة الباهلي رجلا في المسجد يكثر في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا أثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اني رجل يسير في سبيل الله اريد به وجه الله تعالى وشهادة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له اتحب أن تفتقر قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه وقال الفضيل لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادعها لله وليك فقال له عمر ما سمعت شيئا اما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان أحدهم ليعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر في الطريق فما يمنعه أن يخمره الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادي يوم القيامة بأربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا شامر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد جعل من ربه محل الاولياء فلا بد للمؤمنين أن تعرفه وقال قتادة اذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر

(بيان حقيقة الرياء ومايراءى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فقد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك والمراءى به كثير ونجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الظاهرة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من

الرياء

الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في اول الليل ثم يؤذن ان لم يكن لجاب المؤذن ثم يصلي ركعتي الفجر يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد وان اراد قرأ في الاولى قولوا آمنا بالله وما انزل الآية في سورة البقرة وفي الاخرى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما تيسر له من العدد وان اقتصر على كلمة أستغفر الله الذي سبحان الله بحمده ربي اتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم الى اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع

الرياء بالطاعات * (القسم الاول الرياء في الدين بالبدن) وذلك باظهار الخمول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ويستدل بالخمول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لترجيل الشعر وهذه الاسباب متى ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فاراحت النفس اعرافهم فذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الرتبة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا أصباما متدهنين فهذه من آفة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها * (الثاني الرياء بالهيئة والزي) * أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وعلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهينة في اركانه وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه متخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع السنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من صفاء التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه المداومة والمواظبة على لبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب الخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ايرائي بغلظها ووسخها قصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لفوته أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب الخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصونة والقوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيما تسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كانوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح شوقا من الشرط من اعين الملوك والاغنياء ولو كانوا لبس الديباج والكتان الدقيق الابيض والمنصب العلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا الى زي أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فيزي يخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونها والى ما فوقه وان كان مباحا خفيفا من المذمة وأما أهل الدنيا فزيهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع

بها شملي وتليها شوشي وترد
بها الفتن عني وتصلح بها
ديني وتحفظ بها اغابي وترفع
بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتبيض بها وجهي وتلقني
بها رشدي وتعصمني بها من
كل سوء اللهم اعطني ايمانا
صادقا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة أنال بها شرف
كرامتك في الدنيا والآخرة
اللهم اني اسألك الفوز عند
القضاء ومنازل الشهداء
وعيش السعداء والنصر
على الاعداء ومرافقة
الانبياء اللهم اني انزل بك
حاجتي وان قصر رأيي اللهم
اني افتقرت الى رحمتك
واسألك يا قاضي الامور
ويا شافي الصدور كما تجيرني من
عذاب السعير ان تجيرني من

التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفرش الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة
النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا
للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة * (الثالث الرياء بالقول) ورياء أهل الدين بالوعظ
والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة واظهارا
لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفقة من بالذكر
في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات
واظهار الاسف على مفارقة الناس للماضي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على
من يروي الحديث بيان مخل في النظر ليعرف أنه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث
صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه والجدال لتعلي قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم
الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر وأما أهل الدنيا فرياؤهم بالقول بحفظ الاشعار
والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على أهل الفضل واظهار
التودد الى الناس لاستمالة القلوب * (الرابع الرياء بالعمل) كمرآة المصلي بطول القيام ومد الظهر
وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية
القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالانحناء
في المشي عند القراء كارخاء الجفون وتكسير الرأس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع
في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس
خوفا من أن ينسب الى العجلة وقلة الوقار فاذا غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه
وليس خشوعه ذكر الله حتى يكون يحدث الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد
فيه أنه من العباد الصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن يقال انه مشيته في الخلوة مشيته
بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية المستحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التفهم
ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن
مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه * وأما أهل الدنيا فرياؤهم
بالتجمل والاختيال وتصريف اليدين وتقريب الخطا والاخذ بأطراف الذيل وادارة العطفين
ليدل بذلك على الجاه والحشمة * (الخامس المرآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين) كالذي
يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال ان أهل
الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال
انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة
واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن
لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا وقد دوت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري
مجراه فهذه جوامع ما يرائي به المرائون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد
ومنهم من يتبع بعض الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد
اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بنيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف

مذاب السمير ومن دعوة
الصبور ومن فتنة التجوع
اللهم ما قصر عنه رأيي
وضعف فيه عملي ولم تبلغه
نيتي وامنيتي من خير وعدته
احدا من عبادك او خير انت
معطيه احدا من خلقك فانا
راغب اليك فيه واسألك اياه
يا رب العالمين اللهم اجعلنا
هادين مهديين غير ضالين
ولا مضلين سلما لاعدائك
وسلما لاوليائك نحب بحبك
الناس ونعادي بعداوتك
من خالفك من خلقك اللهم
هذا الجهد ومنك الاجابة
وهذا الجهد وعليك
التكلان ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ذي
الحبل الشديد والامر
الرشيد اسألك الامن يوم

أنهم نسبوه الى البدعة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يتنبه لسلم التهمة مساعته بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أعراض الدنيا ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكالمال في المال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن الزائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتجبى الطرائف على يديه فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء عشر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلبه منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورة فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم نافع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كسب كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول قليل المال الكثير حرام فلا نقول أيضا قليل الجاه الكثير حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم الاسراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كالاسراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر صاحب الجاه والمال على توفية حق الله تعالى القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فالجاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن الاسراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فهل هذا تقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مرائاة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم فهذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو استطاع من أعينهم ليرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم ما من أحوال الظاهر تزيينا لأعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واستزراء الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان وهي مما استثناه واستثنروه لم يأس بهم فاذا المرائاة بما ليس من العبادات قد

الوعيد والجنة يوم المزيد
مع الفائزين الشهود
والركع السجود والموفين
بالعهود انك رحيم ودود
وانت تفعل ما تريد سبحان
من تعطف بالعز وقال به
سبحان من لبس المجد وتكرم
به سبحان الذي لا ينبغي
التسبيح الا له سبحان ذي
الفضل والنعم سبحان ذي
الجود والكرم سبحان
الذي احصى كل شيء علمه
اللهم اجعل لي نورا في
بصري ونورا في سمعي ونورا
في لساني ونورا في عظامي ونورا
بين يدي ونورا من خلفي
ونورا عن يميني ونورا عن
شمالي ونورا من فوقي ونورا
من تحتي اللهم زدني نورا
وهبني نورا واجعل لي نورا
وله هذا

تكون صناعة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فالمراءي فيه على ثلاثة أحدها أن لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم أنه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا صفاته أثم بما فيه من التلبيس وقال القاضي بالخداع والمكر * والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله للملائكة انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله أن يتقرب بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأي استخفاف يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مرآة عبد ضعيف لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وانه أولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فهذا مقصود عبادته وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر فهم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه في درجات الرياء ان شاء الله تعالى ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ وخفيف بحسب ما يراآة ولو لم يكن في الرياء الا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري ولو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا أن الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا أنه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا شديدا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما أكثر ما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستقبل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل تقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة وثبل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن تشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث المثل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فأما اذا قصد الاجر والمدح جميعا في

الدعاء اثر كبير وما رأيت احدا أفطن لهذه الاسرار منه شمر ظاهره وبركته وهو من خشية الصادقين بصومهم وحسبة المحتسبين بصيامهم يحفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ بين الفريضة والسنة من صلاة الظهر ثم يقصد المسجد للصلاة في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وهو يقول

صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي ينافي الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه أصلا

(بيان درجات الرياء)

اعلم ان بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمرائى لاجله ونفس قصد الرياء (الركن الاول) نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما أن يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما أن يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما أن تكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا يعود قصده الى الرياء فهو المسقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصد اضعيفا بحيث لو كان في الناوة لكان لا يفعله ولا يحمل ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم * الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد بمثل ما أصلح فنرجو أن يسلم وأنا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب بمثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص * الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا للنشاط ولولم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح * (الركن الثاني) المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء بأوصافها * القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات * الاولى الرياء بأصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظاهر بكلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يراءي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام من يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من

في الطريق اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت (وروى) ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال ذلك اذا خرج الى الصلاة وكل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى ينقضي صلاته واذا دخل المسجد او دخل مجادته الصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي

ينسل عن الدين باطنا فيعتقد الجنة والنار والدار الآخرة مثلا الى قول المعتزلة أو يعتقد طي بساط الشرع والاحكام مثلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمر باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي حلاوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف التهمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة أن لا يراني بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يراني بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها في الخلوة فتثور رغبته في ثوابها ولا يشارك الكسل على ما يرجى من الثواب تم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وحضور الجمعة بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المراني جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حد الخلق على حد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات * (القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات لا باصولها وهو أيضا على ثلاث درجات) * الاولى أن يراني بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وقام القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل أي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه أدى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لاستحالة وهذا حال المراني بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من أثلب الردي فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من أجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا جل الخلق لا كما لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المراني انما فعلت ذلك

وافتح لي ابواب رحمتك ويسر لي دخول الجنة والنعيم فيها بفضلك يا عزيز يا غفار والمسرة في الدخول واليسرى في الخروج من المسجد والسجادة في عبادة الصوفي بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلي صلاة الصبح في جماعة فاذا سلم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الآية

صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا
اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فمثال له هذه مكيدة الشيطان
عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك
أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت
في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك ليتال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء
قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع
خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته
الملك أكثر ثم للمرائي فيه مقامان احدهما أن يطلب بذلك المنزلة والحمدة عند الناس وذلك
حرام قطعا والثانية أن يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود
ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فأستفيد بتحسين الهيئة
دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل
المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية
فينبغي ان يستمر على عادته في الطاعة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء
كما سبق * الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة
والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومدة القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين
والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة
وكذلك كثرة الطاعة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الاجود على الجيد في الزكاة
واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لسكان لا يقدم عليه * الثالثة أن
يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم قطعا أنه لو خلا بنفسه لسكان لا يبالي
أين وقف ومتى يقوم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضها أشد من بعض
والكل مذموم * (الركن الثالث) * المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا الاجله وانما يرائي
لادراك مال او جاه أو غرض من الاغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات * الاولى وهي
أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يصرف بالامانة قلوب القضاء
أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر
بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق
الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بتقوتهم الى مقاصده
الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي المتصوفة وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل
الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أو غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس
العلم والتذكير ويسلق القرآن بلهوثون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء
والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده النظر عن في الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض
المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعتهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة

والتسعين اسما الى آخرها
فاذا فرغ منها يقول اللهم
صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الامي وعلى
آل محمد صلاة تكون لك
رضاء ولحقه أداء وأعطه
الوسيلة والمقام المحمود
الذي وعدته واجزه عنا
ما هو اهله واجزه عنا افضل
ما جازيت نبيا عن أمته
وصل على جميع اخوانه
من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين اللهم
صل على محمد في الاولين
وصل على محمد في الآخرين
وصل على محمد الى يوم الدين
اللهم صل على روح محمد في
الارواح وصل على جسد
محمد في الاجساد واجعل

لهم في نفسهم ويغرب من هؤلاء وان كانوا من حيث قدرتهم على اتيانها وهو مصر عليها
ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي يعهد وديعة واتهمه الناس
بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يتحمل مال غيره وكذلك من ينسب الى
فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالشروع واظهار التقوى * الثانية أن يكون
غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر
الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير ليبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد
اما امرأة بعينها ليتمكن أو امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب طاعة الله متاع
الدنيا فالدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا متاع في نفسه * الثالثة أن لا يقصد نيل
حظ وادرار مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين النقص ولا يعتقد من
اخلاصه والزهد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستجيلا فيطلع عليه الناس فيحسن
المشي ويترك العجلة كي لا يقال انه من أهل اللهو واللعب ولا من أهل الوقار وكذلك ان سبق
الى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنغص
الصعداء واظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان
في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي
يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون
فيوافقهم خيفة أن ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من
ذلك وكالذي يمشي يوم عرفة أو عاشوراء أو في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس
أنه غير صائم فاذا نظروا به الصوم امتنع عن الاكل لاجل أن يدعى الى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم
وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يتول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى أنه
مخلص ليس مرائيا وانه يستحسن من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر
لعبادته ثم ان اضطر الى شربه لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل
بمرض ينتفي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر
ذلك تفصيلا بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية
عرضا مثل أن يقول ان فلانا ألح علي الاخوان شديد الرغبة في أن يأكل الانسان من طعامه وقد
ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول ان أبي ضعيفة القلب مشفقة علي
تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا ونحوه يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق
الى اللسان الا رسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم
يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا
وان كان له رغبة في الصوم لله فنفع الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في اظهاره
اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه ففيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه
درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد
المهلكات وان من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر نزل فيه قول

شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك ورأفتك ورحمتك
وتحننك ورضوانك على
محمد عبدك ونبيك ورسولك
اللهم أنت السلام ومنك
السلام واليك يعود السلام
فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا
دار السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام اللهم
اصحبنا لا سليم ودفع
ما أحذر ولا أملك نفع
ما أرجو وأصبح الامر بيد
غيري واصحبت مرتهنا
بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم
لا تشمت بي عدوي ولا
تسئ بي صديقي ولا تجعل
مصيبتي في ديني ولا تجعل
الدنيا أكبر همي ولا تسلط
علي من لا يرحمني اللهم هذا
خلق جديد فافتحه علي

العلماء

العلم فضلا عن العباد لطهارة ذاتها النفوس وغوائل القلوب والله أعلم

* (بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل) *

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلا وهو ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عند مضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لجود رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له ورجح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فأظهره منه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيسير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يخفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسره نظرهم وربطاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يديموا السلام وأن يثنوا عليه وأن يشكروا في قضاء حوائجه وأن يساهموه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقتصر ثقل ذلك على قلبه ووجد ذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد تمتع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدئون بالسلام ألم تكونوا تقضي لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا نفارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحسننا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أطل فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه بخل وزيت وقلوب الشعير فجعل يحسو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك

يا عصمتي واعصمني
بمغفرتك ورضوانك وارزقني
فيه حسنة تقبلها مني
وزكها وضعفها وباعدات
فيه من سيئة فاغفرها لي انك
غفور رحيم ودود رضيت
بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا اللهم إني أسألك خير هذا
اليوم وخير ما فيه وأعوذ
بك من شره وشر ما فيه
وأعوذ بك من شر طوارق
الليل والنهار ومن بغتات
الأمور ومن شماتة الأعداء
ومن شر كل طارق يطرق
الأبواب إلا طارقا يطرق منك بخير
يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيمهما وأعوذ بك أن
أزل أو أزل أو أضل أو أضل
أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو

أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر يخبر فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها أعظم مما يحرص الناس على اظهارها فوا حسرتهم على كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينتفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يرجع اليه ولا متجر يتعلل به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذلك يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرها البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا الا أن كان مخلصا فانما يعلم الله لا يستحقر عقلاء العباد كما يستحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي * واعلم أن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما ترى أحدا ينفك عن السرور اذا عمر فتاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس مذموما بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فأما المحمود فاربعة أقسام * الاول أن يكون قصده استيفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أسراره فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره اليه وألطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به * الثاني أن يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل * الثالث أن يفرح رغبة المطاعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء ولو قطع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور الجميل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة * الرابع أن يحمد المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في حمدهم ويحبهم للطيب وميل قلوبهم الى الطاعة اذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسدهم أو يذمهم ويعزو أفعالهم الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح

يجهل علي تعززا وجهل
فتأولت تقدست أسماؤك
وعظمت فعالك أعوذ بك
من شر ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها أعوذ
بك من حدة الحرص وشدة
الطمع وصورة الغضب
وسنة الغفلة وقساوة
اللهم اني أعوذ بك من مباهاة
المكثرين والافتخار على
المقلين وان أنصر ظالما
واخذل مظلوما وان أقول
في العلم بغير علم او اعمل في
الدين بغير يقين أعوذ بك
ان أشرك بك وأنا أعلم
واستغفرك لما لا اعلم اعوذ
بعفوك من عقابك واعوذ
برضاك من سخطك واعوذ
بك منك لا احصي ثناء عليك

بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه * وأما اللزوم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام صفاته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاحترام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم

* (بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط) *

فنقول فيه اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سر وتجرد للظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لاسيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يثن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ثم لو تمم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حفظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال لم صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به اذ يبعد أن يحبط ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس أن يقال انه يثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على مراآته باطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون بمجرد سرور لا يؤثر في العمل واما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر اليه أو يذكر شيأ تنسبه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله أي النظر الى خاتمته وروى انه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا ينزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء الصلاة فتفرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى لحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة تنبيها على ركن من أركانها على هذا الوجه لانا اكتفينا بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ

أنت كما أثنيت على نفسك اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبديك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا واوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره مكرمة أصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى

عليها مايغايرها ويضمرها ويحتمل أن يقال لايفسد العبادة نظرا الى بداية العقد والى بقاء قصد
أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه واتخذ به بعض المشايخ رحمهم الله
تعالى الى الاحباط في أصل هو أهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس
يعني سرورا هو كسب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى أنه يحبط لانه
نقض العزم الاول وركن الى مدد المخلوقين ولم يتم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم
قال ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أفتي فيه بالاختلاف
الناس والاغلب على قلبي أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل ذكر قال الحسن رحمه الله
تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لم تضره الثانية وقد روي أن رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك
أجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله
لايضره أي لايدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد انه ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص
لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه * أحدها أنه
يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ * والثاني انه أراد أن
يسره به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة
بدليل انه جعل له أجرا ولاذاهب من الامة الى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه
فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران * والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث
يرويه غير متصل الى أبي هريرة بل اكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم
بالعمومات الواردة في الرياء وفي هذا ماذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط والاقيس
عندنا أن هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما
انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم يهدم به اصل نيته وبقيت تلك النية
باعثة على العمل وحاملة على الاتمام وأما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم
يرده الا الخلق واما ما ورد في الشرك فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا للقصد الثواب
أو اغلب منه أما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال
ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا ان يقال ان الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله
وانطلق ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا الواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد
ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ
بعد عقد العبادة اما قبل الشروع او بعد الفراغ (القسم الثالث الذي يقارن حال العقد) بأن
يفتتح الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضي ولا يثاب بصلاته
وان ندم عليه في اثنائها فذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة
لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود
وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص
والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب

اللهم عليه وسلم وعلى آله وصحبه
ابراهيم حنيفا مسلما وما
كان من المشركين اللهم انا
نسألك بأن لك الحمد لا اله الا
انت المنان بديع
السموات والارض ذو الجلال
والاكرام أنت الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد يا حي
يا قيوم يا حي حين لا حي في
يقومه وحالك وبقائه يا حي
يحيي الموتى يا حي ميت
الاحياء ووارث الارض
والسماء اللهم اني أسألك
باسمك بسم الله الرحمن
الرحيم وباسمك الذي لا اله
الا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم اللهم اني أسألك
باسمك الاعظم الاجل الاعز
الاكرم الذي اذا دعيت به
أجبت واذا سئلت به
أعطيت يا نور النور يا مدبر

أيضا لطمع بخاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الشريفين الآخرين خارج عن قياس الفقه جملة واحدة وصاحب قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعال لا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العمل دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح مابعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا الباعث ولا اجابة فأما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا أنه تظهر له الرغبة في الصدقة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا امكان يكون في صدقة وقراءة وهما لهما فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وبيع فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلاة تقابل الفسادان بتطرق مثال الى النية فلا يدري ما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وبين من قرب حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس ما قعد ولا في بيت وحده ما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بقراءته فصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص أما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يعمل الاثنان مجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينهض باعثا في حقه مجردا مستقلا وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لاداى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا يحتمل أن يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر باعثه مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة نفلا وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة وممتثل للفرض من نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في أول الوقت خشية لو خلا الى آخر الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ الصلاة في أول الوقت فهذا محل النظر ايضا ومع هذا فهو صلاة وأصل الفرض به لا رياء في أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه شيء بل من حيث تعيين الوقت فهذا بعيد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه

الامور يا عالما ما في الصدور
يا سميع يا قريب يا مجيب
الدعوات يا لطيف لما يشاء يا رؤف
يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله
يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام
لا اله الا انت الحي القيوم
وعنت الوجوه للحي القيوم
يا الهي والهي لا اله الا انت
الها واحدا لا اله الا أنت
اللهم اني أسألك باسمك يا الله
يا الله يا الله يا الله الذي لا اله
الا هو رب العرش العظيم
فتعالى الله الملك الحق لا اله الا
هو رب العرش الكريم انت
الاول الآخر الظاهر الباطن
وسعت كل شيء رحمة وعلما
كل يوم هو في شأن يا حي
يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد
يا آحد يا صمد يا ودود يا غفور
هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن

اذا لم يبلغ أثره الى بحيث يؤثر في العمل فبعيد ان ينسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة محل مناقشة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه يجب تقديم التشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شقاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذا الصبي يتعلق ضعف العقل والتمييز عند العين الى الخلق كثيرا الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشمر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال (المقام الاول) في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل ويجمع الى ثلاثة أصول وهي حب لذة الحمد والفرار من ألم الذم والطمع فيما في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى أن اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية وهذا آتيا أنف ان يقهر أو يذم فأنه مقهور ومغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب المنزلة والجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للمال والقتال للمال اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد أفنى راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطامع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالبخيل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويتشبع بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحمل المرائي على الرياء وعلاجها ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكن نذكر الآن ما يخلص الرياء وليس يخفى أن الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لاظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال

الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني أعوذ بك من الكسل والمأثم اللهم اني أعوذ بك من المأثم والمغرم اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم منزل السلام الظاهر القدوس القدوس الظاهر اهزم يا دهر يا دهيم يا دهر يا ابد يا أزل يا من لم يزل ولا يزال هو يا هو لا اله الا هو يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كائنا قبل كل كون يا كائنا بعد كل كون يا كائن لا كائن قبلي كل كون يا كائن بعد كل كون يا مكون لكل كون لا شيء أشير اليها أدوناي اصباؤت يا علي يا قائم الا هو رفقا تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم

ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن اذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في المآل من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستوزرت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالذم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أسد أعوان عليك من الله فهو ما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح ميزان سيئاته لو خلص فاذا افسد بالرياء سوّل الى كفة السيئات فترجح وهوى الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك السائر حسناته رابحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد سقط عنهم بسبب الرياء ورد الى صفة الضعفاء من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من أشقات الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضي به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيد في حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب وهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تنفك لذته بألم منته وسذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يستضر به وبقلة نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وانظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم أنه مراء ومقت عند الله ولو أخلص لله ليكشف الله لهم اخلاصه ويحببه اليهم ويحضرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بحتريم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذا لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة وهمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من

وآل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم اني أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم اني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعلم وأعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم اني أعوذ بك من الفسوة والغفلة والذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والصمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل

الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانسلت من انغلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها من لطائف المكاشفات عالم يدنو انسه بالله ووحشته من الخلق واستصغاره الدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القاطعة مفارس الرياء وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون اللواص حتى يتفتح قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي أن بعض اصحاب أبي سليمان الداراني ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان ينبغي أن تخفيه لاتجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة يسقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمنّ به على عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (المقام الثاني) في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من أعين الخلوقين واستحقار مدح الخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس ومیلها الا يسعى بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على الترتيب فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول وردّه قبل أن يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى الذات الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في الخروج أو قبله الى أعماله فكان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير حتما كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لاحدى الثلاثة أقواهما وأغلبهما فاذا لا بد في دفع الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بحب المدح والحمد وامتلاء المرض عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيهرب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب

الغضب

ما يقتضيك ومن فجأة نقمتك
ومن جميع سخطك اللهم
اني اسئلك الصلاة على محمد
وعلى آله وأسئلك من الخير
كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم واعوذ بك من
الشر كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم اسألك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل أسألك
ما سألك عبدك ونبيك محمد
عليه السلام واستعيذك
مما استعاذك منه محمد عليه
السلام واسئلك ما قضيت
لي من أمري أن تجعل
عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم
الراحمين يا حي يا قيوم برحمتك
استغيث لا تكلني الى نفسي
طرفة عين وأصلح لي شأني كله

الغضب ثم يجري من الاسباب بالتدريج غضبه فينسى سابقة عزمه ويتلقى قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تلاقي القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثر الشهوات التي تهجم بغتة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرته الدائمة في عقد الايمان وبه سمي الناسي للمعرفة تاركا

يا جمال السموات والارض
يا عماد السموات والارض
يا بديع السموات والارض
يا ذا الجلال والاكرام
يا صريخ المستصرخين
يا غوث المستغيثين يا منتهى
رغبة الراغبين يا مفرج
عن المكروبين يا مروح
عن المغمومين يا مجيب
دعوة المضطرين يا كاشف
السوء يا رحيم الراحمين يا رب
العالمين منزل بك كل حاجة
يا أرحم الراحمين اللهم استر
عوراتي وآمن روعاتي اللهم
احفظني من بين يدي ومن
خلفي وعن يميني وعن شمالي
ومن فوقي وأعوذ بك أن
اغتال من تحتي اللهم اني
ضعيف فقوني في رضاك تضعفي
وشدني الى الخير بأصابعي

المعرفة من الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وعدا أيضا لا ينفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلاثة وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان صلاة وصيام الجاهل المتزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وجاهدته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا أنه كاره له وليله اليه وغير محب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم أن الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس في طاقة العبد مع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استشعر بها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف به ويدل على ذلك من الاخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا الامر في قلوبنا أشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب الينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته فتسلك لن يضرك ما هو من عدوك وما كان من

نفسك فرضيت نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تنفك
مهما وردت عن اعتقاد بالاباء والكراهة وبالخواطر التي هي العاصم والتذكرات والخيالات
للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة
من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي انه اذا يئس عن حمله على قبول
الرياء مثل له أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى
يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف
عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله ، والمتخلصون عن الرياء في دفع
خواطر الرياء على أربع مراتبه الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل
يشتغل بمجادلته ويطيل ايلاد الرد عليه فان ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه
اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتمريح
على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك ، الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في
السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته ، الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه
ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قوى في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان
فيستقر على ما كان عليه من مجانبة الرياء غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة ، الرابعة أن
يكون قد علم أن الشيطان سيعيده عند بعض أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نازع
الشيطان زاد فيما عرفه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة تغيظا
للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع ، ويروى
عن الفضيل بن عزوان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من أمره قيل فمن أمره
قال الشيطان اللهم اغفر له أي لاغيظنه بأن أطيع الله فيه ، وبهذا عرف الشيطان من عبد
هذه العادة كف عنه مخافة من أن يزيد في حسناته ، وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو
العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه ، وقال ايضا اذا
رأى الشيطان متهددا طمع فيك واذا رآك مداوما مالك وقلاك ، وضرب الحارث المحاسبي رحمه
الله لهذه الاربعة مثلا أحسن فيه فقال مثالهم كأربعة قصد وا مجلسا من العلم والحديث
لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق
فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه اشتغل بالمجادلة
فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره
فلما مر الثاني على منواله واستوقفه فوقف فدفع في شر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل
فتروح منه الضال بقدر وقفته للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله
بل استمر على ما كان فخاب مقصده برجاوزه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد في
عجلته وترك التأني في المشي فيوشك ان عاد واومر واعليه مرة أخرى أن يعاود الجميع الا هذا
الاخير فانه لا يعاوده مخافة من أن يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان
لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على
الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على

وأسهل الاسلام منتهى
رضائك اللهم اني أسألك
فقيرني اللهم اني فقير فأغنني
فأعزني يا أكرم الراحمين
برحمتك يا أرحم الراحمين
اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي
وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي
وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي اللهم اني أسألك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا
حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما
كتبت لي والرضا بما قسمت لي
يا ذا الجلال والاكرام اللهم
يا هادي المضلين ويا راحم
المذنبين ومقيل عثرة
العاثرين ارحم عبدك ذا
الخطر العظيم والمسلمين
كلهم اجمعين واجعلنا مع
الانبياء المرزوقين مع الذين

ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة الى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وليس منهم وحذر منهم كما أيس من خدعة العباد في الدعوة الى الكفر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالماء والطين يقارفونها من حيث لا يكلفهم فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه وتمكن توكله أما من أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون الا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فالمتقين بالوحدانية يفتيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وعاذ كره البصريون من أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسواس الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا يخبر أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع أن شيطاني قد أسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أحسن من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد أن قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينهه الا عن شجرة واحدة وأطلق له رياضا ذلك ما أراد فاذا الياس نجى من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يأمن في دار الدنيا وهي منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك سد ربنا منه جميع الطرق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه وأخذ الحذر من حيث امر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من احب الله امتثل أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بأمر الله استحذر من العدو الكافر وانت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يريد النار لا تراه أولى وذلك قال ابن عمير من صدق الله ولا يريد الله أن تكفر به وصدق الله لا تراه يريد أن يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر الاقتل هو شهادة في اهمال الحذر من الشيطان المعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجميع الجنود وسائر الاسلحة لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر

انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين اللهم عالم الغيبات رفيع الدرجات ملقي الروح بأمرك على من تشاء من عبادك نافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب ذي الطول لا اله الا أنت اليك المصير اسألك بأن لا يشغلني بما هو كائن من شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات ويا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا تبرمه الحاح الملحين اغفر لي يا مولاي وعافني يا سيدي اللهم اني اسألك اسلاما ولسانا صادقا وعملا لا مستقبلا أسألك من خير ما تعلم وأستغفرك

باسلفذ منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وترك الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا ينافض استعمال التوكل مع ما اعتقده القلب بأن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشجاع ان ويعتقد أن الهادي والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغوروا علمه ويظنون أن ما هجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم استغلت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهجم كما وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله والاشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة ويذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين قالوا انا نستعين بما امرض من حيث لا نشتغل به وان تجرد لذكره كما قد أمرنا بذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كي لا يدنا عن الذكر فكيف يجعل ذكره غالبا على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نأمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جعلت في القلب بين ذكر الله وذكر الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره وذلك بان ما شغلهم بابليس وغيره فالحق أن يلزم العبد لبه الحذر من الشيطان ويقر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به سكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل به فعود والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يقوته صبح يوم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليلة مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه وبمثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه القوى وأخمد فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى سرفوا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتجرى منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تطيب البئر من الماء القذر والبصير هو الذي سد مجرى الماء القذر سدا وملأ البئر بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر فمه بالسكر والسدة من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

واعوذ بك من شر ما تعلم
واستغفرك لما تعلم ولا أعلم
وأنت علام الغيوب اللهم
اني أسألك احياءا لا يرتد
ونعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع
ورضا بعد القضاء وأسألك
برد عيشك بعد الموت وأسألك
لذة النظر الى وجهك
وشوقا الى لقائك وأعوذ
بك من ضراء مضرة وفتنة
مضلة اللهم اقسم لنا من
خشيتك ما تحول بيننا

* (بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات) *

اعلم أن في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال ابن حسين قد علم المحاسبون أن السر أعز للعمل وأمكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل (القسم الاول) اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالصدقة لما رآه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من عمل به وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب فهم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لان الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن أسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدي به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك ان الله عز وجل أمر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روى في الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وبضاعف عمل العلانية اذا اقتدى به عامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الوجه لا خلاف فيه فانه مهما انتفت القلوب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يتقدى به أفضل لا محالة وانما يختلف من ظهور الرياء ومهما احتملت شائبة الرياء لم يقدم اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهر وهو حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا وربما يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذمه ولم يقتد به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يحدث فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شوهد به التجمل بالعمل ويكون يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله الا الانبياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الفريق الذي يحسن مباحثة فضمنية فنظر الى جماعة من الفرق فرسمهم أقبل عليهم

وبين معصيتك ومن طاعتك ما يخلصني بها من سخطك ومن القبيح ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزنا يحول بيننا وبين معاصيك وسرورا برجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا وأسكن في نفوسنا من عظمتك وذل جوارحنا من هيبتك واجعل أحب الينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك أنت تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء الشكر بحسن العبادة اللهم اني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة

حتى تشتروا به فيهلكوا وهلاك والفوز بالسلامة في الدنيا ألم ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثلا لا بل عذابه دائم مؤلم شديد وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاتقياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحل ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بهما يد أخرس أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الاعلان فان مال قلبه الى أن يكون هو المقتدي به وهو المقبل للعمل فيما عنده الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في اظهار النظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة الاعين الخلق وحرمانهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس سبوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيأ والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار مالا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء (القسم الثاني) وهو أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة وبسط الغبطة والنفس لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا أنه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذهب ذلك عند من يرجو الانتفاع به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاتقياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا سمعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت أنه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على عسر أو يسر لانى لا أدري أيهما خير لي وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأسخطها غير هذه وكان قد قال لغلامه اتقنا بالسفرة التي نشتهيها حتى نذبح لك الفداء وقال أبو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا علي فاني ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاسوأ الشر بنية وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن يراآى بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل اظهار المراآى للعبادة اذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمراآى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي أنه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المراآى فيه خير كثير لغيره

وأسألك خير ما يبلغ به المحيي معاذا السعداء محياه من تحب بقاءه ووفاة الشهداء موافاته من تحب لقاءه يا خير الرازقين واحسن الثوابين واحكم الحاكمين يا أرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما اقدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استحفظت ولا تحفظ ما استحفظت فانه لا اله الا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير رجائك ومن كل شغل بغير جهاد ملتك اللهم اني

اذا لم يعرف براءته وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المؤمنين ممن يقتدى بهم والله تعالى أعلم

* (بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له) *

اعلم أن الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل علمك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي أن يطلع الناس عليه الا اتباني اهلي والبول والغائط الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد بما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع تائب من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه بالاطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه * (الاول) أن يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر أن من ستر الله عليه في الدنيا ستره عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان * (الثاني) أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه * (الثالث) أن يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه ويعوقه عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان * (الرابع) أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كأن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ورغبته الى ما يجوز وحذر من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوي عنده ذامهم ومادحهم لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان وربما تألم بالذم محمود اذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم بذم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس مذموما فاذا استمر ذا من ذلك ويتمرن بأن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يتركه الناس حمدا وذا فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذا الحمد بطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم

أستغفر لله من كل ذنب بيت الليل منه ثم عدت فيه اللهم اني استغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم اني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فقويت بها على معصيتك اللهم اني استغفرك من كل عمل عملته لك فخالط له ما ليس لك اللهم اني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه وأعوذ بك من الشر وفواتحه وخواتمه اللهم استعملنا فيما أمرتنا واحفظنا فيما نهيتنا واحفظ لنا ما أعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بذكرك ذكروا وبنعمتك شكروا يا غياث المستغيثين لا تكلني الى

واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى المال وأما كراهة الذم على المعصية فلا عذر فيه الا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر * (الخامس) أن يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوبيخ لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوبيخ من جهة الطبع * (السادس) أن يستر ذلك كى لا يقصد بشرا اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فلا أن يستر ذلك سد راضه * (السابع) تجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى أول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم الذى يتعفف ولا يبالى ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحى الا ان الحياء ممتزج بالرياء ويشبهه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعى كل مرء انه مستحى وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور أن يراءى معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا وتنفسه لا تسمح باقراضه الا انه يستحى من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحى ولا يقترض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك احوال * أحدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالى فينسب الى قلة الحياء وهذا افضل من لا حياء له فان المستحى اما ان يتعلل أو يقترض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال * احدها ان يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغى ان تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغى ان تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثانى ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى فى نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعى الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسمح النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث ان لا يكون له رغبة فى الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده فى قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولوجاءه من لا يستحى منه من الاجانب أو الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا فى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحى من المباحات ايضا حتى انه يرى مستحيلا فى المشى فيعود الى الهدوء أو ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس فى الصلاة وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى الرجال غير محمود وقد

نفسى طرفة عين فأهلك ولا
الى أحد من خلقك فأضيع
اكلنى الى كلاءة الوليد ولا
تحل عنى وتولنى بما تتولى به
عبادك الصالحين أنا عبدك
وابن عبدك ناصيتى بيدك ماض
فى حكمك عدل فى قضاؤك
نافذ فى مشيتك ان تعذبنى
فأهل ذلك أنا وان ترحم
فأهل ذلك أنت فافعل اللهم
يا مولاى يا أنت يا رب ما أنت
له أهل ولا تفعل اللهم يا رب
يا أنت ما أنا له أهل انك أهل
التقوى وأهل المغفرة فيا من
لا تضره الذنوب ولا تنقصه
المغفرة هب لى ما لا يضرك
وأعطنى ما لا ينقصك يا رب
افرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين توفنى مسلما وألحقنى
بالصالحين أنت ولينا فاغفر

تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الباب احسن واحسن منه ان تستحي من الله فلا تشنع الامر بالمعروف فالقرى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والاصدقاء فلا يقدم عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب * (الثامن) ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي البارزة في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ايضا ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد وهو ما قصدت بيانه فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح ويجبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الخطاب يحتمل وجهين فنقول سبب حب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على جهلهم وغرورك وصلاتك وعلى طاعتك بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحمدك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فقبل ذلك كقبول المال لان ملك الثواب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

* (بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات) *

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك خوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مشاق وجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالملاقاة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق وما فيه من اللذة * (القسم) الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيمنع على الابتداء لرؤية الناس وليس معصية بل من الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لانه يستحيي بالعمل لا بله وتستحيي بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وحسكذا رتله فليشتغل بالعمل الثانية أن يبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لانه وجد باعث دينا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والايماء عن القبول الثالثة أن يعتقد على الاخلاص ثم يبدأ الرياء وداعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل

لنا وارضنا وأنت خير الراحمين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر في اللهمة وايداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الملازمة وأسألك التمكين وحسن المعرفة وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضاء

لكن يسير الى عدم الاخلاص ويرقب نفسه اليوم واسبوعين يتم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فأي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد سعدت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سمع البوم ولا صفة فيها فزعق وقال سلموا من الزعاق ونفروا منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا فترك العمل من أجل هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مرائي فهو من الله به فهذا من مصائد الشيطان لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويثبوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مرائي عين الرياء فاولا سيء ظنهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مرائي أو قالوا انه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مرائي وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد ليطيلها ثم كيف يطمع في أن يخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى أن تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا مجاة منه الا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا تلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو نازغ الطبع فان ذلك لا يتقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الخبر من الله اذا دسيسة نفسك الى أن تستبدل بحمد سعد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مرائي فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء واباءه وخوفك منه ومما تأثم من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهة ومنه خوفا فليس باعث دين بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل للخلق فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي أن ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان أحدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل أن يتم العمل

ويجتهد

وحسن الثقة بك واسألك حسن المنقلب اليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واصلح امة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن امة محمد فرجا عاجلا يا ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم اللهم اغفر لوالدي ولمن ولدا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعماتنا واخوالنا وخالاتنا واقض حوائجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات يا ارحم الراحمين ويا خير الغافرين (ولما كان) الدماغ مخ العبادة اعلم ايدنا الله وايك ان في هذا

ويجتهد في الاخلاص ولا يشركه وأرباب الاعمال تتفاوتون أنفسهم بخلاف الافضل لشدة التفاوت فالاقتداء ينبغي أن يكون بالاقوياء وأما اطباق ابراهيم النخعي المتقدم فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واشتغاله بمدبر وجه الاشتغال بكلامه فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك وأما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وتعظيمهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع نخشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا يجوز خوف الرياء وأما قول التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك التعجب بالسكوت المباح محذور فهو معدول عن مباح المباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة بدين العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في ترحمهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان سكابة أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكر تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها (القسم الثاني) ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال * أما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فأعظم بعبادة يوافي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتحرجون منها ويحترزون منها وهم يرون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة فيغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في كلمته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من قسق ستين سنة بعضهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي متى قال ابن عباس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لراقع بن عمرو لا تأمرن على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمرن على اثنين وأنت قد وليت أمر

صلى الله عليه وسلم من كتبه وهذه الاحاديث استخرجها الشيخ ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات منفردا او في الجماعة اماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

* (الباب الخمسون فيذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الاوقات) * في ذلك ان يلازم موضعه الذي هو فيه مستقبل القبلة الا أن يريد انتقاله الى رواقه اعلم ان الدين لا يحتاج الى حديث او التفات الى شيء فان السكون في هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجده اهل المعاملة وارباب القلوب وقد طلب

أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه لعنة
الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس
كذلك بل الحق فيه أن الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن
الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوي الذي لا يميل الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا
تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتجردوا بها
وبخاطبة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها فعصوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يغركهم الا
الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو وضعت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة
ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على
الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذا قلدته الولاية وأن
تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيسدها من خيفة من العزل فهذا قد اختلف
العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر
في المستقبل وهو في الحال لم يسند نفسه الا قوية في صلابة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن
عليه الاحتراز لان النفس خداعة متدعة للحق واعدة بالخير ان ولي وعدت بالخير وهو كاذب يخاف
عليها أن تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من
العزل بعد الشروع فالعزل وإن وقع كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل
وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى
الموت الا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى
طلب الولاية فقد حملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا
لا نولي أمرنا من سألنا فاذا فقهت اختلاف حكم الشورى والضعف علمت أن نهي أبي بكر رافعا
عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * وأما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو
في معناهما فان كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء
عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام من استقضي فقد ذبح
بغير سكين فكيف يسكن نفسه مسكين الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه
وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي
على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم أنه لو حكم
عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وان تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا
يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي
ان يفرح بالعزل ان سبق ان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى
والشيطان فكيف يترقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار * وأما الوعظ
والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية فكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم
به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان المتقدمون من السلف يتدافعون
الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدث نفسك بباب من أبواب الدنيا ومن قال حدثا فقد

قال

فرسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول
سورة البقرة الى المفلحون
والآيتين والهكم اله واحد
وآية الكرسي والآيتين
بعدها وآمن الرسول والآية
قبلها وشهد الله وقل اللهم
مالك الملك وان ربكم الله
الذي خلق السموات
والارض الى المحسنين ولقد
جاءكم رسول الى الآخر وقل
ادعوا الله الآيتين وآخر
الكهف من ان الذين آمنوا
وذا النون اذ ذهب مغاضبا
الى خير الوارثين فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون
وسبحان ربك الى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد الى ذات
الصدور وآخر سورة الحشر

قال أوصوا الى ودفن بشركذا وكذا قطرة من المدينة وقال ينبغي من الحديث أن أتشهى ان أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكاؤهم ورقعاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام من خرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويتزين عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول اذا أنعم الله علي بهذه النعمة وتنعمت بهذه الحكمة فأقعد في البيت واشتغل بنفسي وأتقوى بها على العبادة فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا يأمن لا يأمنه الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويضاد الهوى فيه الى أن تتأخر نفسه وتتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت فهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم ستحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والامارة لو تعطلت لتعطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتخشى من نصح الناس فقال اخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يخطر الخلق الى طلبها وكذلك سبب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأقدموا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله ان يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأهل الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم الى أقرب مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام أنه انما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا وممرض عنها فلا تنهه عنه وتقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست أقدر على نفسي فتقول اشتغل وجاهد لا نعلم انك لو تركت ذلك لوثبك الناس كلهم اذ لا قائم بغيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه

من لو انزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله في تمامها بلا اله الا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا او من المصحف او يشتغل بأنواع الاذكار ولا يزال كذلك من غير نوم ونعاس فان النوم في هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقسم من صلاته قائما قبل القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات شرقا وقبلة ويتأخر الخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة في اقامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة

وبعده فجمع نداء القوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا
بكلام صحيح ظاهر سيرته فأما أحاديث الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ
المسجعة المقرونة بالاشعار والاسرار فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجيحة
والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء
الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر بيطن في نفسه سبب القبول ولا
يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر
من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون
وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فاسوء ما تصنعون تقربون بالقول
والامانى وتعملون بالهوى وما يخفى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم
لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه الخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم
من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا
شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت
ألسنتكم والعسل تحت أقدامكم بحق أقول أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا
أحب اليكم من صلاح الآخرة فأي ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون
الطريق للصابرين وتقيمون في محلة المتصبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا
مهلا ويلكم ماذا يخفى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وبجوفه وحش مظلم
كذلك لا يخفى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة مظلمة يا عبيد الدنيا
لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقتلعكم من أصولكم فتلقيكم على وجوهكم
ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ قططا يا كم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى
الملك الديان حفاة عراة فرادى في وقوفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى
الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة
على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم
في الناجلين عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد
في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا خير
لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره
وأجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك سر آفاته
اتطلق كما يقال لمن يغالبه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك فاعلم
أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك
العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية
الحديث ولا نقول له أيضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا مع وجود باعث الرياء أما اذا لم
يجد الا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء
وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان

ويجد ذلك بحسب ما الله
ونوصي به الطالبين وأثر
ذلك في حق من يجمع في
الاذكار بين القلب
واللسان اكمل وأظهر
وهذا الوقت اول النهار
والنهار مظنة الافلاك فاذا
أكملهم اوراده في هذه الرعاية فقد
أحكم بقيامه وتبقى أوقات
النهار جميعا على هذا البناء
فاذا قارب طلوع الشمس
يبتدئ بقراءة المسبعات
وهي من تعليم الخضر عليه
السلام ابراهيم التيمي
وذكر انه تعلمها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وينال
بالمداومة عليها جميع
المفرق في الاذكار والدعوات
وهي عشرة أشياء سبعة سبعة
الفاتحة والمعوذتان وقل

آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تتميمها مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات واكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومنصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم * ومهما نوى بالولاية وفي جمع المال وأخذه التفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس انشراح النفس والآفات فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لا يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها تقربا الى الله تعالى وقال أبو الدرداء لا يسرني أني اقف على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما اني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجالس في دوام ذكر الله أفضل والآخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام يا بني اسرائيل بيعوا الدنيا بالآخرة تربحوا كلها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة ففيه وسواس الآفات والاحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينتظر وليتهم دوافع نفسه قلبه ويزن ما فيها من الخير عما فيها من الشر وليمل مايل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجيده أشفق على قلبه فهو في الاكثر أشر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يعدم ذلك أيضا في بعض الاحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب ليتفطن فيه لما يشوبه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع عما ذكرناه غرور للعاقل فيسأل المال ولا يتفقه شفقة من الآفة وهو عين الجهل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات نفسها عن الصدقات أفضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب أن الافضل ترك الكسب والانفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من امساكه بكل حال فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مرء يدري الناس فاعلم أن لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد تعظيما فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى أن الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق

هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والصلاة على النبي وآله ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ويقول سيما اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم (روي) ان ابراهيم التيمي لما قرأ هذه رمضان تعلها من الخضر رأى في المنام انه دخل الجنة ورأى الملائكة والانبياء وآكل من طعام الجنة وقيل انه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك الكوثه

يمين واعدة والاخرى أن لايحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن أبى مريم قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فصلى ركعتين فى المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا من ناحيتى مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن قريب من مجلس الحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت فى نفسى لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد فى كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملنا من أمر الناس ما غلبونا على هذه المجالس لعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أنى رجل شيخ كبير وانى أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف قسطاطا وان لى ثلثمائة درهم من العطاء وان لى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فى القساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه قسطاطا وبارا جلافا فافترى الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشنعه فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فمشى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فارغا يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا فى الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيمشى بنا الى شرار من نار انى أتيت هذا الرجل فقال اقصص علينا من اساءتك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا وكذا واذا أغزى أخاه أغزاه كذا الا بالله نحرض علينا الناس أما انا على ذلك لانهم يصيحتك فأقصص عليك من اساءتك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شئ والا فارجعوا فما ينبغى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوادون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين

اكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبحات اقبل على التسبيح والاستغفار والصلاة الى أن تطلع الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأن اقعد فى مجالس الذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من عتق اربع رقاب ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلى الركعتين وجهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد فى باطنه أثرا ونورا

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يتبع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكنه قد يسوقه الى العوائق وعنه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تسويه النفس فربما تكون مشاهدة الغير سببا لزوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تشتت رغبته عن الخير وحملت الاسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه يثار اليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتحرك داعية الدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيفتتح زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يخاف البيات في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح به في بعض الاوقات قليلا فيكون ذلك بسبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق والشواغل ويسهر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا أعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق وموانع تغلب باعثة الدين فاذا استسلم منها قوي الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يثبطه عن العمل ويقول لا تتعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل قائلا مخلص واست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق واعتمادا على زوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف أن الحامل هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لان يسمى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان اتباعه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسمح بالصلاة وهم لا يرونه فان سمحت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لرغبته عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله

وروى أنس اذا كان صادقا والذي يجد من البركة ثواب مجمل له على عمل هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الاولى آية الكرسي وفي الاخرى آمن الرسول والله نور السموات والارض الى آخر الآية وتكون نيته فيها الشكر لله على نعمه في يومه وليلته * ثم يصلي ركعتين اخريين يقرأ المعوذتين فيهما في كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر عذابك وشر عبادك

تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب المحمدة فيهما علم أن الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل عما يجده من حب المحمدة بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فتبكي تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخفى على نفسه قساوة القلب حين يمكون ولا تدمع عينه فتبكي تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخف على نفسه القساوة فتبكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من أن يقال انه قاسي القلب فينبغي أن يترك البكاء قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تستكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها واستلم بكاءه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه سخط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يعلمه ويزيد في رفع الصوت فذلك الزيادة رياء وهو محظور لانه في حكم الابتداء بمجرد الرياء فتدبر هذه الخفايا من الخوف مالا يملك الصبر معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيتبعه فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الصفة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت نفسه الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه أن يشاهد حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الرعدة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويضرب الخطا ليظهر أنه ضعف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا انتفاءه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وأن الله تعالى مطلع على ضميره وهو أشد مقتا كما روي عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم بخلاف الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر نعوذ بالله من خشوع المنافقين وانما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستفزاز والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة متوادة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فان كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد

واعوذ بأسمائك وكلماتك التامة من شر ما يجري به النهار ان ربي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الاولين اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو اصبحت مرتهنا بعملي واصبح امري بيد غيري فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسيء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم اني اعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم واعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ثم يصلي

يخفى عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على بصيرة من عبادتك أهي مقبولة أم لا
فلو وكلت على الاخلاص فيها واستدان يتجدد لك الخاطر الرديء فتعود الى سقمك بعد الشروع
بالاخلاص فان ذلك عما يكثر جدا فاذا اختطر لك فتذكر في الحال الله عليك ومقته لك وتذكر
ما قاله أحد الثلاثة الذين مابوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت أن العبد تخفى عنه
علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجري بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس
أني أخشاك وأنت على ماقلت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني أعوذ بك أن
تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخفي سريرتي مخافة على رياء الناس من نفسي
ومضيعة لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأقبح البلية أبرزها جلي تقربا الى
الناس بحسناتي وفراراهم اليك بسيئاتي فيصل بي مقتك ويجب على غضبك أعذني من ذلك
يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا
علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تعود وبالهم في ذم جميل آفات
الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها في الحين للرياء سبعين بابا وقد عرفت أن بعضه أخفى من
بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من
دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل الجهد ودقة كيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن مخادعها نسأل الله تعالى العافية بمنه
وكرمه واحسانه

(بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته اقتداء بعلم الله في جميع طاعاته ولا يتشبه بعلم الله
الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن
أحواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر
التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان
النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتتوق لمثل هذا العمل العظيم لتعرف
العظيم أو البكاء العظيم لتعرف الخلق منك لتحمدوا الله فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف
ترضى باخفائه فيجهل الناس حالك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك في مثل هذا
الامر ينبغي أن يثبت قلبه ويتذكر في مقابلة تعظيم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه
أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن الخلق لو خسروا
بسببه الجنة وسقوط عند الله واحباطه للعمل العظيم فيقول وكم أتبع مثل هذا العمل بصمات
الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عند
فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء وأنا المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة
في الاخلاص لان الخلط الى ذلك أسرع من المتقي لان المتقي ان نسدت نوافله بقيت فرائضه
كاملة تامة والمخلط لا خلاص فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار
مأخوذا بالفرائض وهلك به فالخلط الى الاخلاص أسرع * وقد روى تميم الداري عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من

رسم كيفية أخرين بلية
الاستخارة لكل عمل يعمله
في يومه وليلته وهذه
الاستخارة تكون بعد
الدعاء على الاطلاق والا
فالاستخارة التي وردت بها
الاخبار هي التي يصليها أمام
كل أمر يريده ويقرأ في
هاتين الركعتين قل يا أيها
الكافرون وقل هو الله أحد
ويقرأ دعاء الاستخارة كما
سبق ذكره في غير هذا الباب
ويقول فيه كل قول وعمل
اريد في هذا اليوم اجعل
فيه الخير لي ثم يصلي ركعتين
أخريين يقرأ في الاولى
سورة الواقعة وفي الاخرى
سورة الاعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد واجعل حبك احب

تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فألقي في النار فذلك المخلاة يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب مستكثرة فليتعاهد في جبر الفرائض وتكثير السيئات ولا يكن ذلك الا بتخليص النوافل وأما المتقي فهو شديد في زيادة الدرجات فان ضبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي أن يلازم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه ليصح نوافله ثم يلازم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله شاكا انه رد عباده اخلص من الرياء الخفي مما لم يقف عليه فيكون شاكا كما في قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العمل بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لانه استيقن أنه دخل بالاخلاص وشك في أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يتبين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي أن يلازم نفسه برجاء الثواب على دحول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكره ومكافأته وحمده وثنائه من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فهو ما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو موافقة في المشي في الطريق ليستكثر باتباعه أو تردد منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له عنه نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ نفسه فقبل خدمته فنرجو أن لا يحبط ذلك أجره اذا كان لا ينتظر ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فأرادوا حمله لانقاذه فخلف عليهم أن لا يتقدموا من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط اجره وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي فقال علمت ذلك ولكن أخاف أن يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان بدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء فقال رحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الي فأحب أن تأخذه فتستعين به على عيالك قال فقبل سفيان ذلك منه فلما خرج قال لولده يا مبارك اطلبه فرده علي فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت اخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت اليه فقلت ويلك أي شيء قابلك هذا انما هي عمارة عند أنه ليس لك عيال أما ترحم اخوتك أما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال الله يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسئل عنها أنا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده

الاشياء الى وحشيتك
اخوف الاشياء عندي
واقطع عن حاجات الدنيا
بالشوق الى لقائك واذا
أقررت اعين اهل الدنيا
بدنياهم فأقر عيني بعبادتك
واجعل طاعتك في كل شيء
مني يا أرحم الراحمين ثم يصلي
بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما
شيأ من حزبه من القرآن ثم
بعد ذلك ان كان متفرغا
ليس لشغل في الدنيا يشتغل
في انواع العمل في الصلاة
والتلاوة والذكر الى وقت
الضحى وان كان عن له في
الدنيا شغل اما لنفسه او
لعياله فليض لحاجته
ومهامه بعد أن يصلي
ركعتين نظر وجهه من المنزل

لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته بطاعته غير الله خسران في المال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في المال عملا لقصد على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد الله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في المآل ويكشف الله عن رياءه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم عمله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به واغاسكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم له وهو لا يدري أنه المخلف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما عملك الى هذا قلت أحببت ان اعلم قال في كل ليلة حصة قلت فما الذي يجيء من قبلك حتى تكتفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي بجذائك قلت نعم قال انهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما اتذاقلت نفسي عن العبادة ذكرتهم اعز تلك الساعة فاقول احمل جهد سنة لعز ساعة فاحقر يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال احسبك اوازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي دركوة فيها عشرون حصة فقال لي ادخل الدير فقدر واما ادليت الي قال فدخلت الدير اجتمع علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فانا نطمع به ونحن أحق به ثم قالوا اساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعتك منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم بمشرين ألف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي أقبل على ربك ودع الاسباب والجثة والتمرد وأن اسكن هذا النفس عز المخلصة في القلوب يكون باعثا في اخلاقه وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون انكاره عند والبهائم عنايته واحدة فاوتغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فان لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا وليدا خل سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له أن لا يحاسب سببه الا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسط اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتحيل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها فقد الانقباض عوثق من الله عليها وهو أن لو علم أن انقباضهم عنه اغا حصل بأن يعلموا كثيرا أو يفصلك كثيرا أو يأكل حسيسا يقتسم نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فينبغي أن يكون مرادها

وهكذا ينبغي ان يفعل أبدا لا يخرج من البيت الى بيعته الا بعد أن يصلي ركعتين ليتقيه الله سوء الخروج ولا يدخل البيت الا بعد ان يصلي ركعتين ليتقيه الله سوء المدخل يعلم أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وان لم يكن في البيت أحد يسلم ايضا ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وان كان متقرئا فأحسن الشغل له في هذا الوقت الى صلاة الضحى الصلاة فان حسكان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر والا يصلي ركعات بطوالها ويقرأ فيها القرآن

المنزلة عندهم ولا يخرج من ذلك الا من تفرد في قلبه انه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا لخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء أكثر فهو مرائ أو طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغني أكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي أنه لم ير الاغنياء في مجالس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه نعم للشرع زيادة اكرام للغني اذا كان أقرب اليك او كان يشبهك وبينه وبينك حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في الاكرام وتوقير البتة فان الفقير أكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياءه ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغني أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي أو طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له مالي اذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشعشع لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عند ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا أن تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في أيام معدودة وتكون في الدنيا كذلك مرماوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو اسرف وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وعارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لاتساعه فهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الاوجاع والآلام عليه وأداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به وهما اشتد عليه شرب الدواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه وبقيه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مها جرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد الملك الاكبر الآخرة احتقى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار الخمول والذبول والوحشة والحزن والخرف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره وبما أعده له من النعيم المقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لرضائه عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته نيل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وسبب اليه

فقد كان من الصالحين من يختم القرآن في الصلاة من اليوم والليلة والا فليصل اعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة وقل هو الله احد وبالآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وامثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها او ما شاء وقدر او يكررها مهما شاء وقد ورد للطالب ان يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورد بين اليوم والليلة مائة

الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل الطالب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الي لقائي وانا الى لقائهم أشد شوقا فاظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما شوا الا ئق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

(كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الخالق البارئ المصور * العزيز الجبار المتكبر * العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع * الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع * وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع * فهو القهار الذي لا يد فعه عن مراده دافع * الغني الذي ليس له شريك ولا منازع * القادر الذي بهرت أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه * وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه * وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه * وارتفع عن حد قدرتهم اسماؤه واستقصاؤه * فاعترف بالعجز من وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه * وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه * وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه * فالعظمة ازاره والكبرياء ردائه * ومن نازعه فيهما قصمه بدا الموت فأعجزه دواؤه * جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذي انزل عليه النور المنتشر ضياؤه * حتى أشرقت بنوره الحنكة في العالم وارجاؤه * وعلى آله واصحابه الذين هم أحباء الله واولياؤه * وخيرته واصفياؤه * وسلم تسليما كثيرا * (اما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وبيان ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب * (الشطر الاول) من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة

ركعة الى مائتين الى خمسمائة الى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يطول ولا يتم بخدمة الله (قال سهل ابن عبد الله التستري) لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس ونصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما ينتصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى فهذا الوقت أفضل الاوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وهو أن يشتد الرمضاء في ظل امه

من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا ابالي وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فوقف ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فاذا مائتي ألف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع فهل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما عرفتم وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي اعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين ومافيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منهن ولو أن السموات والارضين ومافيهن كن حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس

لهوانهم

عند حمر الشمس وقيل الضحى اذا ضحيت الاقدام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل التسليم في كل ركعتين ويسبح بعد كل ركعتين ويستغفر ثم بعد ذلك ان كان هذا الوقت يقضي عادته اليه من زيارة أو عيادة يمضي فيه والا فليديم العمل لله من غير قيد وراعاظاهرا أو باطنا وقلبا وقالبا والا فباطنا وترتيب ذلك أنه يصلي ما دام منشرحا ونفسه مشتهية فان سئم ينزل من الصلاة الى التلاوة فان تجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فان سئم التلاوة

لهو انهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبوب حق على الله أن يسكنه كل جبار فيا بلال اياك ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بري من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول * (الآثار) * قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف ابن قيس يجالس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يتبضهما وقعد الاحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل اظفر يديه كل يوم مرة او مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في ولد أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل القائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان الشيطان مصالي ونفوخا وان من مصالي الشيطان ونفوخه البطر بأنعم الله والفخر بأعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

* (بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان (الآثار) عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المسجد وعليه جباب خز قد نفد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفه أي حمق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأجور بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان مشي احدكم لعلى حد طبيعته يتطلع تطلع الجنون في كل عضو من اعضائه الله منه ولك الشيطان به لائنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتمد الى بيته فقال لا تعتذرن

أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أشف من القراءة فان سمع الذكر يدع ذكر اللسان ويلازم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله اليه فادام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وافضل فان عجز عن ذلك ايضا وقلبه الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فليهتم في الدوام السلامة والافكثرة حديث النفس تقسي القلب كثرة الكلام لانه كلام من غير لسان فقصر عن ذلك فان سهل بن عبد الله قال اسوأ الناس

وقد قال ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه برذعة حسنة فدعاه فقال له ابن آدم مجيب بشبابه مجب لشمائله كأنك القبر قد واراك بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمستذري ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمها وأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان الشيطان ليحوانا كرهاحرتين او ثلاثا * ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى اى يتبختر واذا قد ذهب تكبر ناذم الكبر والاختيال فاذكر فضيلة التواضع والله تعالى اعلم

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وهو ملكان وعليه سكينة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه بعدها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن أبي سلمة الماجشون عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه وقال أما اني لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثله وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما اختار وكان صفي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني أن

سعد بيث النفس والطالب يريد أن يتقرب باطنه كما يتقرب ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع شغل آخر في باطنه فيفقد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يفقد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب ايضا أن يصلي من صلاة الضحى الى الاستواء ستة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون يصليها ستة ستة أو بتسع في كل ركعتين جزأ من القرآن أو أقل اذا كثروا النوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من اعداد أخر من الركعات حسن

النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطين الا لمن أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وير ى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم فجاء رجل أسود يدعى جعدى قد تشعر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي متواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلتهم وصغارهم (الآثار) قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال اتئمش رفعك الله واذا تـــ برو عدى طرفه وقصده الله في الارض وقال احفظ أخاك أن الله فوقه وفي نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى لا يستقر عندهم من الخنزير وقال ابو جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى عمر فنعتها رجل نائم فدا استقبل بضلع له وقد جاوزت الشمس المطلع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلة النار يوم القيامة قلت لا قال ان الله يظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتفضلون عن أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم انه ليس للشيء الذي عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلم انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطي مالا أو جمالا أو شيئا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا أنعمت على عبد بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نعمها في الدنيا ورفع له طبقا من النار يعذبه اياها أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جسيما في خلقته وموفورا في حسبه وبسطة في ذات يده فعفف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله قال هرون بدواة وقرطاس واكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تمثل وجوه الانبياء والاشراف قبل وجهه

(قال صفوان) كان يقوم اذا فسر غرا أن يشاهد طالب السلامة وهذا القوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس اذا استراحت عادت جديدة فيجعل الانتباه من نوم النهار تجديدا في الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان في أول النهار فيكون للصادق في النهار نهاران يفتتحهما بخدمة الله والدؤب في العمل وينبغي أن يكون انتباهه من نوم النهار مستقبل القبلة ذاكرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى واقم

الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره أن يرى الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يرى الفقراء في الثياب الرفيعة وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي ففرعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال أبو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا اني كنت معهم الى أخشى انهم حرموا لسببي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بين تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو أن منادا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقني الى الباب الا رجل بفضل قوة أو سعي فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك ما كان وقال الفضيل من أحب الرياسة لم يفلح أبدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت وكان هذا أبيه وعاده فقال انا الفتطة التي قمت اليها فقال له الشبلي اباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن ابي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن علمني فقال لي ما أحسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء وعبثهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل وبمعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى ابن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو علي الجوزجاني النفس مجبولة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها

القناعة

الصلاة طرفي النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل فسبح أراد العشاء الآخرة واطراف النهار اراد الظهر والمغرب لان الظهر صلاة في آخر الطرف الاول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار الظهر آخر الطرف الاول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاول وقد عاد يوم النهار جديدا كما كان يوم الليل ويصلي في أول الزوال

قبل السنة والفرض اربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه صلاة الزوال قبل السنة والفرض اربع ركعات بتسليمة واحدة ثم الظهر في أول اوقاته ويحتاج ان يراعي لهذه الصلاة اول الوقت بحيث يتطن الوقت قبل المؤذنين كما يذهب وقت الكراهية بالاستواء فيشرع في صلاة الزوال ويسمع الاذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستمر لصلاة الظهر فان وجد في

القناعة مع عون الله عز وجل * وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد أيضا التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يتنعها أو يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد سنين فوجدت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه وأتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة وصفت له الصفة فقال له أنا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذته رعدة كأنه واقف أمام مخض وقال هذا من أجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلوا لي أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة وتناظر قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فأنا كريم وان خف فأنا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق

* (بيان حقيقة الكبر وآفته) *

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاستراح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستصغر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لان هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وعزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر اختبئ ان تنفخ حتى تبلغ الثريا الذي استأذنه ان يقوم بعد صلاة

الصبح فكان الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وانفصاما من نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه أن يقوم مائلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك تأنف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأ بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان صلح أو ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النهي وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستثقلهم وانهرهم وامقتهم عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كلهم بنظره الى الحمير استحمقا لهم واستهتارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هالكة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح الطيب وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذمية متلازمة والبعض منها داع الى البعض لاستحالة حصر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وقد وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر أن اشد اهل النار عذابا اشدهم عتاوا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير أحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا

فيها

باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة تنقت يستغفر الله ويتضرع اليه ولا يشرع في صلاة الظهر الا بعد ان يجد الباطن عائدا الى حاله من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة لا يقدرون ان يجدوا وصف الانس في الصلاة ويتكدرون بيسير من الاستعمال في المباح ويصير على بواطنهم عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والجالسة مع الاهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين فلا يدخل

فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظل واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرد الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى اورسله اوسائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو الذي هو أشد انواع الكبر ولا مشارك له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه التكبر، قال أنا ربكم الاعلى اذا استنكف ان يكون عبد الله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعززا النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل مائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبره هو على الله وعلى رسله بين ما قال وهب قال لموسى عليه السلام آمن وللك ملكان قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد ابن المغيرة وابو مسعود الثقفي قالوا ومن هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استخصهم الهم واستبعاد التقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجالس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله ما عليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تجبرهم حين دخلوا اليهم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا اما الا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل

الصلاة الا بعد حل العقد واذهاب الكبر وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع الى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكبر بمجالسة الاهل والولد ان أن يكون في مجالسته غيرا كن الهم كل الركون بل يستغرق القلب في ذلك فتطارات الى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة الا ان يكون قوى الحال لا يحجبه الخلق عن الخلق فلا يعتقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة

يمنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن التكبر وا
امر فقبل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال
الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول
امر الله والتواضع لرسوله والقسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر
غيره فتأبى نفسه عن الاقتداء بهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف
من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين * أحدهما ان
الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المماوك الضعيف العاجز
الذي لا يقدر على شئ فأين يليق بحاله الكبر فهو ما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة
لا تليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره
فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدده للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه
وما اقبح ما تعاطاه * والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن
نازعني فيهما قصمته اي انه خاص بحق ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي
واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا بمن تكبر على عباده فقد جعل عليه اذ الذي يسترذل
خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما يحق الملك ان يستأثر به عنهم فهو
منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد
بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع
الله في حقه ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة
الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك * الوجه الثاني الذي
تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد
من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر بحسده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون
أنهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين وربما اتضح الحق على
لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر بحسده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس
وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فجعل من يناظر للغلبة والافحام لا ليتتبع
الحق اذا ظهر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ
كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها
فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين
يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي حالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى
بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال
لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك
اي امتلأت يده فاذا تكبر على الخلق عظيم لانه يدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضربه
ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه

لا يجد بها ويجد باطنه وقلبه لانه
حيثما استروحت نفس هذا
الى الجالسة كان استراح
نفسه منه وابرح قلبه لانه
يجالس ويخالط وعين ظاهره
ناظرة الى الخلق وعين قلبه
مطالعة للحضرة الالهية فلا
ينعقد على باطنه عقدة وصلاة
الزوال التي ذكرناها تحصل
المقدورة في الباطن لصلاة
الظهر فيقرأ في صلاة الزوال
بعقد اربعة الجمعة في النهار
الطويل وفي القصير ما تيسر
من ذلك قال الله تعالى
وعشيا وحين تظهرون وهذا

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فهذا دليل على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد خفية وبذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس أي ازدراءهم واستحقارهم وهم عباد الله أما الأولى فخير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق وردته وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر أخاه وازدراه وتكبر عليه بالاستعظام أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من أن يتخشع لله تعالى أو يتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله

(بيان علاج التكبر)

اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الاتباع فهذه سبعة اسباب * (الاول) العلم وأسرع التكبر الى العلماء وبذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس ويستطير الهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدؤوا بالسلام فان بدا واحد منهم بالسلام أو رد عليه بشرا وقام له اذا اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويرى عليه بلزمه شكرها واعتقد أنها اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرفرف له ويخضع ويشكر له على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من شاء منهم ويستحقره في سواء فان قصر فيه استكبره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق سوق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العباد وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة التكبر بالعلم وهذا العلم يدعو قارئه تواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال * فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامتلاء فاعلم ان ذلك لسببين * احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر امره في لقاء الله والجنة والنار وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق الجادلات فاذا تجرد الانسان لها ضاق امتلاؤه بها اكبرا وتنافرا وهذه بان تسمى صناعات

هو الاظهار فان انتظر به السنة سنة وراء اتباعه الفرض وقرأ الدعاء الذي بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر فمن وكذلك ما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه الى صلاة الفجر ثم اذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا

أولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة الربوبية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا وهذا السبب الثانى ان يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الباطن ردىء النفس سيىء الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادته فبقى خبيث الجوهر فاذا تعاطى فى العلم اى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير أثره وقد ضرب وهب ابن منبه لذلك مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر همومها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا الان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا تواضع بعلمه فازداد علما بان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فوصف أولياءه بالذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال اولئك منكم أيها الامة واولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكرنوا جبابرة العلماء فلا يقى علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فأبى أن يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال انى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال التمسن اماما غيرى أو لتصلن وحدانا فانى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم افضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الامة فلما أعز على بسيط الارض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم انه لا يحرك عز العلم وجلاله فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى أن يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين اسرعنا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته ومحبته وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم بل يعز فى زماننا عالم يحتقر فى نفسه الا شذ والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم واما عزيز ولولا لاشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من موءاخاة الناس ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى أن يديمنا على ما هو احلى ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله * (الثانى) * العمل والعبادة وليس يخلو من رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا أما فى الدنيا فانهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس فى الحفظ الى جميع ما ذكرنا فى حق العلماء

ولو قدم على الآيات كلها
التى ذكرناها بعد صلاة الصبح
وعلى الادعية أيضا كان ذلك
خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له
همة ناهضة وعزيمة صادقة
لا يستكثر شيئا من ذلك تعالى ثم
يجمع بين الظهر والعصر كما
يجمع بين العشاءين على
الترتيب الذى ذكرناه من
الصلاة والتلاوة والذكر

وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهلاك بتحقيقه وما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على أنه مزدر بخلق الله متعظم عليهم بالله آمن من مكره فيما نقص من عبادته وكيف لا يخافه ويكفيه مرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحتقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحمد الله ويعلم أنه لعباده ويستعفه ويرجوله مالا يرجو لنفسه فان الخلق يدركون النجاة بتعظيمهم لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتقرب الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فيما يجدهم اذا أحبوه ولا سبيل أن يتقاصر الله الى درجته في العمل وما يجد رمن اذا ازدراهم بعينه أن يتقاصر الله الى سد الاهمال كما روى أن رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس الناس بعبادة فقاله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني بمجلسي اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فانقبض منه وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مر هما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فجعلت القدامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبد قلوبهم فاما الاعمال الصالحة اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه وجوارحه وأطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع رجلك فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله اليه أبي تألى علي بل أنت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وعن ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المدارز انا نرى ان صاحب المدارز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذا لانه أيضا قليل ما يتمسك بها كثير من العباد وهو انه لو استغفر به مستغفر أو آذاه مؤذ استحيا أن يغفر الله له ولا يشك في انه مأجور عند الله ولو آذى مسلما آثم لم يستحي أن يتكبر ذلك الا من تكبر ذلك المظلم قد رفع نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينجر الحق والغيبة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول متى يجري علي واذا اصيب بمكيبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله ما أراد به الا الاشفاء عليه والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله ويعرف جماعة من الانبياء صلوات الله عليهم أنهم من قتلهم ومنهم من شردهم ثم ان الله مهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل وسع عليهم فلم يجد بمكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له حيث لا ينتقم لانبيائه وهو لا في عقله ان ينجاب وكبره وهو ناشئ عن جهله بنفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقول لنا عالمنا حسين كان يصيب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسبب ولو مات عالمنا فجأة قال الآخر بعد أن سمع قد من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم فلولا كوني فيهم قلت ان الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله فلا هو ولا رياط وهو يجل على نفسه حتى درجة لو سمع به وذلك الرجل ما يضمر من الرياء والكبر

والرقيبة ومن دام سهره
بنام نومة خفيفة في النهار
الطويل بين الظهر والعصر
ولو أحيا ما بين الظهر والعصر
بيت كتفي بقرأة ربع سدس
القرآن أو بقدر أذكار في
تربع ركعات أو عشر ركعات
ولو أراد أن يحيي هذا الوقت
جاز فقد كان في النهار الطويل
امكان ذلك أو بعشرين ركعة
يقرأ فيها قل هو الله احد

والباطن والغل ما هو فهو مكيدة الشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد احبط عمله بجهله فان اجهل الجهل الجهل بالمعاصي واعظمها ثم يعد المبتدع عن الله وحكمه لنفسه بأنه شيء من غير جهل شخص واحد من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني اري في وجهه سفة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله هل حدثتك نفسك أن ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهيئته آفة لا يتفطن لها أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويشمل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الدرجة الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يتصرف في مقعده وادنى ذلك في العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا وذلك قال الحارث بن يزيد الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فأما الذي تلقاه بشرو يلقاك بعبوس عين عليك بعمله فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم اخف حالا من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشعر لغاية الغير في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا نام الليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام صحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك وولده واخذ ماله او مرض او ما يجري مجرا ويدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليظهر لهم قوته وتجلده وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متقن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن انبأك وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل

الصعر في كل ركعة خمس مرات ويستحب قبل الزوال اذا كان صائما وان لم يكن صائما فاي وقت تغير فيه الفم وفي الحديث الصوم مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الى الوضوء يستحب قبل ان المضمضة والاستنشاق بالسواك والصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو مذهب

وتحسين العبارة وتصحيح الالفاظ وحفظ العلوم الشرعية ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث الفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان اقرانه ويفرح بهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خصلة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي بقرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا مالم ترلنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل

* (الثالث) * التكبر بالنسب والنسب فالذي لا نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وغيرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا أدمي من أنت ومن ابوك فأنا فلان بن فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك معرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطلق ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن أبي ذر أنه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم الله رأى نفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدمه من تكبر عليه اذ عرف أن العز لا يتمه الا الذل ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنوفها النتن * (الرابع) التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا أي انها صفيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضا صفيرة لما ذكرتها بالصغر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت * (الخامس) الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر

وان أراد ان يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية او بعض آية يقرأ في الركعة الاولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا انا سمعنا منادیا ینادی للایمان الآية (ثم) ربنا آمنا بما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاغفر لنا (ثم) فاطر السموات والارض أنت

الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكدود مسكين وأنا الوارث لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت ومالك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى والية الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه فقال ان ترني أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم * (السادس) التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف * (السابع) التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى ان الخنثى المتكبر على افراده بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يتخير بكثرة الشر وبكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وان كان محظورا فيه فهذه جوامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشئ منه على من لا يدلي به أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه هو الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

* (بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له) *

اعلم ان الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر كما سيأتي معناه فانه اذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشئ من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو اعتقاده والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والاعتقاد والحسد والرياء * أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال * وأما الاعتقاد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لعقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وان علم أنه لا يستحق ذلك

وعلى

ولي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا اله الا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يسلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على الآية من سورة الاحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين الآية

وعلى أن لا يستحل وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به * وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي التغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا الى بخله بالحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيده من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضله عليه ولكن الحسد يحمله على أن يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه * وأما الرياء فهو أيضا يدعو الى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة شيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

(بيان أخلاق المتواضعين وجوامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يجب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها أن لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا اذا مشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميزهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فنهاهم وقال ما يفعل هذا من قلب العبيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما للتعليم غيره أولينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبداه بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو غاية التواضع روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن أدهم أن تعال فتحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا عبد الله بعثت اليه بمثل هذا فقال أردت أن انظر

(ثم) ربنا عليك توكلنا (ثم) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا مهما يصل فليقرأ بهذه الآيات وليحافظ على هذه الآيات في الصلاة مواظبتها للقلب واللسان يوشك أن يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد آية من هذه في ركعتين من الظهر أو العصر كان في جميع الوقت مناجيا المولى وداعيا وتائبا ومصليا والدؤب في العمل واستصحاب اجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح الا لمن تزكت نفسه بكمال التقوى

كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع
خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فنفس نفسا فذري فخذه فخجلت نفسي عنه
فأخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تعاونون بي ما تتعاونون بالجبابرة واني لا أعرف رجلا منكم
شرا مني وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمجاورين
ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تنشر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فجلس الى أحد الاقام من جنبه فأجلسه النبي صلى
الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما
ولا ابرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع
خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف
اقوم الى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال
هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت بنفسك يا أمير
المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر ما انتقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله
متواضعا ومنها ان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل
من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال
ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان
فقال أوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر رضي
الله عنه معلقا صاعا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رجل وقال
بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في صفحته فقلت له أحمل عنك يا امير
المؤمنين فقال لا ابو العيال احق أن يحمل * ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان فقال هرون سألت منا عن البذاذة فقال
هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق
وبيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي كرم الله وجهه
في ازار رقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة
الثياب خيلاء في القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ما دامت عين ويروى
ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف دينار فيقول
ما أجود هذه لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده
لولا لينه فقيل له أين لباسك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال ان لي نفسا ذواقة ذواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي أرفع
الطباق تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم
جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله
قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان

والاستقصاء في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى وبقي بقية لا يدوم روحه في العمل بل ينشط وقتا ويسأم وقتا وتناوب النشاط والكسل فيه ابقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا واذا صح في الزهد والتقوى فان ترك العمل بالجملة ورع لا ينتزع عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستحلاء الدؤب في العمل فعليه بجسم مائتة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن تزول متابعته والنبي عليه السلام

أفضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله أن يتخوله عبقرى الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من الكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امرؤ حبب الى من الجمال ما ترى فعرف أن ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر أن يطلب أجمل الثياب اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال فى كل شئ ولو فى شراك نعله وسوطه وعصاه فى سائر أدواره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجبه ويجوز أن لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية * ومنها أن يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذى واخذ ماله فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحسد وبالجملة فجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به وضده يبغى أن يتعلم وقد قال ابن أبى سلمة قلت لابى سعيد الخدرى ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يخصف النعل ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشترى الشئ من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يحمله فى طرف ثوبه ويسلم على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حرا أو عبدا من أهل الصلاة ليست له سلة لمدخله ولا لمخرجه لا يستحى من أن يجيب اذا دعى وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى اليه وان لم يجد الا حشف البقل لا يرفع غداءه ولا عشاءه ولا غداهين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا فى غير عنف متواضعا فى غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما لكل ذى قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يشم

ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعته فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء سجية الخلق ومكارمهم او النظر اليهم وقد يتبع الهوى بمجاوزة الاعتدال فى النوم والاكل وغير ذلك من اقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل الا فى الدنيا * ثم يصلى العبد قبل العصر اربع ركعات فان امكنه بتجديد الوضوء اكمل فى رتبة كان

قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو هريرة فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قص إذا أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك من صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وغمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل ولربما جاءت رحمة له عمداً وتى من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصير إياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فانتقل من أحوال صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشتبه حاله فلقد كان أعظم خلق الله نصيبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر وبجميع المسلمين والنصيحة لهم فبذلك عرفوا رضاة الله بصبر من غير تجبر وتواضع في غير مذلة وبهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا وأربعون رجلا فأولئك على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وأنقاهم سريرة وأصحاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في غفلة وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا النخيل المجراة فإذا جرى منهم تصدر تائبا إلى الله واشتاقا إليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسطها الآن تكون تبغض الدنيا فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تصير ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد وأكنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي الحسنى يا رب العالمين فإنه لا يصلح لملك الأمن ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

اكمل واتم ولو اغتسل كان افضل فكل ذلك له اثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ في الاربع قبل العصر اذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم ويصلي العصر ويجعل من قراءته في بعض الايام والسماء ذات البروج ومهما أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الماحل ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك فاذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقي وقت الاذكار والتلاوة وافضل من ذلك مجالسة من يزهده في الدنيا ويستدل كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين

وجميع وسلم

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شئ منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد القول بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان * أحدهما استئصال أصله من منبته وقلع شجرته من مغرسها في القلب * الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره *(المقام الاول)* في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نحصر من ذلك ما ينتفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واى شئ اشنع واقل من الخمول والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من ارذل الاشياء ثم من اقذرها فقد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بدايته في وجوده حيث كان شيأ مذكورا فما صار شيأ مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه أحياه بعد أن كان جمادا ميتا ترابيا أولا ونطفة ثانيا وأسمعه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء مهيأ فيها من الجوانب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف بدره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما أكفره والى جهل الانسان كيف أظهره فقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه حيث نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار

المتكلمين بما يقوى مزاحم المريدين فاذا صحت نية السائل والمستمع فمسئلة الجمالية افضل من الانفراد والمواظبة على الاذكار وان عدم هذه الجمالية وتعذرت فليتروح بالتنفل في انواع الاذكار وان كان متروجه لطوائف وامر معاشه في هذا الوقت يكون افضل واولى من خروجه في اول النهار ولا يخرج من المنزل الا وهو على الوضوء وكره جمع من العلماء قبيلة الطهارة بعد صلاة العصر واجازه المشايخ والصالحون * ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ما شاء الله حسبي الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وانت أخرجتني وليسر الفاتحة والمعوذتين ولا يدع أن يتصدق كل يوم بما تيسر له

موجودا بعد العدم وسميعا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا شيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض ايضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده اولا بالاختراع فمن كان هذا بدأه وهذا صنعه فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والتيه وهو على التحقيق اخس الاشياء واضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسته اوله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم لو اكله وفوض اليه امره وأدام له الوجود باختياره بل ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجزع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويتفكر عنه فلا يتفكر عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه ونفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وتؤديه ويستشفع الادوية وهي تنغصه وتحميه ولا يأمن في لحظة من ليله او نهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه وأني يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل وأما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما هو كان أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتتفرق عظامه ويصير رميما رفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما ويخديه فيقطعهما ويسائر اجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا بالا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ويخرج الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة عزقة وارض مبدلة وجبال

ولو تمرة او لقمة فان القليل يجر الكثير وروى أن عائشة رضي الله عنها اعطت السائل عنبة واحدة وقالت ان فيها مثاقيل ذر كثيرة * وجاء في الخبر كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته * ويكون من ذكره من العصر الى المغرب مائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومائتا مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين فقد ورد أن من قال

مسيرة وبحوم منكدرة وشمس منكسفة واهوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وبحنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل وكثير وفتير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود فدنيت ذلك وأحصاه الله عليك فهل الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فتأمل هذا حاله والتكبر والتعظم بل مال والفرح فيه لظة واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولوظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا يصرع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يم يرد منهما الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار اصفر لونه من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجد واريحه لما لوا من تنتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الأن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا رأى عبدا لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الأن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر عنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة الا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى المعرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري أيعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فكم فيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي النافع لاهل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه ومحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا اعتقت ثوبا لبست جديدا أشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالقول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه ويقطع شسع نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقد كل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والخشية أمر وا به لتنكسر بذلك شيلا تهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع

في يوم مائتي مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين لم يعمل احد في يومه افضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة ومائة مرة ماشاء الله لا قوة الا بالله * ورأيت بعض الفقراء من المغرب يحكي له سبحة فيها ألف حبة في كيس لذكران ورده ان يديرها كل يوم اثنى عشر مرة بانواع

والمحمود والمقبول فانما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يقتضاه الكبر من الافعال فليواظب على تقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء اتصال علاقة بين القلب وبين الجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت * (القسم الثاني) فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفتخر بالموت فكمال وهمي فمن هذا يسهل على العالم أن لا يتكبر ولكن اذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه التكبر من جهة النسب فعلاجه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره وذلك فضل لو تفرت بابائه ذوي شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا * فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي نسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بول افترى أن الدودة التي خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التي من بول فرس مهيات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم غير طينه حتى صار أصنوفا كيف يتكبر وأخس الاشياء هما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الجيفة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فمبناه هو كذلك اذا أخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هذا السيد جميعا يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى أن ذلك يبقي شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه * السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط

الذكر (ونقل) عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده بين اليوم والليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثون ألفا بين اليوم والليلة ويقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله اطنان المنان سبحان الله في كل مكان (روي) ان بعض الابدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذا الليل هذا التسبيح فقال من الذي اسمع صوته

يده كل يوم دفعة أو دفعتين ويتردد كل يوم الى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قدر ربه وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره مخلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه قذره اذ رآه يتجبر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه ولو تولى نفسه في سياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لفارت منه الانتان والاقذار وصارت أقذر من الدواب الميتة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من اقذار وأسكن في أقذار يسيرة خبيثة أقذر من سائر الاقذار لم يتكبر بجماله الذي هو كخضراء الدمن ومكارم الاخلاق في البوادي فيتيامن وكذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينقمه ولا كان جمال الجميل اليه فيحمد عليه مستحقا ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة أو سبب من الاسباب فكم من وجه جميل قد سمجت به هذه الاسباب بعد معرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر يا ليت لمن اكثر تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوة والابدي وبعضه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده صار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت في أنفه أو غلة دخلت في أذنه اقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحال من قوته ما لا يقدر في مدة فن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واى افتخار في صفة يسبقه فيها البهائم * السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كأنه يتكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكن السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والجمل غاف الشرف يسبقك به اليهودي والى الشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك ويتبين من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد عارية لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وعلمانه اشهد عليه شاهدان عدلان عندكم منصفان بانه رقيق اقلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك

ولا أرى شخصه فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا الهواء سبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت فقال ما اسمك فقال مهلهايل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (وروى) ان عثمان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال سألتني عن شيء عظيم ما سألني عنه غيرك هو لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عز وجل واستغفر الله الاول الآخر الظاهر

ومنكم يا ابنا آدم فاحذروا واحذروا جميع ما فيه وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه ويتكل بالتفريط في امور الدين وتقصيره في طلب ما لا يعرف فان الله تعالى كما نظر العبد فرأى نفسه شحيحا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا امره ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فالانسان مع رقبته وبدنه وأعضائه وما هو وما هو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الظاهرة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كالان في النفس بحيث لا يمكن أن يشرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره * السبب السادس التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيجتزئ العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم وان يقدر العالم على دفع التكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما ان يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أخف اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون له مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ قوله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أعطي بلعم كتابا فخلد الى شهوات الارض أي سكن حبها اليها فشبه بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم آته لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا الذي هو كالملك الخاطر برؤوسه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا أخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الحجامة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني لم تلدني امي وياليتني كنت هذا التبنة ويقول الآخر ياليتني كنت طيرا وكل ويقول الآخر ياليتني لم اشيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب

الباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها عشر احين يصبح وعشرين يمسي اعطي ست خصال فاول خصلة ان يحرس من ابليس وجنوده الثانية ان يعطى قنطارا من الاجر والثالثة يرفع له درجة في الجنة الرابعة يزوجه الله من الحور العين الخامسة اثنا عشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له من الاجر كمن حج واعتمر ويقول أيضا في هذا الوقت وفي أول النهار اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني

وهو ما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق
ومثاله مثال عبد اصر سيده بأمور وشرع في امتثالها وادخل النقصان في بعضها وشك
في بعضها انه على اداها على ما ترتضيه سيده ام لا فأخبره مخبر ان سيده اوصل البه سرورا لا يخرجه
من كل ما هو فيه عريانا فذا بلا وطيلسان على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا فاق طالبه
الامر وبلغ به الجهود ادس برفع حسابه وتفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى
سجن ضيق وعذاب دائم لا يرجى عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بعض ما اتهم من حبسه مثل
ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه
وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون
هو من شفعا فيه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات
على بصره وجوارحه وتوبة في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو
بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة * الامر الثاني ان العالم يعرف أن الكبر لا يليق
الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار مقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع
وقال له ان لك عندي قدرا ما لم ترتفع فاذا ارتفعت فقد زالت قدرك عندي فلا بد
وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن أنه لا ذنب له
او تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا أن من نازع الله تعالى
في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا
عام يشمع على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع الفاسق المتظاهر بالفسق والمبتدع
وكيف يرى نفسه دونهم وهو يعلم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف
يغفله أن يخاطر بالعلم وهو يعلم أن مخاطر الفاسق والمبتدع أكثر فاعلم أن ذلك انما يمكن
بالتفكر في مخاطر الخاتمة فانه لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم
له بالايمان ويدخل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب
والخنزير على رتبة من هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر
رضي الله عنه قبل اسلامه فاستصغره واذ درام لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين
الا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الخصال
في الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى
الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون
مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى
صغير قال الى عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني بما
يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى الممات كما لم يكن اشد اوها الى
فهلا خطة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وجملة ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة
الآخرة والقرب من الله لا في ابطاره في الدنيا مع الابقاء والامور في هذا الخطر مشتركة بين المتكبر
والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب
بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بنو الفلن مولع وشقيقة كل انسان على

أنت ربي لا رب سواك ولا اله الا أنت وحدك لا شريك لك الخ ويقول ما شاء الله لا قوة الا بالله كل نعمة من الله ما شاء الله انظر في كلمة الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ويقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة ويقرأ المسبحات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار بحيث تغيب الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضا والشمس والليل المعوذتين ويستقبل الليل حكما استقبل

نفسه فاذا سبق جماعة في بناية ورصد وبان تضرب رقابهم لم يتفرغوا التكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اشتغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات الى غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في معيته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد اسرت بغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما واجمع بينهما متناقض فاعلم أن هذا امر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق الذي ينزع غضب الله في انكار البدعة والفسق يكبر النفس والاذلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه أنزه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو فلان أنه قد غضب لله كما وقع لعابدي بني اسرائيل مع خليهم وذلك لان التكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والتكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما متنافيان متباينان لا يجتمعان الا الموفقون والذي يخلصك من هذا أن يكون المحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور واحدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فلا منة فيه لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما ختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فأقول تغضب لمولاك ولعبدك اذا رأيت لك ان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناسيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خطاياك ذنوبا كثيرة من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول اذا كان لك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا طمعا مولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق للمن سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ يجري ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينبغي ان يكون في التواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرى نفسه اكثر مما يرى غيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر * (السبب السابع) التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه

بالعلم

النهار قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر او أراد شكورا فكما ان الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل ينبغي أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر ولا يخلو ما شيء كما لا يخلو بين الليل والنهار شيء والذكر جميعه اعمال القلب والشكر اعمال الجوارح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا والله الموفق والمعين

(الباب الحادي والخمسون في آداب المريد مع الشيخ)

ادب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام

بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم عاصٍ بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فقد يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا الامر غائبا عنهم لم يجز لهم أن يحتقروه بل يجب عليهم التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها يحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشقى من حال اجلاف الناس لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كف أمر نفسه لأمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في عقله الى مسترشدين والى مكاشفين فينبغي أن لا يتكبر على المسترشد فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه مجاهدة وأما المكاشف فحاله ان لم يظهر له من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة فلعل يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه اذ ذنوبك القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله عتوا وقد يرى للناس الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله والاخلاص وخوفه وتعظيم ما أنت تسأل عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فربما كشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قويا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة قيل له ساد جميعه وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحقه وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا يختم له واهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن ذلك خير له ولا أدري لعل قبح باطنه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال ويرى ظاهر فسق غيره شرا فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة ان يكون قد حبطها الآفات فأحبطتها ثم قال حينئذ كل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز ان يكون عند

الآداب واللزوم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم (روي) عن عبد الله ابن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما

الله شقيا وقد سبق القضاء في الازل بشقوته فما السبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال ثم اذا غلب عليه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو التضرع كما روى ان عابدا آوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فأتاه فسأله عن حاله فأخبره انه يصوم النهار ويكتسب قوته ويتصدق ببعضه ويقوم بعياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت احدا من الناس الاوقع لي انه سيجوز الهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اي انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب وهو اطبتهم على العبادات على الدؤوب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق واطمئن عما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند مناقشة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واعتقاد استغناء والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تتضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فمن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يتمحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة * الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة صح واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخر ايه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وان يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما يهتدي له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم فيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرنا من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان * الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور

لا تقدموا الا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فنهوا عن تقديم الاضحية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان قوم يقولون لو انزل في كذا وكذا فبكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله الا بمراجعة

تعلم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايل الكبر وهيهنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخفف على نفوس المتكبرين اذ يرونهم تركوا مكانهم بالاسحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بحيثهم ولا يخطو عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن * الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والشواب عليها جزيل فتنور النفس عن هذا اليس الاخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر * الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهل ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلق الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة فان تمتد اليه وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الابدان مع أن الاجساد قد هلكت بعلة الموت لاشحالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم * ويروى عن عبد الله بن سلام انه سمع حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك قال أجل ولكن اردت أن اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جرجرها الى صادقة فاحمل كابة والشيء فتدبر ي من الكبر * الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له صح يلبسها بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس جلسة العبد والحق اصابني واجيب دعوة المملوك لو دعيت على ذراع لاجبت * وروي أن ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة وصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدر لك الارض لا يدانيه

* (بيان غاية الرياضة في خلق التواضع) *

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واسبب الامور الى الله تعالى اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيء من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتخطى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى لنفسه وعاد الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطي كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع مثل هذا الاقران ومن يشتري من دوجته فأما تواضعه للسوقة بالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي

الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لا تقدموا الاشياخ بين يدي رسول الله * وروى أبو الدرداء قال كنت امشي امام أبي بكر فقال لرسول الله تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة وقيل نزلت في أقوام كانوا يجتمعون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سئل الرسول عليه السلام عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد في مجالس

في مخالطته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره فاذا سبيل في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران وان دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في عباس العادات ليزول به التكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يتعمل ذلك فهو متكلف لاهو متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدر حتى أحب الخلق والتخالس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذا يأس للمؤمن أن يذل نفسه الى أن يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير في المال أسهل عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخبث وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقاصر والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع

الشيخ ينبغي ان يلزم السكوت ولا يقول شيأ بحضرته من كلام حسن الا اذا استأمر الشيخ ويجد من الشيخ مسحة له في ذلك وشان المريد في حضرة الشيخ كمن عوقاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه الى القرب يردعه عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شيء لنفسه وذلك بجناية المريد

(الشطر الثاني من الكتاب) في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحد هما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ذكر ذلك في معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرقد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يجب الانسان بعمل هو متخلي فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حين ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطالب راجية والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة لا مستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما * وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لا تبرئوها أي لا تمدحوا انفسكم بالتقوى وهو من العجب ورفع طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فأكب عليه حتى اصيبت كفه فكأنه اتجه فعله العظيم اذ نهاه بره حتى جرح فتقرس ذلك عمره فيه فقال ما زال يعرف في طلحة تأوهنا اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأوه العجب في اللغة الا انه لم ينقل فيه انه اظهره واستقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس اين انت من طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف

يخلص الضعفاء ان لم يأخذوا معذرهم وقال مطرف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب الي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب يجعل العجب أكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة ولواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر فقطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال له لا يجيئك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيأ قالت اذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع ما فيه من مقت الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واعجابه ببعض ذنوبه لا يذكرها ولا يعتقدها الظنه أنه مستغن عن تعدادها فينساها وما يذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له وأما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتجبر بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والعصمة من مثلها ثم اذا أعجب بها حمى عن آفاتها ومن لم يعتقد آفات الاعمال كان أكثر همه مضافا فات الاعمال الظاهرة اذا لم تكن مخالطة نفسه عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منزلة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويجر به العجب الى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر دنيوي فيحمق فيه وان كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يغتر في السعي لظنه أنه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

(بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما)

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة والعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي ان

وينبغي أن يكون نظره الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادئ بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا لظاهره بالحق وهو عنده حضور الصادق فمن يرفع قلبه الى الله ويستطرد ويستشرف لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين الى هم الوقت من أسوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح به عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب الى قوله واعتماده به قوله

يكون غير ما تقتضيه بل يكون فرحه بها لمطابقة الهوى لا يكون فرحه بها من حيث انه كمال ونعمة وخير ونعمة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه بها من حيث انها صفته ومنسوب اليه بأنها له لا من حيث انها منسوب الى الله تعالى بأنه منه فهو مما غلب على قلبه انه نعمة من الله سبحانه ما سلم اعتقاده زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وانه منه بمكان يستحق به توقع كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما يجري على النساك سمي هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيأ فيستعظمه ويعين عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تصحب وأنت مستوفز بنيك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب وقد يعجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستكرر ذلك باطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه والله تعالى أعلم

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها فسبب العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فمقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله وبجراه أو من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله وبجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر وبجري لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه والله وباختياره وتحصيله وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التي بها يتم عمله انها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون اعجابه بمجرد الله وكرمه وفضله اذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا بجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا

والقول كالبذر يقع في الارض فاذا كان البذر فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ يتفقد بذر الكلام عن شوب الهوى ويسأله لله ويسأل الله العصمة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق للحق فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ مقتديا برسول الله ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس

لم يكن لك ان تتعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تتعجب به فأعطاك غلاما فصرت تتعجب به وتقول انما أعطاني غلاما لانى صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يجب أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق المولى ولا يتصور في حق اسباب القاهر على المولى المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فان قلت ان أحببت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة حتى له فيقال ومن خلق الطلب في قلبك فستقول هو فيقال فاطلب والعبادة كالاهما نعمتان من عنده ابتدأ بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسبابها اعمالك فاذا لا معنى لتعجب العابد بعبادته وتعجب العالم بعلمه وتعجب المجمل بجمله وتعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لنسيان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكنني أن أجهل أعمالي وانى أنا عملتها فانى انتظر عليها ثوابا ولولا أنها على لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا أتعجب بها فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مساهلة أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة أوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدبيره في الخلق شيأ بعد شيء هو الذي يحيل لك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مساهلة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله وهو ما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفاتيحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الى سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار منها فيها ولو اعطاك المفتاح لاشتغلت من قريب بأن تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك واخذتها كان اتجابك باعطاء الخازن المفاتيح اوجب اليك من مد اليد واخذها فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد

وهوى النفس في القول بشيئين أحدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وهذا من شأن الشيوخ والثاني ظهور النفس باستعلاء الكلام والتعجب وذلك جناية عند المحققين والشيخ فيما يجري على لسانه راقد النفس تشغله مطالعة فهم الخلق في ذلك فاقتبس من فوائد ظهور النفس بالاستعلاء والتعجب فيكون الشيخ لما يجري على الخلق سبحانه وتعالى عليه مستعينا كما تعهد

بأخذ المال قوية واقعا الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك لما خلقت القدرة وسلطت
الارادة ألزمت وحركت الدواعي البواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق
صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل من عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق
وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب من اليه
الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره ايالك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي
الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أضداد السوء ودواعيه الشر عليهم وصرفهم عنك
ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه
وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك
ولا جريمة سابقة من الفساق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي
واشقاه بعدله فما أعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا الانصراف قدرك الى القدور الا
بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت
فاعلا لا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل
الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب من يتعجب اذا رزقه
الله عقلا وافقره من اقاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منحني قوت روحي وأنا العاقل
الفاضل واقاض على هذا نعيم الدنيا وهو الفاسق الجاهل حتى يكاديري هذا ظلما ولا يدري
المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول
الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني
احدهما وانى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل
الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير يعيري الجاهل الغني احسن حالا
من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه وضاعن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على
ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على
البعية القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك
القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين
القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يا رب
لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال مستحقر من اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني
الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك
فرسا اما رأيت نعمتي عليك وسبوغها لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذا وهم لا تخلو الجهال
عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند
الله تعالى نعمة ابتدأ بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع
والشكر والطوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك
من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما أقل ليلة الا وانسان من آل داود قائم
ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما عز ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل
داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان

ذلك

الشقي (وكان الشيخ) أبو
السعود رحمه الله يتكلم مع
الاصحاب بما يليق اليه وكان
يقول انا في هذا الكلام
مستمع كلمتكم فاشكل ذلك
على بعض الحاضرين وقال
اذا كان القائل هو يسمع
ما يقول كيف يكون مستمعا
لا يعلم حتى يسمع منه فرجع
الى منزله فرأى ليلته في المنام
كأن قائلا يقول له أليس
الغواص يغوص في البحر
لطلب الدر ويجمع الصدف
في سفلاته والدر قد حصل معه
ولكن لا يراه الا اذا خرج

ذلك لم يكن الاب ولو لا عوني ايا السماقوي يسوسا كان الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ما أصابه من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بني اسرائيل يسألوني بابراهيم واسحق ويعقوب فيقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأي شيء ابتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم وأنا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك أي من أين لك ذلك قال فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ولقد كان أصحابه من زهده يتمنون أن يكونوا تراب اباريتنا وطير اسمع صفاء أجسامهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله أو يركن اليه ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج النافع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يالى أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يالى ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن مات قبل التوبة ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى اعلم

* (بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه) *

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها تكبر كما ذكرنا وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الذي يرى انه له فلهذا العجب ثمانية اقسام * الاول ان يعجب بدينه في جماله وهيئته وحفظه وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرنا في التكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجملية والادلة الدالة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور وحتى استقذرتها الطباع * الثاني البطش والقوة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل موسى على قوته واعجب بها فاقتاع جبلا ليطبقه على عسكره وهو عليه السلام فثقب الله تعالى ثلاثة اطباق من الجبل بمقدار هدهد فضعف المقتار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراده من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان ابتلاؤه بالقوة فلما

من الجبر ويشاركه في قوته الدين هو على الساحل فقهم بالنظام اشارة الشيخ في ذلك فما حسن ادب المريد مع الشيخ التكريتي والجلود والجلود حتى يؤتيه الشيخ عمامته فيه الملاح قولا وفعلا. (وقيل أيضا) في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا امتزاله وراء منزلته وهذا من محاسن الآداب وانعزالها هو ينبغي للمريد ان لا يحسب نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب الشيخ كل منزلة عالية ويرضى للشيخ عزيز

ابتلي بالمرأة لم يزل يرى ورث العجب بالقوة المحسوم في الطروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة
الى الشر ب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن سعي يوم تضعف
قوته وانه اذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل
والاستكاسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وغريزة الاستبداد بالرأي وترك
المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم واعراضهم
بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارهم واهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزقه من
العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن
من أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتي من العلم
الا قليلا وان اتسع علمه وأن ما يجهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس
من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الخلق كيف يتهمون بعقولهم ويضحك الناس منهم
فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف
مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يراهنه يقف عليه فيزيده
عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يتفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب
الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه يخجل بشرف نسبه وبنجابة آبائه وانه مغفور له
ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم
وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل
الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس وقد شرفوا بالطاعة والعلم
والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم
في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من
الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى اي لا تفاوت في انسابكم
لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان
الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم من اكرم الناس فقال اكرمهم عند الله أتقاهم لم يقل من ينتمي الى نبي ولكن قال اكرمهم
للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة
فقال الحرث بن هشام ومهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان
اكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية
اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا تأتي
الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد أقول
هكذا اي امرضن عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين نادا هم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد
المطلب يا بني عبد المطلب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لا نفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيأ فمن عرف
هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى
والتواضع والا كان طاعنا في نسبه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع

الفتح وغرائب المواهب
وبهذا يظهر سر هذا المريد
في حسن الارادة وهذا يعرف
المريدين فارادته للشيخ تعطيه
فوق ما يتمنى لنفسه ويكون
قائما بأدب الارادة قال
السري رحمه الله حسن
الادب ترجمان العقل وقال
أبو عبد الله بن خفيف قال لي
رويم يا بني اعمل على ان علما
وأدبا دقيقا وتعمل
التصوف كله أدب لكل
وقت أدب ولكل حال أدب
ولكل مقام أدب فمن لم يلزم
الادب فهو بعيد من حيث
تظن القرب ومردود من
حيث يرجو القبول

والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وعمتها في لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام أترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بان يرجوها لكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته لان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى ما يفني عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لاحتمال ان يكون كل ذنب تقبل فيه الشفاعة مما أمر بتركه بالطاعة والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولم يكن يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لان مسعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك المعالجة مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك فطما وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بأسرهم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يجب بنفسه وتتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وأشكالهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر ويدوان يتفكر

ومن تأديب الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم انسانا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي عليه السلام فيتأذى بصوته فانزل الله تعالى الآية تأديبا له ولغيره (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال انا أبو العباس المحبوبي قال انا أبو عيسى الترمذي قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا مؤمل ابن اسمعيل ثنا نافع بن عمر ابن جميل الجمحي قال حدثني

في ضعفهم وفقرهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحيدا لا يرافقه أصل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلوته الى البلى والسباع والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيأ وهو في أسوإ حال وأفظع هول وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية فأي شر فيمن يفارقك في أشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينتفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الاعمال وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى فيم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا يلس بجنبه فقيرا فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يعدو الميك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله ويتظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى أن المال غاد ورائح ولا أصل له والى أن في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في حلة قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشاره الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب بياض ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب حلقة فقال لي يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يغفل ذلك فقصيره الى التلزي والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأي الخطا قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشح مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشق من علاج غيره لان صاحب الرأي انما خطا باهمال بخطائه ولم يعرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر عداوته جدا لان العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يرضى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظن انه نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدا لا يغتر به الا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم وطول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن

ابن أبي مليكة قال حدثني عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى علت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت الا خلافك فانزل الله تعالى الآية فكان بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية آلى ابو بكر ان لا يتكلم عند النبي الا كاخ السرار فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط

عليه الغلط فى بعض الامور والصواب ان لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يبقى لها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأول ما يلزمه معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة فى أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال ثم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية وجلباب الوقار والوقار اذا سكن القلب عقل اللسان عما يقول وقد ينافى بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع المريد ان يشبع النظر الى الشيخ وقد كنت اصوم فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى رحمه الله فيترشح جسدى عرقا وكنت أتمنى العرق لنفض الحمى فكنت اجد ذلك عند دخول الشيخ على ويكون فى قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم فى البيت خاليا وهناك منديل وجهه للشيخ وكان يتمخم به فوقع

* (كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور * وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور * مخرج أوليائه من الظلمات الى النور * ومورد أعدائه ورطات الغرور * والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور * وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور * صلاة تتوالى على مر الدهور * وعكر الساعات والشهور * (أما بعد) فمفتاح السعادة اليقظة والفطنة * ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة * فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة * ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة * ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية * ولا داعى اليها سوى عمى القلب بظلمة الجهالة * فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور * والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * فالاكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى * والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء * والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بعين عناية نفسه كليلا * وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا * ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا * واذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات * ومنبع المهلكات * فلا بد من شرح مداخله ومجاريه * وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه * ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه * فالموفق من العباد * من عرف مداخل الآفات والفساد * فأخذ منها حذره * وبنى على الحزم والبصيرة أمره * ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور * وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين * الذين اغتروا بعبادى الامور الجلية ظواهرها * الخفية سرائرها * ونشير الى وجه اغترارهم بها وخفائهم عنها فان

ذلك وان كان أكثر مما يحصى * ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تشفي من الاستقصاء * وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف * الصنف الاول من العلماء * الصنف الثاني من العباد * الصنف الثالث من المتصوفة * الصنف الرابع من أرباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسخي فيه لنفسه وبين ما يسخي فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك الباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة منصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تنضبط الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ونبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

قدمي على المنديل اتقاها فتألم باطني من ذلك وهالني الوطء بالقدم على منديل الشيخ فانبعث من باطني من الاحترام ما ارجو بركته (قال ابن عطاء) في قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لا ترفعوا أصواتكم عند ذكري على الاذى لئلا يتخطى أحد الى ما فوقه من ترك الحرمة قال سهل في ذلك لا تخاطبوه الا مستفهمين (وقال) أبو بكر بن طاهر لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أي لا تخاطبوه في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم بعضا ولكن فخموه واعظموه وقولوا

* (بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته) *

اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني الآية كاف في ذم الغرور * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم واثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من مل الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل اذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور رافيه مخصوصا وغرورا به وهو الذي نذكره فهما كان الجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة وتخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير اما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها مما أمثلة لحقيقة الغرور * (المثال الاول) * غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور * أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهي اذا خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد اخبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه وانتفعوا من الكفار فقادوهم وصدقوهم وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والدف أن حضور المكتب خير من حضور اللعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان حصل مغرور فالغرور سببه وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا أصل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه واذا حذره الطبيب الفواكه وأذاقه الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور ومنشؤه قبول اللفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هي مثله وان لم يصرح به وعند هذا ينزع الشيطان الى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الاول لان كلا أصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي رجعته على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصائد في تردده في المتخلص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما أشفاه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة الى ما يتال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فأنا في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته صدقا فقد تخلصنا وتخلصنا وان كان ما قلناه صدقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلام الملحد على قدر عقله وبين له أنه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الاصل الثاني من كلامه وهو أن

له يا نبي الله يا رسول الله ومن هذا القبيل يكون الخطاب للمريد مع الشيخ واذا سكن الوقار القلب على اللسان كيفية الخطاب ولما كانت النفوس بحبة الاولاد والازواج وتمكنت احمرية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات هي نحت وقتها صاغها صحاف النفس وهو اهانا فاذا امتلأ القلب حرمة ووقارا تقسم اللسان العبارة (وروى) لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وان أكون من أهل النار

الآخر فقط فهو أيضا سخط بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبات الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين العلمية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوداوي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيسلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علله بسببه ولو اعتقد قوله وترك قول الاطباء لهلك كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقربين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتباعهم عليه انطلق على أصنافهم وشتى منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوات وحالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول النبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا النبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف بحمد الله انطلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لاجل الله والغرور يزول به

* وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فتفاوتها ثان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق والله الخلق والامر فالامر هو المسمى ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستئثاره أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب رد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي سطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى واذ أمر رباني ومعنيه الى جوار الرب تعالى له طبيعي ذاتي الا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه وبهما فعل ذلك فقد ظلم

نفسه يبكي في بيته فأتى عامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بشأنه فدعاه فقال له ما يبكيك يا بابت فقال انا صبية وأخاف ان تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله اما ترضى ان تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله ورسوله ولا ارفع صوتي أبدا على رسول الله فانزل الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قال أنس كنا ننظر الى الرجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه انظر قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون اى
الخارجون عن مقتضى طبعهم ومنازلة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة من كمامها اذا خرجت
عن معدنها القطرى وهذه اشارة الى أسرارهم تلاستشراق دوائعها العارفون وتنزه عن سماع
ألفاظها القاصرون فانها تقصر بهم كما تقصر رياح الورد بالعسل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر
الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من هذا القليب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية
ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول مقامات
الانبياء ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة مثل يدفع
اما يقين قلبى واما بصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بألسنتهم وبعضائهم
اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم
مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فهم أمرهم أخف لان
أصل الايمان يعصمهم من عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين وليكنهم أيضا من
المغرورين فانهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها وتجرد
الايمان لا يكفى للفوز قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك
تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى مشروطا بالايمان والعمل الصالح
جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين الى الدنيا الراضين بها المترفين
بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خشية فوات لذات الدنيا دون الكافرين لخفة ما بعده
فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر الغرور بالله مثالين من غرور
الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله
من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنهم من قول
الرجلين المتحاورين اذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا
وجعلة أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف
دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يمتنه المؤمن ويقول
اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى
ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت
وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وان كان
فلكون لى فى الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل الذى يقول
لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا ويروى
عن خباب بن الارت انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت
انى آخذه فى الآخرة فقال لى اذا صرت الى الآخرة فان لى هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل
الله تعالى قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ولئن أذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى

مثل عصام ثبتا ولم يزالا
يقاتلان حتى قتلا واستشهدا
ثابت كان عبد رسول الله
وعليه درع فرآه رجل من
الصحابة بعد موته فى المنام
فقال له اعلم ان فلانا يعالج
من المسلمين نزع درعه
فذهب بها وهو فى ناحية
من العسكر وعنده فرسه
يستن فى طيله وقد وضع
على درعى برمة ذات عالية
ابن الوليد فاخبره حتى
يسترد درعى وأت أبا بكر
خليفة رسول الله عليه
السلام فقل له ان على
دينا حتى يقضى عنى وفلان
من عبدى عتيق فاخبر
الرجل خالدا فوجد الدرع
والفرس على ما وصفه فاسترد
الدرع واخبر خالدا أبا بكر بتلك
الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته

عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وبسببه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها النعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء ثمث غبر فيزدرون بهم ويحتقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى قولهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى ... كذلك يحسن فيما بقى

وانما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الى والتلبيس تحت نفسه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله أن يكون لرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذى يحبه ينعمه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب وينعمه من الفواكه والملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى ينفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد الجهول أنه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يجبر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن فأجاب الله عن ذلك كلا أى ليس كما قال انما هو ابتلاه نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور فقال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بإكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون الاعراض عنها مقربا الى الله ويدل لك ذلك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفى تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

قال مالك بن أنس رضى الله عنه لما الأعلم وصية أجبرت بعد موت صاحبها الا هذه فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق ويعلم ان الشيخ عنده تذكرة من الله وبه وله وان الذى يعتقده مع الشيخ نعوض مالو كان فى زمن رسول الله واعتقده مع رسول الله فلما قام القوم بواجب الادب أخبرا لحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبر قلوبهم واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج

انهم كلما أمدوا دنيا أمدتهم لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن بتخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبسنته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى طوائف الارض وما جرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذرنا الله تعالى من مكره واستدرابه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فهل الكافرين أمهلهم رويدا فحكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره واستدرابه أولى فالذي من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو سبب الغرور * (المثال الثاني) * غرور العصاة من المؤمنين بتوهمهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تقصيرهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين وأن ذلك سعة رحمة الله وسعة شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في جنب رحمته وانا موحدون ومؤمنون نرجوه برحمته الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم حتى اغتر الحشوية بنسبهم وحتى افتخرت آباؤهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقد سلم الشيطان للعاصي بأن من أحب انسانا أحب أولاده وان الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين فقال رب ان ابني من أهلي فقال تعالى يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم يغفر وان نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الاب المطيع يبغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي يحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لا شك أن يسري البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن أنه يحب بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالما بعلم أبيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزئ فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد

خالصه وكما أن اللسان ترجمان القلب وتهذيب الالفاظ تأديب القلب فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ (قال ابو عثمان) الادب عند الاكابر في مجالسة السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والتأخير في الاولى والعقبى الاترى الى قول الله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وعاملهم الله تعالى قوله

غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول الصالحة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فاعلم ان هذا الكلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اغتر به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو الذي على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء بهم ألیق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة أجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى ان من استؤجر على اصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما في الوعد مهما وعد ولا يخالف بل يزيد في اجره ويكسر الاواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم أن المستأجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره مقتنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنياي فقال له رجل انا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو يعلم أنه كيف يجامع أو يجامع ولم ينزل فهو مغتر وكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه اذا نكح ووطئ وانزل بقي متردد في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردد بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صوارف سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عداه ولا سيما هم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون أي علمنا أنه كما لا ولد الا بوقاع ونكاح ولا نبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان صدقك في قولك وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير أي ألم نسعكم سعة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين * أحدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فينشط له من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا ان يقمع التفوط بالرجاء ويتذكر ان الله يغفر

سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وكان هذا الجهال من وفد بني تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين فقال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين في قصة طويلة وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم

الذنوب

الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم اسرهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا وقع المغفور مع التوبة فهو رباح وان وقع المغفور مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومن يعده وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو رباح وان استمر على التجارة واخذ يجر وتأخر الامام للصلاة لاجل الى وسط الوقت اولاجل غيره اولسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور به الثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجو نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى يبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا اخطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولا يذا نفسك وتعذيبها واولك رب كريم غفور رحيم فيغتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه وبقول انه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد مع أنه لم يضره كفرهم بل لسلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالة الفاقة عن عباده وقد خوف في عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يحثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو من وغرور وبهاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد اخبر صلى الله عليه وسلم وذكر أن الغرور يسيطر على قلوب آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤثرون ما آثروا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يجتهدون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكونون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الاعتقاد يدل بالمعنى وبنال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وبحثهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل

فقلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والانصار بالطيبة وفي هذا تأديب للمريد في الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى ان يخرج الشيخ من موضع خلوته سمعت ان الشيخ عبد القادر رحمه الله كان اذا جاءه السيد فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع

من وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف بطبعهم بتحريفات القرآن وما فيه وبمثل أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء يأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا سواء كان حلالا او حراما وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويداول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على حفظها وفهمها وانصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف انهم بطاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعاف ما تصدق به وهو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهلهم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة ويغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بظهور من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك بعض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من تسبيحاته وما نطق به في قراءته كان يمتنه ويحسبه ويوازن بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يدونه في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الامنية عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله اعلم

(بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اربعة أصناف)

الى خلوته واذا جاء أحد من ابناء زهرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج الى الفقير فأتوه بوجه لغير الفقير فأتوه ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أحد فيكفي معه وهو واقف القلوب ويمنع بها عن ملاقاة الظاهر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو راقص مع

(الصنف الاول) اهل العلم والمغترون منهم فرق (فرقة منهم) احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا التقيد بالجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات راغتروا بعلومهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لآراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلم الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها اجتلبت وعلم كيفية دق كل واحد منها وكيف يخلطه وبعد فقد علم ذلك وكتب منه نسخة محسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيأ هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكثر به كل ليلة ألف مريض لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما علم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاستفراغ وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فهب انه ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم المطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزكي نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها انه مغرور اذ قال تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلوبك القرب من الله ولوائه والعلم يجلب القرب وتلاوة علم الاخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين معتوها هان غروره وافق ذلك مراده وهواه فاعلم أن الله وأهل العمل وان كان كيسا فيقول الشيطان أتذكر في فضائل العلم وتلاوتي ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فاي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال ايضا يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الان هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فشاهد

العادات والظاهر فيها يوقف حظه من الظاهر استغرق حق المريد عبارة الظاهر والباطن بالادب مع الشيخ (قيل) لابي منصور المغربي كم صحبت أبا عثمان قال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان والاقران ومع المشايخ الخدمة هو ينبغي لمريد انه كل أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل

ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اشبره بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله وحدوده فمغرور اشد ومثاله مثال من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فرد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ونسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو لم يشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل التبصر في التقوى واتباعه للشرع دليل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فان التصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله الى داود عليه السلام نعم العبد انت لو كنت تخاف السبع الضاري فهم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مبتلى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فأجاب فقيل له ان فقهاء فلانية يقولون ذلك فقال ويحك رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين (وفرقة أخرى) أسكنوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليصحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متعرض عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاشياء التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر

أشياء ينكرها وهي واذا أخبره الخضر بسرها يرجع وهي عن انكاره فما ينكره المريد اقله علمه بحقيقة ما وجد من الشيخ فالشيخ في كل شئ عند لسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد مسئلة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد ان لم تؤمنوا لي فلا تتراون فقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك

الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها معين وباطنها مجيفة وكبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فخص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت بينه حشيش يفسده فاهر بقلعه فقلع الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فاستخبز رأسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لان مغارس المعاصى هى الاخلاق الذميمة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تنتفع الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء لا يزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فينتفع بالطلاء وترك الدواء وبقى يتناول ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتضجر من المادة التى فى الباطن (وفرقة أخرى) علموا أن هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لجهلهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فاما هم فاعظم عند الله من أن يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف فاذا ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام أنف الحاقدين من المبتدعين وانى لو لبست الدون من الثياب ويجلست فى الدون من المجالس لشمت بى أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلى ذلا على الاسلام وناسى المغرور أن عدوه الذى حذره منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الدين وبما أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضى الله عنه فى بذاذته زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك ربما أطلق اللسان بالحسد فى أقرانه أو فيمن رد عليه شيأ من كلامه لا يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق وردّ على المبطل فى عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن فى غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هان كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن فى عالم آخر ومنع لربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسدا لاقرانه من حيث باطنه وهكذا يراءى بأعماله ويعاوده واذا تعرف خاطر الرياء قال مهلا انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا الى دين الله تعالى فينجوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يطيقه الشيطان أيضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا لى كان الاجر لى والثواب لى فانما أفرح بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبى بأن ثوابه فى الخمول واخفاء العلم أكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى محبرة يدبالسلاسل لاستثقل فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى

الادب (وقيل) من قال لاستاذه لا لا يفلح أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى أنا أبو محمد نصر الزياقى أنا أبو العباس الجراحى أنا أبو العباس المبرد أنا أبو عيسى الترمذى حدثنا هناد عن أبى معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركونى ما تركتكم واذا حدثتكم فخذوا عنى فانما هلك من

موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس او وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت ففرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فسار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يتبجح بماله عند السلطان لطعن فيه والكذب عليه افعل وكذلك قد يفتهي غرورا بعضهم الى أن يأخذ من مالهم واذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيفتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور وهو أشدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ انتزاع من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الامر وقوع الغلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر وهذا الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين واهل الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) احكموا العلم وطهروا البواطن وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقاموا من القلوب مقامها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرور ون اذ بقيت في زوايا القلب من خفيات مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وخفي مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها واتخذوه من يريد تنقية الزرع من الحشيش فداوى ظاهره وفتش عن كل حشيش رآه فقطعه الا أنه لم يفتش على ما ليخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد بقيت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن أنه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يغفل بجميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته وانما باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء

كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال ابليس) رحمه الله رأيت مع أبي حفص النيسابوري انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لاصحابه من هذا فقيل لي هذا انسان يحسب أنه يحفظ وحفظنا وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى انفقها عليه ما يسوغه أبو حفص ان يتكلم بكلمة واحدة

والمديح

والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتفنن بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لاعن تتبع معصية الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور سياته في الباطن عما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فاذا تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يتمذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في قضية تعيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويشوقلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد اصغاء اليه واحرص على خدمته واهلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للذنوب ولم يتقدم مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثاره الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه اقتعد في العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم أنه بعلمه استنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد في نفسه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استظارة اسمه بتحسن التصنيف فاذا رأى مديح تصنيفه وثناءه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم أنه هو المصنف لامن ادعاه واهله في تصنيفه لايخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى العاويلة المريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه واهله يحكي من الكلام المزيف ما يزيد تزيينه فيعزبه الى قائله وما يستحسنه فاهله لايعزيه اليه ليظن أنه من كلامه فيسقط بعينه كالسارق له أو بغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيخيطه قباء حتى لايعرف أنه مسروق واهله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصنف في الحكمة فأوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وانى لاقبل من نفاقك شيأ واعمل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فاذا افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانها اكثر تبعا وغيره فيفرح ان كان أتباعه أكثر وان علم أن غيره أسوق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا واعمل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه تنفرا منه فبعد ذلك لايهتز باطنه لاكرامه ولايتشمر لقضاء حوائجه

(وقال أبو يزيد البسطامي) سمعت أبا علي السندي فكنت القنه ما يتميز به فرضه وحكمان يعاني التوحيد والتفاقه صرفا (وقال) أبو عثمان صحبت أبا حفص وانا غلام حدث فطردني وقال لاتجلس عندي فلم اعمل مكافأتي على كلامه ان أولى فلهجري اليه فانصرفت

كما كان يتشوف من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة وامل التعرض منه الى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادى السلم يقدر على اظهاره فيتعال بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل تغضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه وبما فرح له وان أثنى عليه وبما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه بظهر أنه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه واض به وسريده والله مطلع عليه في ذلك فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن اقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن بصرته سيئته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه المعتمد على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاصرار على هذا غرور والذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم وانذكر الآن غرور والذين قنعوا من العلوم بالمهم منهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما الاستغناء عن أصل ذلك العلم واما الاقتصار عليه (فمنهم فرقة) اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمسايس العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكرارها وتعليمها لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم الفتاوى والاجارة والقضاء وروايات الفتاوى وبالمواريث والوصايا والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شيء من ذلك فيما بقي من عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد الفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله

أمشي الى خلف ووجهي
مقابل له حتى غبت عنه
واعتقدت ان أحفر لنفسي
بئرا على بابه وانزل واقعد فيه
ولا اخرج منه الا باذنه فلما
رأى ذلك مني قربني وقربني
وصيرني من خواص اصحابه
الى أن مات رحمه الله ومن
آداب سلم الظاهر ان المريد
لا يبسط سجادته مع وجود

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في الصديقين وقال انهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وبسبب غروره سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والذي يحصل به الانذار وغيره هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال ودفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركبه وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ماتوا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فشاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلطف لانواع التعييبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس بلجوهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بجمع الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في المجادل وهؤلاء قد جمعوا لجهد الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل عن الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرروا هؤلاء أشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والجدال في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك والخامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون العبد على الايمان ولا يصح ايمان الابان يتعلم بجدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا سبيل الى معرفة الله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علومهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها وانهم هم فرقتان ضالة وحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم وأما الضالة فلغلبتها من ضلالها وظلمة بدعتها الحجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انهم لم تهم رأيها

الشيخ الاوقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة وفي العبادة اعياه الى الاستراحة والتمزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ الا أن يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تمنع المريد عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في الشيخ بالنظر اليه

ولم تحكم أوّلا شروط الأدلة ومناهجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة وأما الفرقة المحقة فانما اختارها من حيث انهم اظنت بالجدل الله أعلم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل اولى وأقرب عند الله وافضل وانما ذلك لاتخاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من أهل البدع والاهوى فشاهدوا أعيانهم ودينهم غرضا للخصومات والجادلات وما اشتغلوا بالذب عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأمر الهم بل لم يتكلموا في شيء الا من حيث رأوا حاجة ويتوسعوا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلتزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الخلق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويتخاصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم أيها أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يرد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتعسفات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نفوض فيما لا نامن على أنفسنا الخطأ في نقائصه ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بخاصة نفسي ومجاداتها ومجاهدتها اتم لي وأهم (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا

وهذا الامة موارد فضل الخلق عليه الجمع لهمم الاصناف الى السماع وهو من الادب ان لا يكتم عن الشيخ شيأ من حاله وواهب الخلق عنده وما يفتح له من كرامة واجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحي من كشفه يكره ايماء وتعريضا

الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم ممتنكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا يتنقل عنه عموام المسلمين وغيرهم وهؤلاء أشد الغرور لانهم يحجبون بأنفسهم غاية الاحجاب ويظنون انهم ما تجردوا في علم المحبة الا وهم محجوبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السالك الى الله وهذه كيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من المطمئنين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المفسحين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتمسكين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويتخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو لله ناس ويتقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لمنع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه الى الله فاضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم أن غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أن أحدا من المتزهدين اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بفوائدها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك عماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما الخوف فيما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف منهم ان ظن بنفسه أنه موصوف بهم بسبب الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلا حب الله فما الذي تركه من حساب نفسه لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يتملى بالخلوة اذا اصدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلي بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالترويق بل يوثق من الله غليظا والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون واذا كشفت الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيأ ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام المعرفة وبيان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف

فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ تصريحا او تعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تحل العقدة وتزول * ومن الادب ان لا يدخل في صحبة الشيخ الا بعد علمه بأن الشيخ فيم يتاديبه وتهذيبه وانه أقوم بالتاديب

بالصفة فلا يفارق آحاد المبطلين في الاتصاف بصفة المحب والمخلوف بل في القدر فعلى الوصف بل
وربما ازداد أمنه وقل خوفه ونظر الى انطلاق عمله وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثال المحب
مريض يشتد المرض ويعتريه اضطرابه ويشتد الحمية والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر
على وصف الحمية والشفاء وأسبابه وترياقه وأمناؤه فهو لا يشارقهم في صفة المرض والاتصاف
به وانما يشارقهم في الوصف والعلم بالطب فكذلك من لم يشتد خوفه لعلمه بحقيقة المحبة أنه سبيل غاية السهل
فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن
التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور وبهذه مسألة الوعاظ الذين لا عيب في
كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله رحمة
الله عليهم (وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل هذا الزمان
بكافة الامن عصمه الله على القدور في بعض أطراف البلدان كان واسمنا نعرفه فاشتغلوا
بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب رطائفة
شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالاسجاع والاستشهاد
بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض
فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلوا أنفسهم
فقد اصلوا غيرهم وصحبوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون
الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لاسيما
اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والمأكل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه الى قدمه بشدة
حبه على الدنيا فما يفسد بهذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا
ولا يخفى وجه كونه مغرورا (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا
فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على
المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع ابليس وكل منهم يظن أنه اذا تميز بهذا
القدر عن السوقة وباطنه باطن اذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض
وصار مغفورا له وآمن من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن
حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى)
استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد
الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا أروي عن فلان
ولقد رأيت فلانا وهي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم يحملة الاسفار
فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس همهم الا النقل ويظنون أن
ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يشتهون بعضها ايضا ولا يعملون به
ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد
وطلب العالي منها ولا حاجتهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه أهل الزمان أنهم ايضا
لا يقنعون بشرط السماع فان السماع يجدي وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول
الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ

من غيره وهي كان منه
المريد تطلع الى مسيح آخر
لانه سفر صحبته ولا يفيد
القول فيه ولا يستحق
رابطته بمراقبة حال الشيخ اليه
فان المريد كلما ايقن تفرد
الشيخ بالمشيخة عرف فضله
وقويت محبته والمحبة
والتآلف هو الواسطة بين
المريد والشيخ وعلى قدر قوة

ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يثقل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور واذا الاصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ من السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك نسخته حرفا واحدا علمت خطأه وطلقته طريقان لا بد لك أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما يجري على سمعك في مجاري الاحوال والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليد من يغيره ويكون محفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك وبدلته فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فتكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته ومؤمنا فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة ذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق ما فيه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها بالتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح واقل شروط السماع أن يجري البيع على السمع مع نوع من اليقظة يشعر معه بالتمييز ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ جاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك جاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجر أحد أهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذ صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو ولا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وجاز ادخاله فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع الذكي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا جاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا شيئا فوعاها فاذا سمعها وكتب بوقتي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أفشى أنواع الغرور وقد بلي بهذا أهل الزمان ولو استاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصباعلى هذا الوجه مع الغفلة الا أن المحدثين في ذلك بابا هو قبولا

المجبة يكون من رأيا الحال لان المحبة علامة المعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية مجانبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله (اخبرنا) الشيخ الثقة ابو الشيخ محمد ابن سليمان انا ابو الفضل محمد انا الحافظ ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن ابن سلام ثنا عيينة بن

خلاف الحاكمين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لاملاء في سلكهم فينقص سوادهم ويقل أيضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط الان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وهمسة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علومهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقارع به في قوارين أصول الفقه فهذا غرور وهؤلاء لو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي اقتناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث يشاول طريق الاخرة وربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه سافر لمجلس السماع فكان أول حديث يروى قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غمروا بهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فاني هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم كمن يقتني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كافة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتهم الغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح تخاريج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب والقرآن والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقائمون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قليله وجوارحه وربح عمره في عمل القلب عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد حجب سواء كان في المنزل القريب

روين عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له أن لا يحتشمه ولا يستأثر عليه في فضل فقه فتصير عروقه من عرى الاسلام ومن الادب أن يراعي مخارج الشيخ في جزئيات الامور وكلياتها ولا يستحقر كلامه معقبا

أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها أما علم الطب والحساب والصناعات ومايعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يستقد أصحابها التهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك الشعر الليف في كونه محمودا ولكن المحمود منه ليفه هو المتين والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ الشعر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به (وفرقة أخرى) عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجالس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأسارا التأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى أمثلة من ذلك فنقول اهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيئ الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور به والخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا ترددت بين ضررين واختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن ثم القاضي في الدنيا لا يطلع على التواب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانه لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال ويتردد نفسه بينهما فاختار أهون الالمين وهو ألم التسليم فسلم فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بالظاهر وله رهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء اشر لسانه أو اشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بنداء في مقبرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فأجابه لبيك يا نبي الله أخرجت من الجنة فماذا تريد فقال اني أسألك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فهب له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني أذنبت اليك ذنبا قال أم أهبه لك قال ألا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا الا فهبني قال يا نبي الله ما هكذا ينعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده

على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال ابراهيم) ابن شيبان كنا لصحب اباعبد الله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا في الابراري والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة فكان اذا جرى من احدنا خطأ وتغير عليه الشيخ حتى يتشفع اليه بجميعنا الى ما كان هو من

الله أن يسوء به منه فى الآخرة فهذا ينبهك أن الهمة من غير طيبة قلب لا تفيد وأن طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الايراد والهمة وغيرهما الا اذا تخلى الانسان واستعبار حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى اشراكه بالحيل والالزام ومن ذلك هيبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته وانتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر المال وقد زال وان ظن أنه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى البيع لاعلى هذا القصد فما أعظم جهله بدينه الذى ويسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات ثم مطاع واعجاب المرء بنفسه مطاعا بعافى وقد لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه عما يظن أن فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال الصانع للانفاق وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الامانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الذى اتخذت لحاجة العباد الباقى العبادة وما تناوله طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الاجتناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول (الصنف الثانى) أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ماهم (فمنهم فرقة) أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل والفوائل وربما تعمقوا فى النوافل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضى الله عنه مما فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الاشياء فيما لا مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك (وفرقة أخرى) غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوس فى التكبير حتى قد يفترون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى أول الصلاة ثم

يغفلون

ادب المريد مع الشيخ ان لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ عليه اوسع وبابه المفتوح الى الله أكبر فان كان واقعة المريد من الله يوافقه الشيخ ويمضيه له وما كان من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول بطريق الواقعة بطريق الشيخ

يفتتحون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويقترون بذلك ويظنون أنهم اذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم (وفرقة أخرى) تغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما وراءه لا عن معنى القرآن والالتفات به وصرف الفهم الى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف انخلاق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا بقراءة القرآن فهذ وه هذا ورمما ختموه في اليوم والليلة مرة واللسان أسرعهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الامانى اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه الا انه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لتحكي لا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد أبياتا من شعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم ورمما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة ونحوها طرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور (وفرقة أخرى) اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط جهة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لعكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام ورمما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يتقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور (وفرقة أخرى) أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي

ويكتسب المريد علما بجملة الوقائع والكشوف فالمريد اعلم في واقعته بخواطره مكون ارادة في النفس فيتشبث مكون الارادة بالواقعة منا ما كان ذلك أو يقظة وله هذا أمر عجيب ولا يقوم المريد باستقصال شأفة الكلام من في النفس واذا ذكره الشيخ فما في المريد من مكون ارادة النفس

عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا رد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره طرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقي وزويت على مرتبتي وهكذا قد يتقلد امامة مسجد ويظن أنه على خير وانما غرضه أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أورع وأعلم منه ثقل عليه (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم مملوءة بالدنيا وهم معلقة بلادهم ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا بجاور بمكة وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويقنع من طمعه الى أوساخ أموال الناس واذا جمع من ذلك شيأ شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بالقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وبالجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن سبب الهمدة وأن يقال انه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضييع بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور ومن عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب (وفرقة أخرى) زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة وابتاء اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين وباء بأعظم المهلكين فان ابتاء أعظم من المال ولو ترك ابتاءه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى اثباتها الرياسة وان الراغب فيها لابد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق ثم قد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لهم ويحب بقلبه ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشتد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم

مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق يبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع الى كمون هوى النفس يزول وتبرأ ساحة المريد ويحصل الشيخ ثقل ذلك لانه وظيفته وحصة ابوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع

أنه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ بأحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تتربح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أشكال الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يهتم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون الي بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من أبر يا رسول الله قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبدأ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فرضهما يجب وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على الباب معاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة معذورة وايذاؤهما محذور والمعذور من الايذاء أهم من المعذور من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يظن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملة الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوانحه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه أولى به الا ان حب الرياسة وايثار لذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يشتبه مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه * (الصنف الثالث) * المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمقترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم في مراسمهم واصطلاحاتهم وفي أسوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع

الشيخ في شئ من امر دينه اوامر دنياه لا يستقبل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم حتى يتبين له من حال الشيخ انه صحيح عقله ولسماع كلامه وقوله فتفرغ وكما ان للدعاء آدابا وشروطا لانه مخاطبة الله فللقول مع الشيخ ايضا آداب وشروط لانه من معاملة الله

اطراف الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث
الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلموا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم ايضا
صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر
من الآثام الظلمانية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو قرؤا عن جميعها لما جاز
لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا حول هاولم يسموا أنفسهم شأمنها
بل يتهالكون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس
والحبة ويتحاسدون على التقدم والتطهر ويزري بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من
غرضه وهؤلاء مغرورون هم ظاهر وضاهم مثال امرأة تجور زعمت ان الشجعان والابطال من
المقاتلين ثبتت اسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت
نفسها الى ان يقطع لها ثالثة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلقت من وجزا الابطال
آيات ونهودت ايراد تلك الايات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت بكيفية تحريكهم
في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلفتت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات
والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر
أنفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع
بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز
ضعيفة زمنة لا تطيق حمل السيف والمغفر فعمل لها أبيات للاستهزاء بها والاستخفاف بأهل
حضرته والتلبيس عليهم بخنوثها فالقوها فقدام الفيل لتحفظها فالقيت الى الفيل فهكذا يكون
حال المدعين التصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي
لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق
عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من
التزين بزيهم فتركوا الحرير والابريسم ولبسوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة
والسجادات المسبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم
مع ذلك انه متصوف بجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي أنهم انما لونوا الثياب لئلا يطول
عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم خرقة فكانوا
يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها
فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب
ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي
الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشرهؤلاء متعد الى الخلق
اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن
جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم
(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة
في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ لانه تلقف
من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو

وسأل الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق لما يحب
من الادب وقد نبه الحق
سبحانه وتعالى على ذلك فيما
امر به اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مخاطبته
فقال يا أيها الذين آمنوا
اذا ناجيتم الرسول فقدموا

بنظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الصلاح ليترك فلا حسبه والحائك يترك حرفته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقط منهم تلك الكلمات الرنيقة فيرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستقر بذلك بين جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء محجوبون ويقول في العلماء انهم بالدنيا عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه لواصل الى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه (وفرقة اخرى) وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب وأما من قد جربنا وادركنا أن ذلك محال ولا يعلم الاحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة وانما كلفوا قلع مادتهم بحيث ينقاد كل واحد منهم لما حكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عامرة بالحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله اتقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله سخطة واحدة حتى كانوا يبكون عليها ويوبخون سنين متوالية وأصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء أصنافهم يطول (وفرقة اخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله والله قد تخلى في الله عن الاهل والمال وهو مبتدع أو كافر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لتركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب ومنهم من يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فانهم وان أن التوكل الخامرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر بكل قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها (وفرقة أخرى) ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة

بين يدي نجواكم صدقة يعني امام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سأل الناس رسول الله فأكثروا حتى شقوا عليه واحفوه بالمسئلة فأدبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وامرهم ان لا يناجوه حتى يتصدقوا صدقة

ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فقصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع أعمالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويتفننون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علمها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن دقائق الحج وآفاته وليسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه (وفرقة أخرى) جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصود وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مدينته روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قصد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك (وفرقة اخرى) جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا السنية ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من ذلك الحجب في الطريق الا ويظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا وابطال يعلمون أن الكوكب ليس بالاله فكيف ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به أنه نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب

وقيل حكمان الاغنياء يأتون النبي عليه السلام ويجلسون القرفصاء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول جلوسهم ومناجاتهم فامر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فانما أهلك العسرة

من نور بعضها أكبر من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستنار بالقمر وأعظمها الشمس وبينهما ونبسة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام مذ رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه فيما قيل ما كان بلقاه انه قد وصل ثم حسكان يكشف له أن وراءه أمر افيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط من ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق قد يقترن في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا امر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى أعني سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كما سبق انه ليتسع بالعلم العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الامر محجوب بشكاكة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو معرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ماء الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فظنوا ان فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فمد يده اليه ليأخذه فهو مغرور وانواع الغرور في طريق السالكين الى الله تعالى لا تحصى في جملة ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهمه ولكن فيه فائدة وهو انواعه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق في أن الامر اعظم مما ظنه وما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وعقله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما استمر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل

* (الصنف الرابع) * أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (فشرقتهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكثرون أساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهيهات يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين * أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والهبات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان

فلانهم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة فجادوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله ونزلت الرخصة وقال تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين

الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا اقدموا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع
الى الله تعالى ورد ها الى ملاكها اما بأعيانها واما برد بدلها عند اليأس فان تعذر واعن الملاك كان
الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما
يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يتفطنون لذلك شفقة من أن لا يظهر ذلك للناس فيمتنعون
الا بنسبة بالاجر وتعرضهم من بقائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم
المكتوبة فيها الا لبقاء اثر البر وهو الوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وتصدقهم لفرق
الانفاق على الابنية ولو كان واحد منهم أن يتقد دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق
عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولا انه يريد به وجه
الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة اخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت
على المساجد وهي أيضا مخطئة من وجهين أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون
في سواده أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد
وزينتها وانما يتعين عليهم الصرف الى المساجد لظهور ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى
زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين وتخطفة أبصارهم
والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك
ورب مال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله
تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ومتقبل لامره وقد شوش
قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في
بيوتهم ويشتغلون بطلبه وربما ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع وحضور القلب مع الله
تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل
بيت الله فكتبه الملك عند الله صديقا فيكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث
المسجد بفضوله فيه بنفسه بناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرفة الدنيا
منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال
امق اتقي بحق أقول لكم لا يقوم الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا هدمه بذنوب
أهلها ان الله لا يهب بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله
تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال
الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه
السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور وهذا من حيث انه
رأى المنكر معروفا واتكل عليه (وفرقة اخرى) ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء
والمساكين ويطلبون به الحامدة من الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف
ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير ما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما
يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا وذلك
قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج لا لسبب يمنعون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق

ويرجعون

يدي نجوا كم صدقات وقيل
لما امر الله بالصدقة لم يشأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا علي بن أبي طالب فقدم
دينارا فتصدق به وقال علي

ويرجعون محرومين مساوين بهوى باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وبارعا سود الى جنبه
لا يواسيه وقال ابو نصر القارىء رجلا بباب بوقع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني
بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فأي شيء تبقي بحجك تزهدا أو اشتياقا
الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت مرضاة الله تعالى وأنت
في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب
فأعطها عشرة أنفس مدينون يقضي دينه وفقير يتم شمله وعيل يغني عياله ومصاب يتيم يفرحه
وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخال السرور على قلب المسلم واغاثة الملهوف وكشف
الضر واعانة المضيوف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام ثم أخرجها كما أمر تك والا نقل لنا
ما في قلبك فقال يا نصر سرى اقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له
المال اذا جمع من وجوه التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت
الاعمال الصالحات وقد تعالى الله على نفسه أن لا يقبل الا عمل المتقين (وفرقة اخرى) من ارباب
الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية
التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل
المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو
مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشتغل بطلب
السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان
فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك ماله ودخل في حال غيره وانما حال هذا
اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه
مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (وفرقة أخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط
ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من
يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستعانة في خدمة أو من لهم
فيه على الجملة غرض او يحاولون ذلك الى من يعتمدونه من الاكابر ممن يستظهر بجشمه لينال
بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور
ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا واحد من غرور
اصحاب الاموال ايضا لا يحصى واغا ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور (وفرقة
أخرى) من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن
ذلك يفهمهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان ايسم على مجرد سماع الوعظ دون العمل
ودون الاتعاظ ابرارهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج
الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها انبعث على العمل فان سكنت عن الحال على العمل فلا
خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يفتر عما يسمعه من
الرقائق من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخل رقة كرقة النساء فيبكي ولا يحزن وربما
يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله او سبحان الله
ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الاطباء

في كتاب الله آية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال ما تري في الصدقة

فيسمع ما يجري او الطباخ الذي يحضر عنده من يصف له الاطعمة الذيذة الشهية ثم تصرف وذلك لا يفيق عنه من مرض ويوجعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيأ فكل وعظ لا يفيرمنك صفة تغيرا يفيرأفعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا او ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسمعته تكسلت مغرورا فان قلت فقد ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من مخفايا هذه الآفات فأقول الانسان اذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء صنع بعلمه منه استنزله واذا اراد أن يخرج الجوهر من أعماق البحار استخرجه واذا اراد أن يستخرج الذهب او الفضة من تحت الجبال استخرجه واذا اراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستصغر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استصغرها واذا أراد ان يأخذ الحيات والافاعي ويمشيها اخذها واستخرج الدرياق من سمومها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق سبل الادمي كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه واوهمه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن تقويم قلبه ويتحاذل ويقال هذا محال وهل الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى اشتدت الحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن انعم الله عليه باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط سبل الدنيا لعظم أسبابها فان قلت قد قربت الامر فيما سبق انك اكثرت في ذكر مداخل الغرور فهم يتجو العبد من الغرور فاعلم انه يتجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الغريزة والاول الاصلي الذي به يدرك الانسان دقائق الاشياء فالفطنة والتيقظ فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فقضاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا وان لم يتطرق عليه الانسان فاكتساب غير ممكن نعم اذا حصل أصله امكن تقويته بالمعارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تباركت الله الذي قسم العقل بين عباده اثنتا ثنان الرجلين ليستوي علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله خلقه شيئا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس أثنى على رجل عند رسول

كنت عند دينار فقال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون حبة او شعيرة فقال رسول الله انك لزهيد ثم تلا الآية الرخصة ونسخت الآية

الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا احمق قال اربعوه وان قالوا غير ذلك قال ان يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لم يبلغ ما سبقكم حيث تظنون فالذكاء وصحيح غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فان فاتت بلادة وحماقة فلا تدارك لها * الثاني المعرفة واعني بالمعرفة أن يعرف أربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بانها مربوبة ذليلة ويكون غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستدل على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر ان فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف سبيل الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الصنف من الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فقد شمر عليها باذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ولقد بين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره يوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان أكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منها الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته وانتفع عنه كل غرور ونشأ من تجاذب الاغراض والتزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الاخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها وأسرارها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بآداب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع الاسباب المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن نوضح خللنا عن المذمومة بعد حصرها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التي أشرنا اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويستولي حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد الخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه واخلاقه ورواقب القلب حتى صفا من جميع الكدورات

وما تبقى ملحق عليه بالاصل بالصدقة وما فيه من حسن الادب وتنبيه اللفظ والاستدراك ما نسخ والفائتة باقية (أصبغ فا) الشيخ الصفة

واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه من الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صماً عما قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بمداويهم وبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق المشي وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء حاضراً من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أربعة أزمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم واشتد بأسهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء مستتراً أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقير الملوك اذا رأوه شافها لادوائهم بعض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم وآثروه بأموالهم وصاروا لفضولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة ما الهامن لذة اصابت من الدنيا شهوة يستحقرها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه أن ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو أشد من قبول الخلق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الفضل أو فتر عن بعض الاوراد بوغت النفس ان يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل اليه

أبو الفتح محمد بن سلمان انا ابو الفضل محمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال ثنا سليمان بن احمد قال ثنا مطلب بن شعيب ثنا عبد الله بن صالح

انك

انما افعل ذلك كي لا يفتروا بهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركهم وانما ذلك خدعة وغرور بل مرجوع من النفس خبيثة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع النفس على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد في كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استشعرت بآفات الرياسة لكان ينتهم ذلك اذ من المحال ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد رقعوا في البئر وتحطوا رأس البئر بحجر كبير فيجوزوا من الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك وتحامل نفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه اذ يبقى واجدا مسلما من انفسهم أكان ينبغي انه يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه وهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب ونواصي اهلاكها فتعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فكيف يصح لك ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم الله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظره اليهم كنظره الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا ينكر عليهم ويرى كلامهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل يراعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فانه لم يرسائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ثم برعايتهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فاترك الوعاظ الوعظ الا عند نزول هذه الدرجة فلعلك الذي عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولم يجب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان بها الا ان صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونها مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكر خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ معلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع اطلاق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك ولكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وشخصان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فما ينبغي ان تسد طريق الاتعاظ فأما ان تخرس ألسنة الوعاظ ويراعهم

فيما ابن الهيعة عن ابي قبيل عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس مني من لم يجل كبيرنا ويرحم

باعث الرياسة وحب الثناء فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المرء هذا المكيد من الشيطان فاشتغل بنفسه بزوال التصنع وإصلاح سره الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الآفات وما وجه الاغترار بما علم أنه بقي عليه اعظامه وهو ان الشيطان لن يقول له قد أعجزتني وافلتت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله قدرك وعلمك اذ قوالك على قهري وتمكنك من التفطن بجميع مداخل غروري فيصفني اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا فاتنك أول بعلك تخلصت مني فجهلك قيد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لامنه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى وعصمته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا اقتدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره بظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من النقرة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن من مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيل أن يكون مشاهدا جلال ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سلبت عليه سنة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وحسد وحقد والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل من خطر الخاتمة وهذا خطر لا يخلص عنه ويعرف لانجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر للشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف واليذر قلوب أولياء الله أبدا

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها

تم كتاب ذم الغرور ويليه ربع المهلكات ويتلوه في أول ربع المنجيات

كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم

على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم

الوكيل ولا حول ولا قوة

الا بالله العلي

العظيم

تم

تم طبع الجزء الثالث من احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع بعون الله تعالى وتوفيقه

صغيرنا ويعلم العالمنا حقه
واحترام العلماء توفيق
وهداية واهمال ذلك خذلا
وعقوق